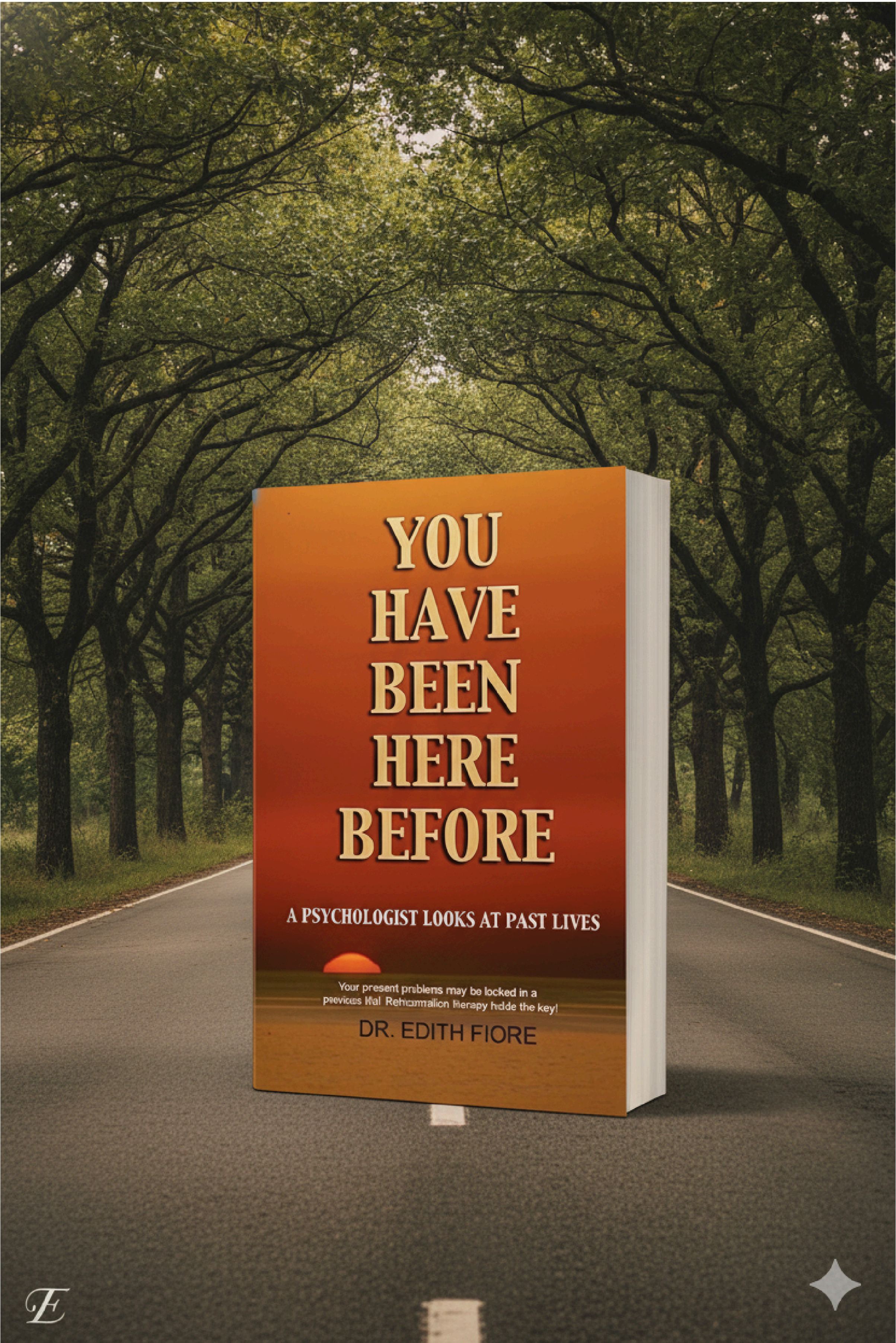

YOU
HAVE
BEEN
HERE
BEFORE
A PSYCHOLOGIST LOOKS AT PAST LIVES
DR. EDITH FIORE

لقد عشنا من قبل

المؤلف : الدكتورة إديث فيوري

الترجمة : مجموعة Epsilon

ملاحظة المترجم : يغوص هذا الكتاب في أغوار النفس البشرية ليكشف النقاب عن أعمق أسباب المعاناة والاضطرابات التي تعصف بحاضرنا. هو سجل لتجارب مذهلة خاضتها طبيبة نفسية في العلاج بتقنية التنويم المغناطيسي للعودة إلى الحيوات الماضية. هنا، تُعرض قصصٌ حقيقية لمرضى سعوا خلف الشفاء من مخاوف مزمنة، أو أنماط سلوكية متكررة، أو أمراض جسدية وعلل نفسية عصية على العلاج التقليدي. يكشف السرد كيف أن الأحداث غير المحسومة من وجود سابق يمكن أن تلقي بظلالها الكثيفة على حياتنا الراهنة، بدءاً من الخوف من المرتفعات، مروراً بالأرق المستعصي، وصولاً إلى العقد الشخصية المعقدة. يجد القارئ نفسه أمام حوارات تفصيلية وجلسات علاجية تنبض بالدهشة، مؤكدة أن فهم جذور المشكلة، مهما كانت بعيدة في الزمن، هو المفتاح الحقيقي للتحرر والوصول إلى الطمأنينة. إنه دعوة لاستكشاف الوعي الباطن والإيمان بأننا "كنا هنا من قبل".

منشورات أوروبا - أمريكا

العنوان الأصلي: You have been here before

نشر بالاتفاق مع وكالة سكوت ميريديث الأدبية (Scott Meredith Literary Agency, Inc.)، 845 ثيرد أفينيو، نيويورك، 10022.

الناشر: فرانسيسكو ليون دي كاسترو

الطبعة رقم 32022/2829

التنفيذ الفني: مطبعة كامويس

بوفوا دي فازيم

الفهرس

إلى مرضاي والأفراد الذين استجابوا للتجارب، والذين جعلت شجاعتهم هذا العمل ممكناً.

الشكر والتقدير

أنا ممتنة جداً لصديقي وزميلي العزيز، المعالج بالتنويم المغناطيسي، الدكتور إدغار بارنيت من كينغستون، أونتاريو، الذي لا شك أنه أوحى إليَّ بإيحاء مغناطيسي قوي ومبطن في أكتوبر الماضي عندما قال لي: «إيدي، يجب أن تكتبي كتاباً عن عملك ـــ العالم بحاجة إليه.»

ها هو الكتاب.

من المستحيل أن أذكر جميع الأشخاص الذين ساعدوني بطرق مختلفة في هذا المشروع.

لديَّ دين عظيم من الامتنان لمرضاي وللأفراد الذين جاؤوا إليَّ خصيصاً لجلسة استرجاع (انحدار) للحياة السابقة. لولاهم، ما كان للكتاب أن يرى النور! لقد علّموني أيضاً. زوجي، غريغ، شجعني منذ اللحظة الأولى التي تحدثت فيها عن كتابة هذا الكتاب. لقد قدّم لي الدعم العاطفي طوال فترة العمل. أمضى ساعات طويلة وهو يستمع إليَّ وأنا أقرأ له كل فصل أثناء تقدمي، وقدّم لي مقترحات لا تُقدَّر بثمن. أشكر ابنتي ليزلي، لتفهمها وصبرها طوال الأشهر السبعة الماضية، عندما كنت مشغولة جداً بالكتابة لدرجة أن وقت فراغي كان قليلاً. قضت كارين ماكنالي العديد من عطلات نهاية الأسبوع، وحتى الإجازات، بالإضافة إلى ساعات عملها العادية، في طباعة المخطوطة. وكانت دائماً مستمعة صبورة عندما احتجت إلى جمهور لأفكاري. إن تشجيعها الثابت وحماسها الذي لا يتزعزع كانا سندا كبيرا.
سبيرمان غرانت، أستاذي في التحرير والكتابة، ساعدني كثيراً. لقد وجّهتني معرفته وموضوعيته وخبرته، وآمل أن أكون قد نجحت في تقديم عملي اليومي بطريقة شيقة للقارئ.

أقدم هذا الكتاب آملاً أن يكون جديراً بالثقة والمساعدة والجهد الذي بذله كل من ذكرتهم.

مقدمة

لم أكتب هذا الكتاب للدفاع عن مفهوم تناسخ الأرواح أو لمهاجمته. ولا أرغب في حسم مسألة خلود الروح. لا أدعو إلى طريقة علاج محددة باعتبارها الوحيدة أو الأفضل. أريد أن أشاركم بعض الدراما الإنسانية التي تكشفت خلال عامين مدهشين من نشاطي السريري - دراما أشخاص، قُلِّصت أو نقصت حياتهم الحالية بطريقة أو بأخرى، بسبب أحداث مأساوية وقعت في حيواتهم السابقة. كان هؤلاء الأشخاص مرضاي ورجالاً ونساءً سعوا تحديداً لتجربة الاسترجاع إلى الحيوات الماضية. إن التقدم الذي أحرزوه والحرية التي وجدوها كانت نتيجة لشجاعتهم التي لا تُقهر في مواجهة تلك الصدمات التي مرّت بها حيواتهم الماضية مرة أخرى.

"لقد عشنا من قبل" هو تعبير عن اهتماماتي وشخصيتي وخلفيتي. لتقييم المادة التي تشكل الجزء الأكبر من هذا الكتاب، قد تكون النظرة العامة على جوانب معينة من حياتي الخاصة مفيدة.

بما أن مفهوم التناسخ كان مبدأً أساسياً للعديد من الأديان الأكثر أهمية في العالم، أعتقد أن خلفيتي الدينية ذات صلة بالموضوع. نشأت وأنا أرتاد كنائس بروتستانتية مختلفة، بدءاً من الكنيسة الهولندية المُصلَحة وصولاً إلى الأسقفية. كانت عائلتي تعيش دائماً في الريف وكنا نرتاد الكنيسة الأقرب إلى مزارعنا. لا أتذكر أنه تم تعليمي أو الحديث معي عن إمكانية عيش أكثر من حياة واحدة على وجه الأرض. في الواقع، في تعليمي، كان التركيز على هذه الحياة باعتبارها الوحيدة. والداي متديّنان بهدوء ويؤمنان بالتناسخ، لكنهما لم يذكرا لي هذا الاعتقاد إلا مؤخراً. في طفولتي، كنت متديّنة بعمق وكان لدي إيمان لا يتزعزع بالله، لكنني غيّرت قناعاتي جذرياً خلال سنتي الأولى في كلية ماونت هوليوك ، حيث تعرّفت على اللاأدرية لأول مرة.

كانت اللاأدرية تتوافق مع ميولي العلمية وظللت لاأدرية حتى بدأت أتواصل مع الحيوات السابقة من خلال استرجاعات مرضاي. منذ ذلك الحين، بدأت أغير تدريجياً معظم آرائي الدينية والفلسفية. في الوقت الحالي، لست مؤمنة أو منكرة بشكل أعمى بالتناسخ. ومع ذلك، يوماً بعد يوم، ومع رؤية عدد أكبر من المرضى والأفراد الذين يستكشفون الحيوات السابقة، أزداد اقتناعاً بأن هذه الحيوات ليست مجرد تخيلات.

كانت خلفيتي المهنية وتعليمي في مجال علم النفس تقليديين، مع تركيز كبير على المنهج العلمي. ولا مرة واحدة، خلال السنوات التسع التي درست فيها علم النفس ـــ سواء في الكليات (ماونت هوليوك وكلية غوتشر) أو في الجامعات (جامعة ماريلاند وجامعة ميامي) ـــ تم استخدام مفهوم أو حتى كلمة تناسخ الأرواح. كنا نتعامل حصرياً مع ما يمكن ملاحظته.

خلال تلك السنوات التسع، شعرت بانجذاب كبير لأعمال فرويد، على الرغم من أنها لم تكن تحظى بتقدير كبير من قبل أساتذتي. لم أستطع أن أفقد القناعة العميقة بأن طريقة مساعدة الناس هي إخراج الدوافع المدفونة بعمق في متاهة أذهانهم إلى النور.

على مدى السنوات الثماني الماضية، مارست العمل السريري الخاص –– أولاً في ميامي والآن في ساراتوغا، كاليفورنيا. في هذه السنوات، توصلت مرات لا تُحصى إلى استنتاج مفاده أن المشاكل الحالية للأشخاص تنبع من عوامل لاواعية –– غالباً من أحداث منسية تماماً. غالباً ما يكون العامل المسبب مدفوناً بعمق في ذهن المريض؛ وأحياناً يكون شعوراً أو موقفاً من طبيعة معاكسة لما يشعر به الشخص –– أو يعتقد أنه يشعر به –– على المستوى الواعي. أثبتت لي تجربتي الشخصية مع التحليل النفسي التقليدي، خلال فترة من عدم التوافق الزوجي، بشكل مباشر أن إحضار المواد اللاواعية إلى مستوى واعٍ، حيث يمكن التعامل معها باستخدام جميع الموارد المطورة بالفعل، هو طريقة علاج مفيدة للغاية. لكن العملية بطيئة ومكلفة؛ ولذلك، وجدت نفسي أبحث عن طريق مختصر للوصول إلى اللاوعي. من خلال القراءة، بدأت أهتم بالتنويم المغناطيسي كإجابة محتملة للمشكلة. بالنظر إلى الوراء إلى تلك السنوات الطويلة من التكوين والتدريب، يبدو لي من السخف أن التنويم المغناطيسي لم يؤخذ على محمل الجد ولا مرة واحدة كوسيلة للعمل مع الناس. لا أستطيع أن أتذكر محاضرة أو عرضاً حول الموضوع. بالعودة أبعد في ذاكرتي ومراجعة كتبي الدراسية عقلياً، من المدهش أيضاً أن الذكر الجاد الوحيد للتقنية كان بضع فقرات، على الأكثر، قيل فيها باختصار أن فرويد استخدم التنويم المغناطيسي في البداية ثم تخلّى عنه لاحقاً. لا يوجد في أي مكان، في النصوص المعتادة للكليات ومدارس الدراسات العليا، ما يشير إلى أن فرويد، في نهاية مسيرته الطويلة، أعلن أن التنويم المغناطيسي، نظراً لفعاليته، هو المفتاح لمساعدة الناس.

في تاريخ التنويم المغناطيسي كأداة للشفاء النفسي، يُقال إنه استُخدم، بأشكاله الأكثر تنوعاً، منذ فجر تاريخ الإنسان. استخدم كهنة معابد النوم الشهيرة، عند الإغريق والرومان القدماء، تقنيات التنويم المغناطيسي؛ كما يُشار إلى التنويم المغناطيسي في العديد من المقاطع في الكتاب المقدس. بعد آلاف السنين من الاستخدام في أعظم ثقافات العالم، أيّدت الجمعية الطبية البريطانية في عام 1955، والجمعية الطبية الأمريكية في عام 1958، التنويم المغناطيسي رسمياً واقترحتا أن تدرج كليات الطب التنويم المغناطيسي ضمن مواضيعها.

كان أول اتصال لي بتقنيات التنويم المغناطيسي في ندوة نهاية الأسبوع حول التنويم الذاتي، والتي عقدت في معهد إيسالين في بيج سور، كاليفورنيا. بالصدفة تقريباً، قررت فجأة الذهاب إلى الساحل، إلى بيج سور، مع أخي. في البداية، كان الأمر مجرد مشاركة في تجربة مثيرة، وفرصة جيدة لقضاء بعض الوقت معاً. لم أكن أعلم أن تلك الندوة البسيطة ستغير مسار حياتي. عند عودتي إلى المنزل، وبمهاراتي الجديدة، سألت المرضى الذين كانوا معي لبعض الوقت عما إذا كانوا يوافقون على تعلّم التنويم الذاتي، والذي اعتقدت أنه سيقلل بشكل كبير من مستويات قلقهم. وافقوا وأثمر ذلك! نجاحهم دفعني إلى الرغبة في معرفة المزيد عن هذه التقنية الرائعة. انضممت إلى الجمعية الأمريكية للتنويم المغناطيسي السريري، والمؤتمر الدولي للتنويم المغناطيسي، وأكاديمية سان فرانسيسكو للتنويم المغناطيسي. حضرت العديد من الندوات الممتازة للمحترفين، وفي غضون فترة قصيرة، شعرت بالارتياح في غرف العمل للطلاب المتقدمين. في الوقت نفسه، وجدت نفسي أطبق المزيد والمزيد مما تعلمته في غرف عمل التنويم المغناطيسي، وفي اللقاءات العلمية، وفي قراءاتي التي لا تنتهي، في عيادتي. وكنت أحصد النتائج. كانت تقنيات التنويم المغناطيسي تسرّع العملية العلاجية بشكل كبير. بالنظر إلى بعض حالاتي المعقدة، رأيت أن ما كان يستغرق سنوات للشفاء في الماضي كان غالباً ما يُحل في غضون أشهر أو أسابيع. بالنسبة لي، كان التقدم الأكثر إثارة من انخفاض عدد الجلسات والوقت لكل حالة هو الثقة في القدرة على مساعدة شخص ما ومساعدة نفسه، والثقة في أنه باستخدام التنويم المغناطيسي، سيتم حل المشاكل وتختفي الأعراض.

عندما بدأت في استخدام التنويم المغناطيسي، مثل العديد من المعالجين بالتنويم المغناطيسي الآخرين، طلبت من مرضاي إجراء تحليل للسنوات الماضية، والكشف عن الأحداث التي وقعت أثناء نموهم والتي كانت سبب الأعراض الحالية ـــ وقد أدى ذلك إلى اختفاء الأعراض. والمثير للدهشة أن مشكلة ـــ استمرت أربعين عاماً، على سبيل المثال ـــ يمكن أن تتركز في السنوات الأولى من الحياة. ثم بدأت في التراجع إلى الأشهر الأولى وحتى إلى لحظة الولادة نفسها، والتي كانت، في كثير من الحالات، مفتاح المشكلة ـــ لأنها كانت غالباً ما تترك الشخص بشعور بالذنب، بأنه غير مرغوب فيه، وأحياناً كانت تُنتج أعراضاً جسدية مدى الحياة، مثل الصداع المنتظم. تدريجياً تراجعت أكثر، مكتشفة مشاكل عاطفية ظهرت في تلك الأشهر التي يُفترض أنها كانت هدوءً في الرحم.

أنا مقتنعة الآن بأن العديد من المشاكل تعود جذورها إلى أزمنة سابقة ــــ إلى حيوات ماضية. اكتشف مرضاي وأنا أن الحيوات السابقة يمكن أن يكون لها تأثير عميق على الحياة الحالية، فيما يتعلق بالقدرات الفردية، والأعراض، والعلاقات، وسمات الشخصية، وبالتأكيد، بطرق لا حصر لها أخرى. قبل عامين، كنت غير مهتمة تماماً بفكرة التناسخ. وفي إحدى الأمسيات، أثناء استخدام التنويم المغناطيسي مع أحد المرضى، شهدت شيئاً أثر بشكل جذري على كل من حياتي المهنية وقناعاتي الشخصية. جاء هذا المريض إليَّ بسبب قيود جنسية مؤلمة. عندما طلبت منه، وهو تحت التنويم المغناطيسي، أن يعود إلى أصل مشاكله، قال: «قبل حياتين أو ثلاث، كنت كاهناً كاثوليكياً.» تتبعنا حياته في القرن السابع عشر، ولاحظنا مواقفه الجنسية ككاهن إيطالي، ووجدنا مصدر صعوباته الجنسية. كنت أعلم أن المريض يؤمن بالتناسخ. لذلك، شعرت أن الوصف النابض بالحياة لحياته الماضية، الملون بقدر كبير من العاطفة، كان مجرد خيال. ومع ذلك، في زيارته التالية، أخبرني أنه لم يتحرر فقط من مشاكله الجنسية، ولكنه شعر أيضاً بتحسن بشكل عام. بدأت أنتبه إلى هذه «الأداة» العلاجية الجديدة.

بعد عدة أشهر، عالجت مريضة كانت تعمل كرئيسة علاقات عامة في شركة شحن تنظم رحلات بحرية. كانت حريصة على حل مشكلتين كانتا تزعجانها لسنوات. الأولى كانت الرغبة القوية والخطيرة التي شعرت بها في القفز من على متن السفينة؛ والأخرى، وبشكل متناقض، كانت خوفاً غير منطقي من الضياع في البحر. تحت التنويم المغناطيسي، رأت نفسها صبياً نرويجياً، سفين، في قارب والده، يُطلب منه القفز عندما تحطم القارب على الصخور. عصى والده ومات غرقاً. خلال الجلسة نفسها، رأت نفسها في حياتين أخريين، واحدة كصياد والأخرى كبحار - وكلاهما ضاع في البحر، وربما غرق. عندما تحررت من التنويم المغناطيسي، هتفت بأنها فهمت الآن افتتانها بالبحر وأصل أعراضها. مرة أخرى شعرت بأنها «عاشت مرة أخرى» وجودات خيالية. كنت أعلم أنها هي الأخرى تؤمن بالتناسخ. لم أكن مقتنعة بعد. ولكن، بعد ستة أسابيع، وعند عودتها من رحلة في المحيط الهادئ، أعلنت ببهجة أنها لم تعد تعاني من أي من مشاكلها. كانت تشعر بالراحة والتحرر من القلق طوال الرحلة.

ظهرت فرصة أخرى لاستكشاف هذا المجال عندما طلبت مني مريضة أن أساعدها في التغلب على خوفها من الثعابين. بعد أن تتبعت حياتها بالكامل، تحت التنويم المغناطيسي، دون العثور على أي شيء يمكن أن يفسر مخاوفها، جربت تخميناً. سألتها عما إذا كانت قد واجهت أي ثعابين قبل أن تولد. رأت نفسها فتاة أزتيكية تبلغ من العمر خمسة عشر عاماً، أمام هرم، تراقب الكهنة وهم يرقصون ويثبّتون الثعابين السامة في أفواههم. ارتجفت من العاطفة وروت الطقوس الغريبة بتفاصيل نابضة بالحياة. عند عودتها إلى الحاضر، ولكن لا تزال منومة بعمق، ذُهلت مما اختبرته للتو. سألت من كانت. كانت مضطربة للغاية وأعلنت بحماس: «أنا لا أؤمن بأي من هذا!» هنا كان شخص يرفض التناسخ بشكل قاطع، ولكنه عاش للتو حياة حدثت قبل أربعمائة عام.

بعد تلك الجلسة، بدأت في استخدام استرجاع الحيوات الماضية بانتظام كلما أشار اللاوعي للمريض، تحت التنويم المغناطيسي، إلى أن أصل المشكلة قد يكون في وجود سابق. (بالطبع، في كثير من الحالات، تكون المشاكل ناتجة عن أحداث في الحياة الحالية للمريض.)

في الواقع، سواء كانت الحيوات السابقة «المُعاشة مرة أخرى» تخيلات أو، على العكس من ذلك، تجارب حقيقية عاشها في أزمنة ماضية، فهذا لا يهمني كمعالجة ـــ المهم هو الحصول على النتائج. لقد وجدت أن استرجاع الحياة الماضية مفيد للغاية، وغالباً ما ينتج عنه زوال فوري للأعراض المزمنة، والتي لا تعاود الظهور حتى بعد أشهر أو سنوات.

تتوزع الأعراض والمشاكل التي تكمن جذورها في الحيوات الماضية في نطاق واسع. على سبيل المثال، أجد الآن أن جميع المرضى الذين يعانون من زيادة الوزن المزمنة، بخمسة كيلوغرامات أو أكثر، عاشوا حياة ماتوا خلالها جوعاً أو عانوا من الحرمان الغذائي لفترات طويلة. لقد وجدت «سكان أصليين»، «هنود أمريكيين»، «أصليين» من قلب أفريقيا، وأشخاصاً من العديد من البلدان، رأوا أنفسهم بدون طعام وغالباً بدون ماء. يستمر الجوع في الحيوات الماضية في التأثير على الناس في الحياة الحالية، مما يؤدي إلى الميل إلى الإفراط في الأكل. رأت مريضة كانت تعاني من مشكلة عنيدة في احتباس السوائل ـــ والتي تحدّت العلاج الطبي ـــ نفسها قبل بضعة حيوات تموت من الجفاف والجوع ومصابة بالجدري.

يمكن أيضاً ربط الرغبة في أطعمة معينة بالحيوات الماضية. مريضة، أرسلها إليّ طبيبها، قيل لي إنها تعاني من ارتفاع ضغط الدم الشديد ولديها حوالي أربعين كيلوغراماً من الوزن الزائد. باستمرار ـــ رغم إرادتها ـــ كانت تلتهم أكياساً من رقائق البطاطس وغيرها من الوجبات الخفيفة المالحة. كانت هذه الرغبة تدمر جميع محاولاتها الفاشلة لفقدان الوزن ولخفض ضغط دمها المرتفع الخطير. خلال استرجاع بالتنويم المغناطيسي، عادت إلى حياة كصبي هندي أمريكي صغير، يتضور جوعاً لأنه لم يكن لدى قبيلته الملح لعلاج إمدادات الصيد الخاصة بهم. منذ ذلك الاسترجاع، لم تشعر بأدنى رغبة في تناول الأشياء المالحة وهي تفقد الوزن بطريقة صحية.

اكتشف العديد من مرضاي أن أسباب رهابهم ومخاوفهم وحتى نفورهم، كانت جذورها في أحداث مؤلمة معينة حدثت في حياة سابقة. لقد اكتشفوا أن مخاوفهم غير المنطقية من الثعابين، والنار، والبقاء وحيدين، والطيران، والحشود، والكوارث الطبيعية، مثل الزلازل والعواصف، تنبع من مأساة معينة في الحياة الماضية. يبدو أن الخوف من الظلام، على وجه الخصوص، ينبع من حدث مرعب وقع في الظلام، في حياة سابقة. اكتشفت امرأة أن أصول خوفها من أن تكون وحيدة ليلاً ـــ وقناعتها بأنها ستُقتل إذا حدث ذلك ـــ جاءت من تجربة سابقة مماثلة! ذُهلت مريضة أخرى عندما اكتشفت أن تجنبها السفر بالقطار طوال حياتها كان سببه رؤية أختها تُسحق تحت عجلات القطار، في حياة سابقة. شابة لم تستطع تحمل النظر إلى أي شيء أحمر زاهٍ (وبالتالي كانت تشعر بقلق متزايد في كل عيد ميلاد)، عند العيش مرة أخرى، رأت والدتها تنزف حتى الموت، بعد أن طُعنت بوحشية ـــ في حياة سابقة.

كما أن الأرق واضطرابات النوم الأخرى تعود جذورها، في كثير من الحالات، إلى أشياء رهيبة حدثت أثناء النوم، في حيوات سابقة. على سبيل المثال، عاش المرضى مرة أخرى اعتداءات جنسية أو جرائم قتل أثناء النوم. مراهق لم يستطع النوم إلا وحيداً وفي صمت تام حدد مشكلته في تعرضه لهجوم بالحراب، من قبل جندي ياباني، أثناء نومه على الرمال، في إحدى جزر المحيط الهادئ، خلال الحرب العالمية الثانية.

الصداع والآلام بشكل عام والاضطرابات أو الضعف في مناطق معينة من الجسم ترتبط أيضاً في كثير من الأحيان بأحداث من حيوات سابقة. لقد خلصنا إلى أن الصداع المزمن، بما في ذلك الصداع النصفي، هو نتيجة لكون المريض قد قُطع رأسه بالمقصلة، أو تعرض للضرب، أو الرجم، أو إطلاق النار، أو الشنق، أو سلخ فروة الرأس، أو أُصيب بجروح خطيرة بطريقة أو بأخرى في الرأس أو الرقبة. عاش العديد من الأشخاص الذين يعانون من آلام مزمنة وغير قابلة للشفاء في البطن طعنات في البطن، بسيوف أو حراب أو سكاكين. حتى أصل مشاكل الدورة الشهرية يمكن أن يتركز في صدمات، عادة ما تكون جنسية، من حياة سابقة.

يُدهش مرضاي عندما يكتشفون أن بعض الكوابيس المتكررة هي، في الواقع، رؤى لتجارب عاشوها في وجودات سابقة. لكننا اكتشفنا أن الأحداث الممتعة تُعاش مرة أخرى في الأحلام أيضاً.

هناك العديد من النظريات فيما يتعلق بالتناسخ وآلية إعادة الولادة. إحداها، مثيرة للاهتمام بشكل خاص، هي مفهوم التناسخ الجماعي، الذي يقول إن الأشخاص الذين عاشوا في إطار زمني معين يتناسخون معاً. على سبيل المثال، يولد المفكرون العظماء في العصر الذهبي لليونان في الوقت نفسه، في عصر جديد، وتظهر مواهبهم بطرق مختلفة، لكن الروابط بينهم تظل ثابتة. لقد كنت مفتونة بالكشف، في استرجاعات الحياة الماضية، أن الأشخاص الذين نرتبط بهم في حياتنا الحالية كانوا معنا من قبل — غالباً في أدوار مختلفة. على سبيل المثال، من خلال استكشاف الحيوات السابقة، تمكن المرضى من فهم مشاكل الزواج وفي بعض الأحيان حلها. اكتشف مريض يعاني من زواج مضطرب أن زوجته (التي لم يكن يشعر تجاهها بأي رغبة جنسية) كانت والدته في حياة سابقة. كما تحسنت الصعوبات بين الآباء والأبناء من خلال الرؤية التي يسمح بها علاج التناسخ. فهم الكثير من الناس توافقهم مع زوجاتهم أو أحبائهم بشكل أفضل بعد دراسة روابطهم في الحيوات الماضية. تم تفسير الانجذابات الفورية، والنفور، ومشاعر الألفة أو عدم الثقة، من خلال أحداث في الحيوات الماضية.

في عملي مع نظرية التناسخ، أكتشف أنه لا يوجد جانب واحد من جوانب الشخصية أو السلوك البشري لا يمكن فهمه بشكل أفضل من خلال دراسة أحداث الحياة الماضية. لقد تتبع مرضاي والأشخاص الذين استجابوا للتجارب وجودات سابقة واكتشفوا مصادر لمواهبهم، وقدراتهم، واهتماماتهم، ونقاط قوتهم أو ضعفهم، بالإضافة إلى أعراضهم ومشاكلهم المحددة. نسيج حياتنا منسوج بخيوط قديمة والتصميم معقد.

اسمحوا لي أن أشارككم ديناميكية كتاب "لقد عشنا من قبل": في الفصل الأول، أُظهر طريقتي في إعادة الشخص إلى الحياة الماضية وأصف ردود فعل المرضى والأفراد الآخرين أثناء استكشاف حيواتهم السابقة.

من الفصل الثاني إلى الفصل العاشر، هناك دراسات حالة، تتضمن أوصافاً، كلمة بكلمة، لاسترجاعات التنويم المغناطيسي للحيوات الماضية. تم استخدام نصوص مكتوبة لتجنب التكرار. تم تغيير أسماء وبيانات تعريف المرضى والأفراد الآخرين لحماية خصوصيتهم. ومع ذلك، حصلت على إذن كل شخص لنشر قصته.

يصف الفصل الحادي عشر تجربة الموت ويتضمن أيضاً العديد من المقتطفات والنصوص التي توضح فردية وتشابه تجارب الموت المختلفة.

في الفصل الأخير، أناقش الأسئلة التي أثرناها حول مفهوم الحيوات السابقة. أشارككم بإيجاز أيضاً أفكاري حول مفاهيم التناسخ والكارما.

كانت كتابة هذا الكتاب بالنسبة لي بداية ـــ بداية تبلور أفكاري وفهمي للدراما التي تتكشف كل يوم في عيادتي. آمل أن تكون القراءة أيضاً بداية بالنسبة لكم. بالنسبة للكثيرين منكم، سيكون تأكيداً لمعتقدات قوية حول العيش أكثر من مرة وآمل أن يحفزكم على طرح أسئلة على أنفسكم حول الحيوات الغنية والمتنوعة التي نعيشها. بالنسبة للآخرين، الذين قد يكونون متشككين، آمل أن تكون بداية طريقة جديدة للنظر إلى أنفسنا، فيما يتعلق بالحيوات السابقة وكوننا نملك خيالاً إبداعياً للغاية.

الفصل الأول: «أغلق عينيك و ...»

كيف ستكون تجربة الاسترجاع إلى الحياة الماضية؟ أدعوكم لمتابعة خطواتي.

تقع عيادتي في مبنى مكاتب من طابق واحد، يتشاركه معالجون نفسيون. لديها نافذة كبيرة تطل على منطقة مشجرة. بجوار النافذة توجد أشجار جميز وشجيرات مزهرة؛ وعلى بعد خطوتين يجري جدول صغير. طيور قيق كبيرة ذات أعراف سوداء، وطيور طنانة خضراء، وسنجاب رمادي لطيف، وغزالة وصغيرها، يتجولون يومياً أمام نافذتي. تعليق الوافد الجديد الأول، عند دخوله عيادتي والنظر إلى الخارج، هو دائماً: «كم هو جميل وهادئ!» يبدو الجميع مسرورين بالمنظر وخاصة بحركات السنجاب وطفليه المضحكة. في بعض الأحيان يمكن أن يكون هذا المشهد جذاباً جداً ـــ لذلك سأجلس وأنا أواجهك، وظهري للخارج؟

بعد أن تستقر في الكرسي الوثير القابل للإمالة، أسألك عما ترغب في اكتشافه عن نفسك، بما أنك جئت لاسترجاع حياة ماضية ولست مريضاً يسعى للعلاج. قد تكون دوافعك غامضة إلى حد ما. عادة ما تكون الإجابة: «آه! أريد فقط أن أعرف من كنت.» في هذه اللحظة، أقدم القائمة ـــ عدة مواضيع، ستختار منها. مواضيع مثل استكشاف علاقة في حيوات سابقة مع شريك أو فرد من العائلة، أو اكتشاف حياة كانت فيها موهبة أو مهارة متطورة بشكل أكبر، أو أول تجسد على الأرض، أو الأخير أو حياة كفرد من الجنس الآخر. إذا كان لديك هواية أو اهتمام خاص، مثل الافتتان بالمنازل الفيكتورية، أو الغزوات الفرنسية، أو سيارات السباق، أو الإبحار، فربما ترغب في التحقق من أصولها.

بعد أن نقرر ما لا يقل عن مجالين من الاهتمام، أسعى لمعرفة موقفك مما يعنيه أن تكون منوّماً مغناطيسياً. يخشى الكثير من الناس بعمق التخلي عن سيطرتهم لشخص آخر. كما يقلقهم فقدان الوعي وعدم معرفة ما يحدث. كما قال أحدهم، قبل أول إيحاء بالتنويم المغناطيسي: «شخص آخر يتولى القيادة وأنت تضيع تماماً.» مهمتي الأولى هي تبديد هذه المخاوف ومساعدتك على رؤية الاسترجاع كمغامرة مثيرة. أشرح لك أنك لن تفقد الوعي، كما يحدث لك أثناء النوم. يظل وعيك دائماً على دراية بما يحدث، داخلك وخارجك. في البداية، وأحياناً أثناء الغيبوبة (التنويم)، يمكنك سماع ضوضاء في الردهة أو خارج الغرفة، ولكن تدريجياً ستركز أكثر فأكثر على الدراما الداخلية التي تتكشف. قد يشك وعيك، أو يطرح أسئلة، أو يبتهج بالمشاهد التي تحدث. بالطبع، أنت تدرك وجودي دائماً إلى حد ما. في بعض الأحيان، بعد الخروج من الغيبوبة، يروي الناس أنهم سألوا أنفسهم لمن كان هذا الصوت. البعض يدرك أنني أنا ويتوجهون إليَّ، حتى أثناء الاسترجاع. يستجيب آخرون للصوت، لكنهم لا يولونه اهتماماً خاصاً. إنه موجود ومقبول. مريضة، كانت قد عادت إلى حياة كـهندية أمريكية تدرس العلاجات الطبية بالأعشاب، أصبحت مراوغة جداً وأعلنت أخيراً بتصميم: «لا أريد التحدث إليكِ بعد الآن!» وهي لا تزال تحت التنويم المغناطيسي، ولكنها عادت إلى الحاضر، أوضحت أنها، كـهندية، شعرت أن شخصاً ما يطرح عليها أسئلة. وبما أن العلاجات العشبية كانت سراً، فقد شعرت بالخوف حقاً مني. كما أنها لم تستطع أن تفهم من كان يطرح عليها تلك الأسئلة المهددة. عندما حاولت الشرح، ضِعنا في ارتباك لا ينتهي. ثم رفضت أن تقول كلمة واحدة أخرى وحتى أنها شبّكت ذراعيها للتأكيد على قرارها.

أشير إليك بأنك دائماً ما تتحكم في الموقف ـــ أحياناً بالوعي، ولكن دائماً باللاوعي.

أبدأ الإيحاء بالتنويم المغناطيسي بأن أطلب منك الاسترخاء في الكرسي. ثم أقترح عليك إغلاق عينيك وتركيز انتباهك على تنفسك. عندما تُظهر علامات على بدء الاسترخاء، أطلب منك استخدام خيالك و«الشعور بالاسترخاء ينساب من الجفنين إلى الجبين، كسائل دافئ ومُريح». أوجه انتباهك إلى هذا الانتشار، وأقوم بإرخاء عضلات وجهك واحدة تلو الأخرى، ثم، تدريجياً، عضلات الجسم كله. يستغرق هذا حوالي عشر دقائق. أقول لك أن تتخيل نفسك مستلقياً في الطبيعة، في مكانك المفضل، وأن تستخدم الحواس المختلفة — واحدة تلو الأخرى — لتدرك ما يحيط بك ووجودك هناك. هذه طريقة سهلة بالنسبة لك للتحضير لعيش المشاهد التي ستظهر أثناء الاسترجاع.

أنت الآن في غيبوبة عميقة بما يكفي للاسترجاع إلى الحياة الماضية، ولكن لا تزال هناك خطوتان مهمتان. أحدد إشارات الأصابع، طالباً منك التفكير بجدية في كلمة «نعم» وملاحظة أن «إصبعاً يرتفع بمفرده — يقوده اللاوعي فقط». يليه إصبع «لا» وإصبع «لا أريد الإجابة». ثم أسأل اللاوعي عما إذا كان يرغب في عودتك إلى حياة ماضية. إذا تلقيت إجابة «نعم»، فإننا نتقدم على الفور.

في بعض الأحيان يكون هناك مقاومة كبيرة، تكاد تكون لا يمكن التغلب عليها، من اللاوعي للعودة إلى الوراء — وغالباً لأسباب وجيهة جداً. على سبيل المثال، بعد أشهر عديدة من مقاومة أي شيء يتجاوز الغيبوبة الخفيفة، وجدت مريضة نفسها أخيراً على طاولة العمليات، في مستشفى للأمراض النفسية. كان الجراحون يجرون لها عملية قطع الفص الجبهي. نزفت حتى الموت، عندما ابتعدوا بعد أن استسلموا. بعد أن تم التطرق إلى أصل خوفها من «العبور إلى الجانب الآخر» والسماح لشخص ما بالعمل على دماغها، عادت بسهولة إلى العديد من الحيوات الماضية — وهي تحل مشاكلها وتقضي على العديد من أعراضها.

إذا أشار اللاوعي لديك إلى وجود مقاومة للاسترجاع، فسأناقش الأمر معه. أقدم لك طريقة للنظر إلى الحقائق تباعدك عن التجربة. أقترح أن تراها مسقطة، كما لو كانت «على شاشة سينما». إذا لزم الأمر وإذا لم تتمكن من تحمل جوانب معينة مما سيظهر، أقترح نسياناً ما بعد التنويم المغناطيسي. بعد الاتفاق على هذا الترتيب، أُعيدك إلى حياة ماضية، وأعد ببطء شديد حتى عشرة وأقترح عليك العودة إلى الوراء في الزمان والمكان، من خلال نفق زمني — و«عندما تصل إلى عشرة، ستجد نفسك في زمن آخر، ومكان آخر، وجسد آخر، ولكنك ستكون أنت». أقترح أن تصبح الصور والانطباعات واضحة جداً ونابضة بالحياة. في هذه المرحلة، عادة، ستبدأ في تحريك عينيك المغلقتين، سيتغير تعبيرك: ستبدو مذهولاً أو بطريقة خاصة، ستُعلمني أنك تختبر شيئاً ما. أبدأ في طرح الأسئلة عليك وستكون قادراً على الإجابة — باللغة الإنجليزية. في بعض الأحيان، ستكون هناك حاجة إلى بعض الإصرار من جانبي، حتى تظهر الصور وتجد نفسك «هناك».

يختبر الناس الاسترجاع بطرق مختلفة جداً. لقد توصلت إلى استنتاج مفاده أنه إذا اختبروا استرجاع الحياة الماضية بطريقة حية، باستخدام الحواس الخمس، فمن المرجح أن يختبروا جميع الحيوات الماضية بطريقة مماثلة جداً. يقول البعض إنهم يرون أنفسهم، كما لو كانوا يشاهدون فيلماً. يعيش آخرون كل ثانية بالكامل مرة أخرى. يبقى البعض هادئين وسلبيين، حتى أثناء وصف الاغتصاب، أو سلخ فروة الرأس، أو الموت حرقاً. يبكي آخرون، أو يصرخون، أو يعوون. أجد أنه من المثير للاهتمام ملاحظة رد فعل الشخص، في شخصيات وحيوات مختلفة. معظم مرضاي والأفراد الذين يستجيبون للتجارب هم «ممثلون» بارعون عندما يجسدون أدوارهم المختلفة. أثناء الاسترجاع، يدخل الكثير من الناس في الشخصية جيداً لدرجة أنهم لا يفهمون كلمات معينة أستخدمها، مثل «عام»، و«عرف»، و«بلد». في هذه الحالات، أشك في أن وعيهم لا «يتصرف». حتى الآن، لم يتحدث إليّ أحد بلغة أجنبية بعد. ومع ذلك، مؤخراً، من باب السلامة، قبل إجراء الاسترجاع للأشخاص الذين يستجيبون للتجربة، أقترح عليهم التحدث إليَّ باللغة الإنجليزية.

يكون بعض الأشخاص محددين جداً بشأن الأسماء والتواريخ والأماكن، بينما يكون آخرون مرتبكين أو يخلطون بين حيوات مختلفة. على سبيل المثال، خلال استرجاع، سألت مريضة من هي، فأجابت بتردد: «تيا» — ثم، عندما تعمقت أكثر في الحياة، صححت إجابتها، وذكرت اسماً آخر. في استرجاع آخر، رأت نفسها بوضوح على أنها «تيا». يمكنني عادة معرفة متى يكون هناك ارتباك، سواء من الطريقة التي تُعطى بها الإجابة، أو، بالطبع، من الارتباط بما يحدث في متابعة الاسترجاع.

بعد رؤية الأحداث الهامة في الحياة السابقة، أجعلك تمر بتجربة الموت وآخذك إلى الحالة التي تلي تلك التجربة مباشرة. مثل جميع التجارب المؤلمة أو الصادمة الأخرى، يشعر بها الناس بطرق مختلفة ـــ على ما يبدو، وفقاً لقدرتهم على تحمل الإجهاد. قد تكون هناك حاجة لمساعدتي، حيث أقدم إيحاءات مُهدئة أثناء الموت أو أي حدث آخر غير سار.

بعد أن نكون قد تتبعنا الحياة التي أردنا تحليلها، أو بعد أن نكون قد تعاملنا مع المادة المسؤولة عن مشكلة ما، وبينما لا تزال مسترخياً بعمق، أقترح عليك العودة إلى الحاضر، مع ذكر اسمك. أقوم بالعد التنازلي من عشرة إلى صفر. بمجرد العودة، نناقش ما اختبرناه للتو. يمكنك إضافة تفاصيل مثيرة للاهتمام، مثل تصحيح «أكاذيب» قالتها «الشخصية الأخرى»، أو إخباري بتفاصيل أو مشاعر كان من الصعب وصفها في ذلك الوقت. أسألك عما إذا كان أي من الأشخاص الذين تواصلت معهم هو شخص تعرفه في هذه الحياة. في بعض الأحيان، قد تشعر بالتردد. إذا كان الأمر كذلك، أقدم لك إيحاءات تساعدك على الرؤية بوضوح أكبر. في هذه المرحلة، أطلب من اللاوعي لديك أن يكشف لك جميع الآثار التي تركتها الحياة التي استكشفتها للتو على حياتك الحالية. في كثير من الأحيان، تعود الاهتمامات والمخاوف والجوانب الأخرى لشخصية كل فرد إلى أسباب غير متوقعة، والتي يمكن تقليلها بسهولة بالغة. حتى قبل أن أُحررك من الغيبوبة، أقول لك إنك ستشعر «بتحسن كبير، وأنك ستتذكر كل شيء، وأنك ستتلقى المزيد والمزيد من الإدراك حول تلك الحياة في الأيام القليلة المقبلة». أعد ببطء حتى ثلاثة وأطلب منك فتح عينيك. في كثير من الأحيان، يفتح الناس أعينهم، ويعبسون بشك ويقولون: «لكنني لم أذهب إلى أي مكان! كنت هنا طوال الوقت!» ثم نتحدث عما اختبرته وما يعنيه ذلك بالنسبة لك.

في هذا الفصل، وصفت تقنياتي في التنويم المغناطيسي. الآن أود أن أوضح لكم، بوضوح شديد، أن هناك مخاطر.

ليس من المبالغة التأكيد على أنني أعتبر أن الاسترجاع إلى الحياة الماضية ـــ وحتى الاسترجاع إلى فترة سابقة من الحياة الحالية ـــ يجب أن يتم فقط من قبل شخص مستعد جيداً، في كل من التنويم المغناطيسي والعلاج النفسي. شعرت بعض الأشخاص بشخصيات متعددة، واكتئاب شديد، ومشاعر ذنب متأصلة، وعدم راحة جسدية كبيرة ـــ كل هذا وغيره من الآثار الأقل حدة، بعد تجربة الاسترجاع إلى الحياة الماضية. يجب التعامل مع هذه الأعراض بأقصى قدر من العناية.

الفصل الثاني: «شخص يحمل هراوة»

في المرة الأولى التي رأيت فيها بيكي، شعرت بالإعجاب بمظهرها الرقيق والطفولي. بدت وكأنها فتاة تبلغ من العمر ستة عشر عاماً أكثر من كونها امرأة تبلغ من العمر عشرين عاماً. النمش الخفيف، والشعر البني الفاتح الجميل، والقوام القصير أبرزوا انطباع الأنوثة المزدهرة. كانت ترتدي ملابس أنيقة، ببنطلون جينز أزرق وقميص هندي ملون ومطرز يدوياً. بصوت منخفض، بالكاد مسموع، كان يرتجف بالتزامن مع جسدها، حاولت شرح سبب بحثها عن المساعدة. ارتجف ذقنها عندما نظرت إليّ بعيون متوسلة، غير قادرة على المتابعة. اقترحت عليها أن تستقر بشكل مريح، وأن تتكئ على الكرسي، وتضع قدميها على مسند القدمين، وتتنفس بعمق. كان لدينا الكثير من الوقت للتعامل مع مشاكلها. الأشياء الأولى أولاً. بعد لحظات قليلة، استعادت رباطة جأشها بما يكفي للمتابعة.

أوضحت أنها شعرت لفترة طويلة —— منذ سن الثالثة عشرة —— «بصداع رهيب». عندما كان يظهر أحدها، كانت تمرض لعدة أيام، وعادة ما تتقيأ وتضطر للذهاب إلى السرير. كانت الأسبرين وأدوية الصداع النصفي جزءاً من حقيبتها المعتادة. تحدث معي طبيب العائلة عنها لأنه اشتبه في أن الصداع ناتج عن التوتر واعتقد أنها بحاجة إلى تعلم كيفية الاسترخاء. وافقت بيكي على أنها تشعر بالتوتر عادة. ضحكت بعصبية عندما عدّدت أسباب توترها: وجدت الكلية متطلبة للغاية، بسبب المواعيد النهائية والامتحانات والتمارين؛ كانت لديها مشاكل مع صديقها؛ كان عملها يثير أعصابها —— وهكذا دواليك.

خفضت عينيها، وحدقت في يديها المتشابكتين لبضع لحظات؛ ثم نظرت إليَّ وأعلنت بصراحة: «أخبرتني والدتي أن أخبرك أنني لا أستطيع الوصول إلى النشوة الجنسية.» أعلنت بيكي أنها اعتقدت، في البداية، أن هذا كان بسبب عدم اعتيادها على العلاقات الجنسية وأنها وصديقها، جون، سيبدآن تدريجياً في الشعور براحة أكبر مع بعضهما البعض. في ذلك الوقت، ستستجيب بشكل أفضل. ولكن، شهراً بعد شهر، كان الأمر هو نفسه دائماً. «ليس هناك أدنى إثارة!» كما يحدث للعديد من الأزواج، زاد عدم تفاعلها من التوتر. في البداية، كان كل منهما «يُلقي باللوم» داخلياً على الآخر. مع مرور الوقت، اعترف صديقها في النهاية بأنه شعر بعدم الكفاءة الشديد كحبيب. هي، بالطبع، شعرت بالإحباط.

أضاء وجه بيكي عندما طرحت عليها أسئلة حول حياتها العائلية. كانت نظرتها لعائلتها مثالية بشكل غريب. كان الأب «مثالياً». كانت الأم حنونة ومحبة. كانت الأخوات صديقات جداً. كان الجميع على وفاق. كان لدي شعور بأنها تخفي مشاعر غير مريحة إلى حد ما عن نفسها. شعرت أن البحث في هذا المجال يجب أن يُترك لوقت لاحق.

خلال الدقائق العشرين الأخيرة من جلستنا، علّمت بيكي التنويم الذاتي، وسجلت لها شريطاً لتستخدمه في المنزل. كانت شخصاً يصعب تنويمه مغناطيسياً، حيث كانت تبقي عينيها مفتوحتين قدر الإمكان. ثم، بعد أن أرخيت جفنيها أخيراً بما يكفي لإغلاقهما، فتحتهما مرة أخرى. من الواضح أن جزءاً منها كان يكافح الاستسلام للحاجة التي لا تقاوم للاسترخاء، للسماح لنفسها بالاسترسال. أخيراً، تحرر معظم التوتر من وجهها وجسدها، بينما كانت تستمع إلى إيحاءاتي لإرخاء مجموعات العضلات المختلفة في الجسم، الواحدة تلو الأخرى. أخيراً أصبحت مسترخية بما يكفي ليتمكن من تحديد إشارات الأصابع ــــ والتواصل مباشرة مع لاوعيها. وأشار تأكيد من إشارات أصابعها مرة أخرى إلى هدفنا، وهو حدث من حياة سابقة. «هل حدث هذا في هذه الحياة؟» ارتجف إصبع «لا» لديها، بينما كان يرتفع ببطء. سألت اللاوعي عما إذا كان مستعداً لإعدادها، على هذا المستوى، للتواصل مع الحياة المسؤولة عن صداعها، من تلك اللحظة وحتى جلستنا التالية، بعد أسبوعين. ارتفع إصبع «نعم» لديها، بعد ثلاثين ثانية مليئة بالترقب.

تحررت بيكي من الغيبوبة، ونظرت إليَّ بابتهاج: «ماذا يعني هذا؟» أوضحت لها أنني اكتشفت أن أعراض بعض الأشخاص تنبع من حيوات سابقة. أجابت بأنها غير متأكدة من وجود التناسخ. سألتها عما إذا كانت مستعدة لرؤية ما سيكشفه لها لاوعيها، في الجلسة التالية ــــ مع إبقاء العقل مفتوحاً فحسب. وافقت، بابتسامة مليئة بالأمل وإيماءة. ثم غادرت، موافقة على ممارسة التنويم الذاتي مرتين على الأقل في اليوم.

بعد أسبوعين، عندما ذهبت إلى غرفة الانتظار لتحيتها، رأيت شابة مختلفة. بدت أكثر سعادة وأقل توتراً. بمجرد أن استقرت في العيادة، ابتسمت بسعادة، قائلة إنها استمتعت باستخدام الشريط. حتى صديقها أعجبه! الآن هو أيضاً شعر براحة أكبر. لكنها بدأت تشعر بالتوتر عندما سألتني عما إذا كنا سنعود إلى حياتها الماضية في تلك الجلسة. اقترحت أن نترك هذا الأمر لتقدير لاوعيها.

بمجرد أن بدأت الإيحاء، تمكنت من تقييم النتائج التي أحدثتها أسابيع من الممارسة، لأنها سرعان ما غاصت في غيبوبة عميقة. أكد تأكيد من إشارات أصابعها هدفنا مرة أخرى، وهو حدث من حياة سابقة. قُدتها عبر الزمان والمكان، مقترحة أن تجد نفسها في حدث ممتع أو محايد من الحياة الماضية التي نحتاج إلى استكشافها.

أصبح صوت بيكي أكثر نعومة، وهي تصف ما رأته:

ب. ــــ هناك زهور برية من جميع الأنواع ــــ عشب طويل ... حقل.

د. ف. ــــ ماذا تفعلين في الحقل؟

ب. ــــ أنا مع صديق.

د. ف. ــــ حدثيني عن صديقك.

ب. ــــ إنه صبي ... أعتقد أننا نتحدث فحسب.

د. ف. ــــ كيف تشعرين؟

ب. ــــ بخير.

د. ف. ــــ هل تشعرين بالرضا معه؟

ب. ــــ نعم. أنا مسترخية.

د. ف. ــــ حدثيني عن الحقل. ماذا ترين؟

ب. ــــ هناك أرض مزروعة وفسحة. أشجار.

د. ف. ــــ ما نوع الزهور التي ترينها؟

ب. ــــ زهور برتقالية وهي صغيرة ... ومثل الربيع ... برتقالية وخزامى (لافندر).

د. ف. ــــ حدثيني عن صديقك. كيف يبدو؟

ب. ــــ هممم ... شعر داكن ... لحية، حسن المظهر.

د. ف. ــــ ماذا يرتدي؟

ب. ــــ يبدو وكأنه من العصور الوسطى ... تبدو كجوارب طويلة ... قميص ... وجه.

د. ف. ــــ ما لون القميص؟

ب. ــــ بنفسجي شاحب (مالفا) ... مع أبيض تحته.

د. ف. ـــ ما لون الجوارب الطويلة؟

ب.: رماديتان.

الدكتورة ف.: وماذا ترتدين أنتِ؟

ب.: فستان أخضر... فستان أخضر سميك.

الدكتورة ف.: كيف تصففين شعركِ؟

ب.: هو مسحوب إلى الخلف من الجانبين والأعلى، وخلفيَّاً ينسدل على ظهري.

الدكتورة ف.: هل أنتِ وهذا الشاب صديقان حميمان حقاً؟

ب.: أجل، نعم.

الدكتورة ف.: هل أنتما مُغرمان؟

ب.: أظن ذلك.

الدكتورة ف.: حسناً جداً. الآن سأعد من واحد حتى ثلاثة، وعندما أصل إلى ثلاثة ستكونين قادرة على ذكر اسمه. واحد... اثنان... ثلاثة؛ انطقي بما يخطر ببالك.

ب.: إيان.

الدكتورة ف.: جيد.

ب.: [تضحك]

الدكتورة ف.: لِمَ تضحكين؟

ب.: يبدو الأمر غريباً جداً. لم أُقابل أحداً اسمه إيان قط.

الدكتورة ف.: وما اسمكِ أنتِ؟

ب.: لا أعرف.

الدكتورة ف.: ركّزي على تنفسكِ؛ سأعاود سؤالكِ. واحد... اثنان... ثلاثة؛ ماذا يخطر ببالكِ؟

ب.: إيلاين.

الدكتورة ف.: ما اسم عائلتكِ الأخير يا إيلاين؟

ب.: أودونيل.

الدكتورة ف.: استرخي أكثر وأكثر. إيلاين، كم تبلغين من العمر؟

ب.: خمسة عشر.

الدكتورة ف.: خمسة عشر؟ وكم عمر إيان؟

ب.: ستة عشر.

الدكتورة ف.: هل تعرفان بعضكما منذ زمن طويل؟

ب.: نعم.

الدكتورة ف.: في أي بلد أنتما الآن؟

ب.: إنجلترا؟... أيرلندا. أظن أنها إنجلترا.

الدكتورة ف.: سأعد حتى ثلاثة، وعندما أنتهي سيأتيكِ التاريخ. واحد... اثنان... ثلاثة. ماذا يخطر ببالكِ؟

ب.: ألف وستمائة وأربعة وخمسون.

الدكتورة ف.: ألف وستمائة وأربعة وخمسون. الآن سنتقدم في الزمن خمس أو عشر دقائق وسنرى ما يحدث عندما أصل إلى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة... ماذا يخطر ببالكِ؟

ب.: لم يتغير شيء.

الدكتورة ف.: هل ما زلتما تتحدثان هناك؟

ب.: أجل، نعم.

الدكتورة ف.: هل أنتما واقفان، جالسان، أو مستلقيان؟

ب.: حسناً، نحن مستلقيان على جانبنا، نسترخي.

الدكتورة ف.: حسناً جداً. الآن سأطلب منكِ التقدم في الزمن ساعة تقريباً. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ب.: حسناً، لم أعد هناك.

الدكتورة ف.: ما هي انطباعاتكِ؟

ب.: أنا في... أظن أنها منزلي... أظن أنه المطبخ.

الدكتورة ف.: ماذا تفعلين؟

ب.: أظن أننا سنتناول طعام العشاء.

الدكتورة ف.: حدثيني عن مطبخكِ. كيف يبدو؟

ب.: حسناً... فيه طاولة خشبية كبيرة، ومقاعد على كلا الجانبين.

الدكتورة ف.: أخبريني المزيد. هل الطاولة معدة؟

ب.: نحن نعدها. الصحون و... كل شيء مصنوع من المعدن. لا أعرف نوعه أو جودته، ولكنه نظيف.

الدكتورة ف.: كم مكاناً تعدّون؟

ب.: يصعب القول... أظن أربعة أو خمسة.

الدكتورة ف.: ولمن هذه الأماكن؟

ب.: لوالديَّ وأخواتي.

الدكتورة ف.: كم أختاً لديكِ؟

ب.: اثنتان.

الدكتورة ف.: هل هن أصغر أم أكبر منكِ سناً؟

ب.: واحدة أكبر وواحدة أصغر.

الدكتورة ف.: ما اسمهما؟

ب.: سوزان؟... إيميلي؟

الدكتورة ف.: بعد لحظات سأطلب منكِ التقدم إلى منتصف الوجبة، لكي تتمكني من رؤية ما تتناولونه وقول ما إذا كنتِ تحبينه. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ماذا يخطر ببالكِ؟

ب.: دجاج... طُهي كاملاً... فيه أرجل وحشوة.

الدكتورة ف.: وماذا تأكلون أيضاً؟

ب.: نوع من عصيدة دقيق الذرة، شيء أبيض.

الدكتورة ف.: هل تحبينها؟

ب.: نعم.

الدكتورة ف.: هل هناك أي شيء آخر؟

ب.: توجد بعض الخضراوات.

الدكتورة ف.: ما لونها؟

ب.: خضراء. أظن أنها هليون.

الدكتورة ف.: كيف هو الجو العام؟

ب.: مُبهج.

الدكتورة ف.: حدثيني عن والدكِ ووالدتكِ. كيف يبدوان؟

ب.: والدي سمين... ووجهه أحمر... شعره بني... أصلع من الأعلى.

الدكتورة ف.: ما هي وظيفته؟

ب.: يعمل في المدينة. أظن أن لديه متجراً، أو ما شابه ذلك.

الدكتورة ف.: ماذا تفعل والدتكِ خلال النهار؟

ب.: هي في المنزل.

الدكتورة ف.: ماذا تفعلين أنتِ خلال النهار؟

ب.: أعمل.

الدكتورة ف.: أي نوع من العمل تقومين به؟

ب.: يبدو لي أنني أعمل في متجر والدي.

الدكتورة ف.: حسناً جداً. الآن أود منكِ التقدم في الزمن إلى أول حدث مهم. سيختار عقلكِ الباطن الحدث الذي نحتاج إلى مشاهدته. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي تشهدينه؟

ب.: [صمت.]

الدكتورة ف.: ماذا تشعرين؟

ب.: ارتباك.

الدكتورة ف.: حسناً. سأطلب من عقلكِ الباطن أن يزيل الارتباك، عندما أعد حتى خمسة، وستعرفين بوضوح أين أنتِ في الحدث المهم التالي. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي يخطر ببالكِ؟

ب.: شخص ما سيغادر.

الدكتورة ف.: من هو؟

ب.: أظن أنه... إيان.

الدكتورة ف.: أين أنتِ يا إيلاين؟

ب.: أنا أعمل.

الدكتورة ف.: هل أنتِ في المتجر؟

ب.: نعم.

الدكتورة ف.: وهل إيان في المتجر أيضاً؟

ب.: لا. أظن أنه غادر. [بصوت فيه مسحة من الحزن.]

الدكتورة ف.: إلى أين ذهب؟

ب.: أرى جنوداً.

الدكتورة ف.: هل هو مع الجنود؟

ب.: أظن... نعم... ذهب معهم.

الدكتورة ف.: إيان جندي؟

ب.: الآن أصبح كذلك.

الدكتورة ف.: ما هو شعوركِ حيال ذلك؟

ب.: أنا قلقة، ولكن سأكون بخير. [بدء تشكل الدموع.]

الدكتورة ف.: كم تبلغين من العمر الآن؟

ب.: ستة عشر.

الدكتورة ف.: الآن سأطلب من عقلكِ الباطن أن يأخذكِ إلى الحدث المهم التالي، عندما أعد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي ترينه الآن؟

ب.: همم...

الدكتورة ف.: كيف تشعرين؟

ب.: عدم ارتياح. [ذقنها ترتجف.]

الدكتورة ف.: هل أنتِ غير مرتاحة؟

ب.: أجل، نعم.

الدكتورة ف.: لِمَ؟

ب.: هناك شيء مخيف يحدث.

الدكتورة ف.: وما هو؟

ب.: لا أعرف. هناك الكثير من الناس يركضون.

الدكتورة ف.: أين أنتِ؟

ب.: في الشارع.

الدكتورة ف.: والناس يركضون؟

ب.: أجل، نعم.

الدكتورة ف.: ماذا ترين أيضاً؟

ب.: خيول.

الدكتورة ف.: استمعي وحاولي سماع ما يقوله الناس.

ب.: يقولون يجب أن نُخلي الشارع. [كان الصوت هيستيرياً.]

الدكتورة ف.: ولِمَ؟ ما الذي تظنين أنه حدث؟

ب.: لا أعرف.

الدكتورة ف.: ما هو شعوركِ في داخلكِ؟

ب.: مرعوبة... مرتبكة... لكنني لا أفهم لِمَ.

الدكتورة ف.: هل أنتِ هناك بمفردكِ؟

ب.: نعم... حسناً. نعم، أنا في المتجر... لكن لا أعرف أين عائلتي.

الدكتورة ف.: حسناً. سأعد من واحد حتى خمسة، وأود منكِ التقدم بضع دقائق في الزمن، لترى ما يحدث. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ماذا يخطر ببالكِ؟

ب.: شخص مهم عبر للتو المدينة. [تدير رأسها، وكأنها تراقب الحركة.]

الدكتورة ف.: من كان؟

ب.: شخص من العائلة الملكية.

الدكتورة ف.: الآن سأعد حتى خمسة، وعندما أنتهي، ستعرفين بالضبط من هو. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة... ماذا يخطر ببالكِ؟

ب.: أمير.

الدكتورة ف.: أي أمير؟

ب.: لا أعرف.

الدكتورة ف.: أخبريني المزيد عنه.

ب.: لا أحد يحبه.

الدكتورة ف.: حسناً. الآن سأطلب من عقلكِ الباطن أن يأخذكِ إلى الحدث التالي، وربما يكون هذا هو الحدث الذي له علاقة بصداعكِ. أعد حتى خمسة، كوني هادئة ومسترخية. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ماذا تشعرين؟

ب.: لا شيء.

الدكتورة ف.: ما هي انطباعاتكِ؟

ب.: [توقف طويل] يداي باردتان. هذه اليد تبدو وكأنها خدرت، لكنني لا أعرف إن كان ذلك حقيقياً أم لا.

الدكتورة ف.: أين أنتِ يا إيلاين؟

ب.: لا أعرف.

الدكتورة ف.: هل أنتِ بالداخل، أم في العراء؟

ب.: بالداخل.

الدكتورة ف.: كم تبلغين من العمر الآن؟

ب.: ستة عشر... نفس العمر.

الدكتورة ف.: ما الذي يحدث؟

ب.: شيء ما تغير.

الدكتورة ف.: هل تغير شيء ما؟

ب.: كل شيء تغير.

الدكتورة ف.: كل شيء تغير. حدثيني المزيد عن ذلك.

ب.: لا أرى شيئاً... ولكن يبدو لي... أنني وحيدة في مكان ما.

الدكتورة ف.: ماذا تفعلين؟ هل أنتِ جالسة، مستلقية، أو...؟

ب.: واقفة.

الدكتورة ف.: حدثيني عن ذلك. هل أنتِ في متجر والدكِ؟

ب.: لا.

الدكتورة ف.: أين أنتِ واقفة؟

ب.: المكان مظلم، أو... أو أنني لا أرى شيئاً.

الدكتورة ف.: لكن لديكِ شعور بأن كل شيء قد تغير؟

ب.: نعم.

الدكتورة ف.: أخبريني المزيد. ما الذي يحيط بكِ؟

ب.: لا، أنا لست... لا أشعر بالرعب.

الدكتورة ف.: كم مضى من الوقت منذ أن اضطررتِ لمغادرة الشارع؟

ب.: مضت أشهر.

الدكتورة ف.: مضت أشهر؟ الآن سأعد حتى خمسة وستعودين إلى الوراء في الزمن، إلى ما قبل هذا الحدث بقليل. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. قولي كل ما يخطر لكِ.

ب.: يتم اقتيادي.

الدكتورة ف.: يتم اقتيادكِ؟

ب.: لا أستطيع... لا أستطيع أن أقول ما إذا... نعم، لقد ذهبت إلى مكان ما.

الدكتورة ف.: إلى أين ذهبتِ؟

ب.: أظن أنني لم أكن أرغب في الذهاب.

الدكتورة ف.: من الذي قادكِ؟

ب.: على متن حصان.

الدكتورة ف.: هل كنتِ على متن حصان؟

ب.: لا أعرف.

الدكتورة ف.: حدثيني عن ذلك. ما الذي يمكنكِ تذكره من وقت اقتيادكِ؟ أين كنتِ عندما قادوكِ؟

ب.: كنت في المدينة... في الشارع... بعد أن مر الأمير.

الدكتورة ف.: في اليوم ذاته؟

ب.: نعم.

الدكتورة ف.: وماذا حدث؟ ماذا يخطر ببالكِ؟ سأعد من واحد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب.: شخص ما وضعني على حصان.

الدكتورة ف.: من يفعل شيئاً كهذا؟ ولِمَ؟

ب.: جندي. [جسمها كله يرتعش.]

الدكتورة ف.: ظهر جندي، واقتادكِ هكذا دون سابق إنذار؟

ب.: كان مع الآخرين جميعاً.

الدكتورة ف.: كيف كان شعوركِ عندما حدث ذلك؟

ب.: متفاجئة... لكن لا يبدو أنني قلقة. [تصبح أكثر هدوءاً.]

الدكتورة ف.: ماذا قال لكِ عندما أمسك بكِ؟

ب.: [صمت.]

الدكتورة ف.: سأعد من واحد حتى ثلاثة، وعندما أصل إلى ثلاثة ستعرفين ما قاله. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب.: أنني سأذهب مع... قال: «أنتِ قادمة مع... النساء الأخريات.»

الدكتورة ف.: أنتِ قادمة مع النساء الأخريات؟

ب.: كان لديهم نساء أخريات.

الدكتورة ف.: هل أخذوا نساء أخريات بالطريقة ذاتها؟

ب.: هن... هن أردن الذهاب. أرى نساء يرتدين عباءات، ولديهن حُزم صغيرة، كل شيء معبأ.

الدكتورة ف.: ماذا ترتدين أنتِ؟

ب.: أحمر. فستان أحمر... أكثر سمكاً، أظن أنه فصل مختلف، أبرد.

الدكتورة ف.: حسناً. الآن، سأطلب منكِ التقدم إلى الحدث المهم التالي، عندما أعد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة، ماذا يخطر ببالكِ؟

ب.: غرفة مظلمة.

الدكتورة ف.: هل أنتِ في غرفة مظلمة؟ أخبريني المزيد.

ب.: أنا بمفردي... هناك نافذة صغيرة... واحدة على الأقل... هذا كل ما أستطيع رؤيته الآن.

الدكتورة ف.: ماذا تفعلين في الغرفة المظلمة؟

ب.: أنا واقفة.

الدكتورة ف.: هل أنتِ في منزلكِ؟

ب.: أحاول أن أكتشف.

الدكتورة ف.: سأعد من واحد حتى ثلاثة، وعندما أصل إلى ثلاثة ستعرفين. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب.: لا، ليس منزلي.

الدكتورة ف.: أين أنتِ؟

ب.: في مبنى حجري كبير جداً.

الدكتورة ف.: كم مضى عليكِ في هذه الغرفة؟

ب.: أشهر.

الدكتورة ف.: هل أنتِ سجينة؟

ب.: نوعاً ما. أظن... أظن ذلك، لكنني لم أحاول الهرب قط.

الدكتورة ف.: لِمَ؟

ب.: حسناً، إنه أفضل من منزلي.

الدكتورة ف.: بأي طريقة هو أفضل من منزلكِ؟

ب.: إنه أكثر إثارة. [تبتسم قليلاً.]

الدكتورة ف.: حدثيني عما يحدث. ما الذي جرى لكِ بعد أن أحضركِ الرجال إلى هنا، الجندي على الحصان؟

ب.: أعطونا غرفاً.

الدكتورة ف.: أخبريني المزيد عن الطريقة التي عوملتن بها.

ب.: عوملنا جيداً، لكنني أظن أننا كنا هنا لتسلية الجنود.

الدكتورة ف.: ماذا تقصدين بذلك؟

ب.: حسناً، يبدو أنهم كانوا يستطيعون الدخول لرؤيتنا متى شاؤوا.

الدكتورة ف.: ما هو شعوركِ حيال ذلك؟

ب.: شعرت بالاستياء!

الدكتورة ف.: الآن أخبريني ماذا كان يحدث عندما كانوا يأتون لرؤيتكِ.

ب.: حسناً... كانوا جنوداً... بعيدون عن المنزل لفترة طويلة... كانوا يريدون النساء.

الدكتورة ف.: ما هو شعوركِ تجاه ذلك؟

ب.: كان شيئاً يجب أن أفعله. [قيلت ببرود.]

الدكتورة ف.: هل كنتِ مع رجل من قبل؟ بهذه الطريقة؟

ب.: لا.

الدكتورة ف.: وكيف كانت تجربتكِ في المرة الأولى؟

ب.: غير مبالية.

الدكتورة ف.: هل لم تكوني منزعجة؟

ب.: آه... كنت منزعجة... لكنه لم يكن «نهاية العالم».

الدكتورة ف.: الآن سأطلب منكِ التقدم في الزمن. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. هل كنتِ بعيدة لفترة طويلة يا إيلاين؟

ب.: أجل، نعم.

الدكتورة ف.: كم مضى من الوقت؟

ب.: ست أو سبع سنوات.

الدكتورة ف.: كيف كانت هذه السنوات بالنسبة لكِ؟

ب.: همم... كانت جيدة. لم تكن... حسناً... عاملوني جيداً... لكنها لم تكن... لم تكن ممتعة حقاً. كان لها جوانبها الجيدة والسيئة.

الدكتورة ف.: خلال تلك السنوات، هل أنجبتِ أي أطفال؟

ب.: لا.

الدكتورة ف.: خلال تلك السنوات، هل كان لديكِ حبيب خاص، أم استخدمكِ معظم الرجال تقريباً؟

ب.: استخدموني معظم الرجال.

الدكتورة ف.: ما هو شعوركِ حيال ذلك؟

ب.: مستاءة. [ضمت فمها.]

الدكتورة ف.: هل تمكنتِ من الشعور ببعض المتعة؟

ب.: بعض الشيء.

الدكتورة ف.: هل أصبح الأمر أسهل بعد أن اعتدتِ عليه؟

ب.: نعم.

الدكتورة ف.: والأمير؟ هل كنتِ معه في أي وقت؟ هل عرفتيه يوماً؟

ب.: لا.

الدكتورة ف.: هل كنتِ في حضوره أو في صحبته في أي وقت؟

ب.: لا.

الدكتورة ف.: هل كنتِ مقيمة مع نساء أخريات، أم كان لديكِ مكان خاص بكِ؟

ب.: كانت لدينا غرفنا الخاصة.

الدكتورة ف.: الآن تقدمي إلى الحدث المهم التالي. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي ترينه؟

ب.: المنزل.

الدكتورة ف.: أخبريني بما ترين.

ب.: المطبخ... طاولة خشبية كبيرة، مقاعد.

الدكتورة ف.: لِمَ أنتِ في المنزل؟

ب.: للبحث عن عائلتي.

الدكتورة ف.: هل واجهتِ صعوبة في مغادرة المكان الذي كنتِ فيه؟

ب.: لا.

الدكتورة ف.: وهل وجدتِ عائلتكِ؟

ب.: لا، هم ليسوا هنا. [تبدو مندهشة.]

الدكتورة ف.: هل توجد أي ملاحظة، أو رسالة؟

ب.: لا.

الدكتورة ف.: هل المكان مرتب، أم يوحي بأن شيئاً ما حدث فجأة؟

ب.: حسناً، إنه ليس مدمراً، لكن يبدو أن شيئاً ما حدث فجأة.

الدكتورة ف.: حسناً، ما الذي يخطر ببالكِ؟ أين تظنين عائلتكِ؟ ما الذي كان يمكن أن يحدث؟

ب.: لا بد أنهم أُجبروا على المغادرة بسرعة... هربوا من شيء ما. [قلقة.]

الدكتورة ف.: ما الذي كان يمكن أن يكون؟ ما الذي يحدث في الريف في هذا الوقت؟

ب.: حسناً، اضطراب. هناك الكثير من عدم اليقين. ربما أُجبروا على المغادرة. ربما كانوا جنوداً.

الدكتورة ف.: وماذا تفعلين الآن؟ هل تتجولين في المنزل؟

ب.: نعم، وأقرر الذهاب إلى المتجر، لأرى إن كان لا يزال هناك.

الدكتورة ف.: ما هي المسافة من المتجر إلى المنزل؟

ب.: حوالي مبنى سكني واحد.

الدكتورة ف.: أخبريني بما تفعلين.

ب.: أنا أسير في الشارع... لأصل إلى المتجر.

الدكتورة ف.: ما نوع البضائع الموجودة هناك؟

ب.: أشياء متنوعة. أقمشة وطحين... بعض الأدوات المعدنية وأشياء من هذا القبيل. مجموعة صغيرة.

الدكتورة ف.: هل ترين أي صديق قديم، أو جار؟

ب.: لا أرى... أحداً. [تمسك بذراعي الكرسي.]

الدكتورة ف.: هل هذا غريب؟

ب.: نعم.

الدكتورة ف.: ماذا يخطر ببالكِ؟

ب.: [ببطء] لا بد أنهم جميعاً أُجبروا على المغادرة.

الدكتورة ف.: كيف تشعرين وأنتِ وحيدة هناك؟

ب.: خائفة. لا أفهم. [صوتها يرتجف.]

الدكتورة ف.: أخبريني، خطوة بخطوة، ما الذي يحدث. هل أنتِ تتجولين الآن؟

ب.: أمشي والباب مفتوح، وهو أمر غريب... أنظر حولي وأنادي. لا أحد يجيب. ثم يبدو لي أنني أخرج من الخلف.

الدكتورة ف.: كيف يبدو الجزء الخلفي؟

ب.: زقاق ضيق. إنه مبتل ورائحته كريهة. [تضع يدها على أنفها.]

الدكتورة ف.: لِمَ هو مبتل؟

ب.: مجارٍ... ليس هناك أحد في الخارج.

الدكتورة ف.: لا يوجد أحد هنا أيضاً؟

ب.: لا أستطيع رؤية أحد.

الدكتورة ف.: وماذا تفعلين الآن؟

ب.: أفكر.

الدكتورة ف.: بماذا تفكرين؟

ب.: أحاول أن أقرر ماذا سأفعل بعد ذلك... ثم أغلق الباب وأعود إلى الداخل... لا يوجد مال.

الدكتورة ف.: هل تحققتِ من ذلك؟

ب.: أجل، نعم.

الدكتورة ف.: أين بحثتِ؟

ب.: في الدرج... خلف المكتب... لم يُسرق... المكان لا يبدو مسروقاً، لذلك أظن أنهم فقط رحلوا إلى مكان آخر.

الدكتورة ف.: حافظي على هدوئكِ واسترخائكِ؛ استرخي أكثر وأكثر مع كل شهيق. ماذا تفعلين الآن؟

ب.: أنا الآن أخرج من المتجر.

الدكتورة ف.: وهل الشوارع لا تزال فارغة؟

ب.: نعم... أسمع كلاباً، ولكن ليس كثيراً... لا أستطيع العثور على أناس. [تبدو قلقة بوضوح الآن.]

الدكتورة ف.: وكيف تشعرين؟

ب.: خائفة. بدأت أشعر بالخوف الشديد. لا أعرف أين ذهب الجميع.

الدكتورة ف.: حافظي على هدوئكِ واسترخائكِ. وماذا تفعلين الآن؟

ب.: توقفت عن التجول في محاولة لإيجاد أحد.

الدكتورة ف.: هل كنتِ تبحثين عن شخص معين؟

ب.: عن أي شخص.

الدكتورة ف.: هل كنتِ تعرفين معظم التجار والأشخاص هنا في المدينة؟

ب.: أجل، نعم.

الدكتورة ف.: وماذا يحدث الآن؟

ب.: [تخفض صوتها] أسمع خطوات.

الدكتورة ف.: شخص ما يمشي؟

ب.: أكثر من واحد. يبدو أنهم رجال. [تتنفس بسرعة - وجهها يحمر.]

الدكتورة ف.: هل هم خلفكِ؟

ب.: أجل، نعم. [ترتجف بعنف.]

الدكتورة ف.: كيف تشعرين عندما تسمعين تلك الخطوات؟

ب.: خائفة، لأنه لو... لو كانوا أشخاصاً أعرفهم، لما ساروا بهذه السرعة خلفي، دون أن يقولوا شيئاً... دون أن يحيوني... لذلك أواصل المشي. يلحقون بي.

الدكتورة ف.: أخبريني بما يحدث لكِ. ماذا ترين؟

ب.: أرى ثلاثة رجال. وجوههم مشوشة.

الدكتورة ف.: سأعد من واحد حتى ثلاثة وستصبح الوجوه واضحة لكِ. استرخي، خذي نفساً عميقاً... عميقاً جداً الآن. أخرجي الزفير ودعي التوتر يتحرر. واحد... اثنان... ثلاثة. ماذا يخطر ببالكِ؟

ب.: أحدهم أشقر... شعره أشقر... والآخر أسمر، ولديه شارب... وآخر أسمر، لكن بدون شارب.

الدكتورة ف.: كيف تبدو تعابيرهم؟

ب.: حسناً... تبدو غاضبة.

الدكتورة ف.: هل يقولون لكِ أي شيء؟

ب.: لا.

الدكتورة ف.: هل يلمسونكِ؟

ب.: نعم. [الدموع تنهمر على وجهها.]

الدكتورة ف.: ماذا يفعلون؟

ب.: أحدهم في الخلف يمسك بذراعي... جروني إلى فجوة بين مبنيين، أخذوا حقيبتي... عباءتي.

الدكتورة ف.: هل يقولون لكِ أي شيء؟

ب.: لا، هم يتحدثون فيما بينهم... مع بعضهم البعض. [توتر كبير في جسدها.]

الدكتورة ف.: ماذا يقولون؟

ب.: أوه، حسناً كما تعلم: «بسرعة، بسرعة، أحضروها إلى هنا.» يقولون لي: «اصمتي!»... لبعضهم البعض ولي. أحد الرجال يغطي فمي بيده.

الدكتورة ف.: كيف تشعرين؟

ب.: همم... أنا خائفة لأنني أظن أنهم قد يؤذونني. لكن... لقد كنت مع الكثير من الرجال، دون إرادتي، لذلك في الواقع، ذلك الجزء لا... هو نفسه تقريباً. لكنني هذه المرة خائفة، لأنهم قد يؤذونني فعلاً... وأنا لا أعرفهم.

الدكتورة ف.: وماذا يحدث الآن؟

ب.: أحدهم لديه هراوة ما... معدنية... أووه... يضربونني على رأسي لأنني أقاوم... أسقط، يسقطونني. [جسدها يرتخي.]

الدكتورة ف.: هل شعرتِ بألم شديد عندما ضربوكِ على رأسكِ؟

ب.: نعم. أظن أنهم كسروا... دم... ضربوني مرة أخرى. [تنتحب بعنف.]

الدكتورة ف.: أين ضربوكِ هذه المرة؟

ب.: على الجانب الآخر من الرأس.

الدكتورة ف.: هل أنتِ الآن على الأرض؟

ب.: [تئن]... نعم.

الدكتورة ف.: هل هم واقفون؟

ب.: نعم... لا، هم ينحنون... يجلسون على ركبهم... يقررون من منهم سيغتصبني أولاً... أنا شبه واعية فقط.

الدكتورة ف.: ماذا يقولون؟

ب.: أوه! هم فقط يتجادلون: «أنا أولاً.»

الدكتورة ف.: هل تشعرين بأنكِ شبه واعية؟

ب.: أجل، نعم. لا أستطيع المقاومة. هم ما زالوا يمسكون يدي. [صوتها يصبح أضعف.]

الدكتورة ف.: هل ما زلتِ تقاومين؟

ب.: لا.

الدكتورة ف.: أنتِ الآن على الأرض وهم راكعون حولكِ؟

ب.: أجل، نعم.

الدكتورة ف.: جسدياً، بماذا تشعرين؟

ب.: الحجر البارد تحتي... الضغط على معصمي... البرد. فستاني كله مرفوع.

الدكتورة ف.: حافظي على هدوئكِ واسترخائكِ. صفي ما يحدث. استرخي أكثر فأكثر. الآن، ماذا يحدث؟

ب.: حسناً، أظن أن الأشقر كان الأول... يؤلم... أنا أنزف.

الدكتورة ف.: هل تنزفين من المهبل؟

ب.: نعم. [تتنفس بصعوبة.]

الدكتورة ف.: كيف تعرفين؟

ب.: أشعر... إنه دافئ... وشعرت... بالتمزق.

الدكتورة ف.: هل يفعل لكِ أي شيء آخر؟

ب.: لا. فقط... إنه سريع. يشبع نفسه بسرعة كبيرة.

الدكتورة ف.: ماذا يحدث بعد ذلك؟

ب.: بعد ذلك، الرجل... الرجل الذي لا شارب له... الشيء نفسه.

الدكتورة ف.: هل تشعرين بالكثير من الألم عندما يحدث هذا؟

ب.: نعم، في المرة الثانية ليس قوياً جداً... أعني، ليس أقوى.

الدكتورة ف.: هل تقولين لهم أي شيء؟

ب.: لا. بالكاد أستطيع... أنا... بالكاد أستطيع أن أدرك ما يحدث.

الدكتورة ف.: ما هي انطباعاتكِ؟

ب.: مجرد أصوات بعيدة... هي بعيدة جداً، لكن يمكنني الشعور بالضغط... وأشعر بالألم... لكن لا أستطيع رؤية أي شيء. كل شيء مظلم.

الدكتورة ف.: وماذا يحدث الآن؟

ب.: إنه الرجل الثالث... ولديه شفرة حلاقة... ويقطعني. [جسدها يرتجف.]

الدكتورة ف.: أين يقطعكِ؟

ب.: مهبلي... وساقاي.

الدكتورة ف.: هل يقطعكِ قبل أن يقيم علاقة معكِ؟

ب.: أجل، نعم... يؤلمني كثيراً وأشعر بأنني أنزلق... وأظن أنه اغتصبني... لا أستطيع أن أتذكر. [صوتها يبدأ في التباطؤ.]

الدكتورة ف.: وما هي انطباعاتكِ الآن؟

ب.: لا شيء.

الدكتورة ف.: بماذا تشعرين الآن؟

ب.: برد.

الدكتورة ف.: أين أنتِ؟

ب.: [ببطء] فوق قليلاً... أنا أراقب.

الدكتورة ف.: هل يمكنكِ الإحساس بأي إحساس أو شعور أو عاطفة؟

ب.: لا، أظن أنني ميتة.

الدكتورة ف.: إذاً كيف يمكنكِ مراقبة ما يحدث؟

ب.: روحي؟

الدكتورة ف.: هل هذا ما يبدو لكِ؟

ب.: أجل، نعم. يبدو أنني لا زلت أنا.

الدكتورة ف.: هل تشعرين بأي قلق أو مشكلة أو ألم؟

ب.: لا.

الدكتورة ف.: هل أدركتِ أي إحساس؟

ب.: ارتياح.

الدكتورة ف.: وماذا تلاحظين؟

ب.: حسناً، الرجال الثلاثة يهربون.

الدكتورة ف.: ماذا ترين عندما تنظرين إلى الأسفل، إلى نفسكِ؟

ب.: فوضى... من الدم. [مضطربة.]

الدكتورة ف.: حافظي على هدوئكِ واسترخائكِ. هل رؤية ذلك الجسد والدم تقلقكِ؟

ب.: نوعاً ما نعم، ولكن من ناحية أخرى... كل شيء يتناسق.

الدكتورة ف.: وضّحي لي ما تعنين.

ب.: حسناً، أنا قلقة لأن ذلك يعني أنني قُتلت... بطريقة غير لطيفة... ولكني مرتاحة لأنني الآن أفهم لماذا مت؛ هل تفهمين ما أعني؟

طلبت من إيلاين تقييم حياتها على المستوى الروحاني. قالت إنها شعرت بأنها قد أهدرتها – وأنها في الواقع وافقت ضمنياً على الرحيل مع الجندي، للابتعاد عن رتابة حياتها التي لم تتطور قط.

كشف عقلها الباطن أن الضربة على الرأس كانت الحدث المسؤول عن آلام صداعها في هذه الحياة، منذ سن البلوغ. كما كشف الاغتصاب المتعدد كمصدر لخللها الجنسي. وكما قالت: «لا أستطيع الاسترخاء، لا أستطيع الشعور بالمتعة. لا أريد أن يلمسني أحد بهذه الطريقة... لأنه في المرة الأخيرة، قتلوني.» عندما سألتها عن سنواتها مع الجنود، اعترفت بأنها لم تختبر ذروة النشوة، وأن الأمر كان أشبه «بالعمل».

بينما كانت بيتي لا تزال تحت التنويم العميق، ولكن عادت إلى الحاضر، حددت المعتدي الثاني بأنه والدها في هذه الحياة. أعطيتها إيحاءات ما بعد التنويم لتتذكر فقط ما يمكنها تحمله عاطفياً.

لكن، عندما تحررت من الغيبوبة، تذكرت كل شيء. هزت رأسها بعدم تصديق، عندما تذكرت اكتشافها عن والدها. «لكنه مثالي جداً. إنه أب مثالي.» بعد صمت تأملي أضافت أنها لم تشعر بالاستياء منه - الآن هو شخص مختلف. تساءلت عما إذا كان قد عاد كوالدها هذه المرة، ليكفر عن الماضي.

كانت الجلسة التالية لتجربة بيتي بارتدادها إلى شخصية إيلاين كاشفة للغاية أيضاً. تحت التنويم لم تعد قادرة على إخفاء كره متأصل لوالدها. كره مكبوت تماماً - كان يطلق آلام الصداع، وينقل ألمها العاطفي إلى ألم جسدي. كانت تدفع، طوال هذه السنوات، ثمن إنكارها لمشاعرها الحقيقية. كانت لديها مقاومة كبيرة، حتى عندما كانت في غيبوبة عميقة، للاعتراف بمن تكره ولماذا. هذا الكره كان سببه تعرضها للاغتصاب منه في حياة سابقة. كشف عقلها الباطن، أيضاً، أن عدم قدرتها على الوصول إلى النشوة الجنسية كان سببه ليس فقط الاغتصاب، خلال حياتها كإيلاين، وإنما أيضاً التذكر، في أعماق ذاتها، بأن والدها هو الذي اغتصبها؛ وهذا منعها من الاسترخاء. بعد أن كشفنا هذه المشاعر، أضافت أن شيئاً ما كان لا يزال مفقوداً. عندما سُئل العقل الباطن عن هذا الجانب، أظهر لنا ببطء مشهداً لفتاة صغيرة تتعرض للتشويه - تم تقطيعها بالكامل حتى الموت. كانت تراقب المشهد من الأعلى، في هيئة روح. بعد إعادة بناء ما حدث، اكتشفنا أنها، في حياة أخرى، سُجنت لكونها كاثوليكية. من زنزانتها، سخرت من أحد سجانيها، ووصفته بأنه شاذ جنسياً، أمام سجناء وحراس آخرين. لاحقاً، ذهب سراً إلى زنزانتها، وقتلها، وقطع ذراعيها وساقيها، بتمزيقهما قطعاً في كل غضبه، واغتصب جذعها. شهدت الروح هذا العنف، وهي تسخر منه باستمرار. كان هذا هو «الشيء المفقود»!

عندما تحدثنا، بعد تحررها من التنويم، أدركت بيتي في النهاية أنها طوال حياتها كانت تخشى غضب والدها. كانت شديدة الحساسية تجاهه وتتفاعل بعنف غير طبيعي. لم يسبق له أن أساء معاملتها، جسدياً أو لفظياً. كانت بيتي شديدة التعلق به، تحبه وتريد أن تكون صادقة تماماً. قررنا أن نطلب منه أن يأتي معها في الاستشارة التالية، لكي تتمكن بيتي من مشاركته كل ما تعرفه الآن عن نفسها. كان قلقها الأكبر هو أن تؤذيه.

في صباح اليوم التالي، السبت، تمكنت من إحضارهما معاً. والد بيتي رجل ودود، منفتح، وعيناه الذكيتان تظهران حساسيته بالكامل على الفور. بحذر شديد وبصراحة، أخبرت بيتي والدها أنه في حياة سابقة كان أحد الرجال الذين اغتصبوا إيلاين. أوضحت له أنه بسبب ذلك، طوال هذه السنوات، كان يرعبها - وأنها حملت كراهية عميقة ولا واعية تجاهه. امتلأت عينا الأب بالدموع بينما كانت تصف مشهد الاغتصاب وتقول إنها فضلت ألا ترى الرجال، أو لا تعرف من هم. كان يعلم بوجود الاغتصاب، منذ أن أخبرت بيتي عائلتها بتفاصيل الارتداد، لكنها لم تخبره أبداً بوجود أكثر من رجل - وخاصة أنه كان أحدهم.

انهمرت الدموع على وجهه، وقف بجوار ابنته وعانقها؛ وهي أيضاً كانت تبكي. استمرا جالسين، وجهاً لوجه، يداً بيد. بدا وكأنهما لم يلاحظا وجودي، بينما كانا يتحدثان مع بعضهما البعض. أخبرها بأنه يملؤه الندم لأنه آذاها، لكنه لا يستطيع فعل شيء. وعد بالسيطرة أكثر على نوبات غضبه أمامها، لأنه لاحظ - في الواقع لطالما عرف - أنها تتأثر بها بشدة، أكثر بكثير من أخواتها.

التفت إليّ، يمسح وجهه بمنديل ورقي، وقال: «لطالما كان بيني وبين بيتي تواصل خاص. هل أخبرتكِ بذلك؟» عندما هززت رأسي، واصل، واصفاً التخاطر الموجود بينهما. روى لي عدة حوادث سابقة، حيث أجبره شعور قوي، بداخله، على الذهاب إلى المنزل، حيث كان يكتشف أنه حدث شيء لبيتي للتو وأنها بحاجة إليه. كانا يبتسمان الآن، لكنهما ما زالا متماسكين الأيدي.

عندما غادرا، شعرنا جميعاً بالتأثر العميق.

خلال جلساتنا التالية، التي كانت تُعقد كل شهرين، أعلنت لي بيتي، في حالة من النشوة، أنها تحررت من آلام الصداع. أضافت، بحياء خفيف: «لقد شعرت بآلام صداع متفرقة وغير مهمة، من حين لآخر، لكنني أعرف أنها ناجمة عن التوتر.» كانت مندهشة لدرجة أنها، كما قالت بنفسها: «أخاف أن أحسب عدد الأسابيع التي اختفت فيها - قد تعود!» خلال هذه الفترة لاحظت أنها أصبحت أقل حساسية لمزاج الآخرين، وبشكل عام شعرت بمزيد من الاسترخاء في عملها وكليتها.

في كل مرة كانت تقيم فيها علاقة مع جون، كان رد فعلها أكبر. بابتسامة مليئة بالفخر، قالت: «في إحدى المرات، عندما كنا جون وأنا نمارس الحب، شعرت بالدوار الشديد ولاحظت أنه كان عنيفاً معي تقريباً - عنيفاً من حيث الطاقة وقوة دوافعه. تذكرت مشهد الاغتصاب وحاولت تهدئة نفسي. تمكنت من أن أصبح أكثر هدوءاً، لكن بالطبع لم أشعر بمزيد من المتعة.» لقد أطلعت جون على مشاعرها، ومنذ ذلك الحين، استمتعا كلاهما بقدرتها المتزايدة على الاستجابة.

بعد بضعة أسابيع اتصلت بي، وبصوت باكي، أعلنت لي أن مشكلة الصداع النصفي لم تُحل. طلبت مني موعداً مبكراً، حيث كنا في ذلك الوقت نلتقي مرة واحدة فقط في الشهر.

عندما دخلت عيادتي، أضاء وجهها بابتسامة ودودة كبيرة. ثم، وهي تستقر في الكرسي، قالت: «ها أنا ذا مرة أخرى! لكن والدي تذكر شيئاً قد يساعدنا.» أشارت إلى أنه منذ سن الثالثة عشرة، كان صداعها يبدأ دائماً في الصباح، وهي في السرير. وهنا كان عنصر آخر مثير للاهتمام - ومهم - لعملنا البحثي. إذا خرجت لتناول الإفطار، مع جون أو أي شخص آخر، كانت تعاني حتماً من صداع يبدأ عادة قبل الانتهاء من الوجبة. هذا أقنعها بأن آلام صداعها لم تكن بسبب مشاكل جسدية بل نفسية. كنا قد أغفلنا شيئاً ما في ارتداداتنا السابقة.

دفعت الكرسي إلى وضعية مائلة، وأغمضت عينيها وركزت انتباهها على تنفسها.

في غيبوبة عميقة، أكدت إشارات أصابعها أن وقت اليوم كان مهماً، لأنه خلال حياتها كإيلاين وقعت أحداث مهمة في الصباح. بالإضافة إلى ذلك، كان اتخاذ القرارات، كعامل مسبب، ذا أهمية قصوى. حددنا القرار الكبير بأنه خطتها لترك العائلة والرحيل مع الجنود.

جعلتها تعود إلى الوراء في الزمن إلى ذلك الحدث. خفضت صوتها، متحدثة بنبرة سرية:

ب.: حسناً، يُقال إن الجنود سيعبرون وإنهم سيأخذون معهم بعض النساء من المدن.

الدكتورة ف.: ماذا يفعلون؟

ب.: يأخذون معهم بعض النساء وسيقودونهن.

الدكتورة ف.: من أين يأخذون النساء؟

ب.: من المدن التي يمرون بها.

الدكتورة ف.: كيف تعرفين ذلك؟

ب.: شخص ما في المدينة تحدث عن ذلك.

الدكتورة ف.: من؟

ب.: [خفضت صوتها إلى همس.] ذلك الرجل.

الدكتورة ف.: من هو ذلك الرجل؟

ب.: الرجل الذي كان أمام المتجر. اكتشف الأمر.

الدكتورة ف.: بماذا شعرتِ عندما علمتِ بذلك؟

ب.: حسناً، اعتقدت أنه قد يكون أمراً مثيراً، مختلفاً... بدا لي أنه ما يجب علي فعله.

الدكتورة ف.: أين أنتِ تسمعين ذلك يا إيلاين؟

ب.: أنا في الشارع أتسوق. كنت أتحدث معه.

الدكتورة ف.: ماذا يقول؟ أخبريني بما يقوله لكِ.

ب.: يسألني عما إذا كنت قد سمعت عن الجنود. ثم أخبرني أن... أن هناك بعض الفتيات يذهبن معهم.

الدكتورة ف.: هل أخبركِ بأي شيء آخر عما يحدث للفتيات؟

ب.: حسناً، هن يعشن في... سيذهبن للعيش في القصر. [وجهها يضيء.]

الدكتورة ف.: وهل يعطونهن مالاً للذهاب؟

ب.: يقول نعم.

الدكتورة ف.: هل أخبركِ كم يدفعون لهن؟

ب.: أوه، لم يخبرني بذلك حقاً، قال فقط إن... يتقاضين أجراً جيداً.

الدكتورة ف.: ماذا فكرتِ عندما علمتِ بذلك؟

ب.: اعتقدت أنه جيد. بدا وكأنه سيكون سهلاً و... إنها طريقة للعيش، كما تعلمين.

الدكتورة ف.: ماذا تظنين كان ضمنياً في الذهاب مع الجنود؟

ب.: أوه، أنا... أظن أنه كان لدي إحساس بأن... لطالما عرفت أنها مسألة جنس، لكنني لم أرغب في... لم أرغب في التفكير في ذلك.

الدكتورة ف.: هل سمعتِ كل هذا أثناء التسوق في الشارع؟

ب.: نعم، تحدث معي.

الدكتورة ف.: هل كان يجمع النساء، أم كان فقط...

ب.: نعم، أظن أن لديه مصالح في ذلك.

الدكتورة ف.: هل أدليتِ بأي تعليق في ذلك الوقت؟

ب.: قلت له إنني أريد الذهاب.

الدكتورة ف.: هل اتخذتِ القرار في تلك اللحظة؟

ب.: نعم.

الدكتورة ف.: في أي وقت من اليوم يُتخذ هذا القرار؟

ب.: إنه الصباح، مبكراً جداً.

الدكتورة ف.: كم تظنين الساعة؟ هل فُتحت المتاجر بالفعل؟

ب.: نعم. إنها الثامنة والنصف أو التاسعة.

الدكتورة ف.: كيف تشعرين عندما تقولين له إنكِ ذاهبة، إنكِ ستذهبين؟ هل تشعرين بالأمان؟

ب.: [بصوت خافت.] لا.

الدكتورة ف.: هل التزمتِ بشكل حاسم ونهائي؟

ب.: أقول له نعم، لكنني لست متأكدة من أنني أتصرف بشكل صحيح. [تجعد أنفها.]

الدكتورة ف.: وما هي اعتراضاتكِ؟

ب.: لم أتحدث عن ذلك مع أحد وأظن أن... تلك الفكرة العميقة، حول الجنس، تقلقني قليلاً، لكنني لا أعيرها أهمية بعد ذلك.

الدكتورة ف.: هل مارستِ الجنس مع أي شخص يا إيلاين؟

ب.: لا.

الدكتورة ف.: كم تبلغين من العمر الآن؟

ب.: ستة عشر.

الدكتورة ف.: كيف تشعرين بعد أن يبتعد الرجل؟

ب.: متوترة قليلاً.

الدكتورة ف.: هل يخبركِ أين يجب أن تكوني، في وقت محدد؟

ب.: هو... يخبرني فقط أن أبقى بالقرب من منزلي.

الدكتورة ف.: هل أخبركِ في أي يوم سيأتي الجنود؟

ب.: قال إنهم سيأتون في غضون يومين.

الدكتورة ف.: بعد أن تتحدثي معه، ماذا تفعلين؟

ب.: أنتهي من التسوق وأذهب إلى المنزل.

الدكتورة ف.: كيف تشعرين في طريقكِ إلى المنزل؟

ب.: أنا متوترة، لأن لدي سراً ولا أجرؤ على إخبار أحد به.

الدكتورة ف.: ماذا تفترضين أنه قد يحدث، إذا أخبرتِ أحداً؟

ب.: سيقلقون و... لن يسمحوا لي بالذهاب والأوان فات، لأنني سأذهب، سواء أحبوا أم كرهوا!

الدكتورة ف.: لِمَ؟

ب.: لأنني قلت له بالفعل إنني ذاهبة. إذا لم أرغب في الذهاب، كانوا سيأخذونني على أي حال.

الدكتورة ف.: كيف تعرفين ذلك؟

ب.: أخبرني.

الدكتورة ف.: هل يكفي أنكِ قلتِ إنكِ ذاهبة ليأخذوكِ؟

ب.: أجل، نعم.

الدكتورة ف.: كيف تشعرين عندما ترين والدتكِ؟

ب.: لا أريد أن أنظر في عينيها. أنا... متوترة.

الدكتورة ف.: هل تلاحظ أن هناك شيئاً خاطئاً معكِ؟ هل تلاحظ ذلك؟

ب.: تعتقد أنني غريبة الأطوار فحسب.

الدكتورة ف.: وماذا يحدث بعد ذلك؟ تقدمي إلى الحدث المهم التالي عندما أعد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ب.: بدأ جميع الجنود بعبور المدينة... وهم يذهبون... جمعت أغراضي وأنتظر حتى اللحظة الأخيرة وأخبر والديَّ... أنني سأغادر.

الدكتورة ف.: ماذا يقولان؟

ب.: حسناً، يشعران بقلق شديد. لا يفهمان.

الدكتورة ف.: كم الساعة؟

ب.: مبكراً.

الدكتورة ف.: تقريباً، كم الساعة؟

ب.: حوالي التاسعة... بين التاسعة والعاشرة.

الدكتورة ف.: هل يحاولان منعكِ من الذهاب؟

ب.: نعم... يحاولان... يطلبان مني عدم الذهاب.

الدكتورة ف.: بماذا تشعرين عندما يقولان ذلك؟

ب.: أشعر بالحزن، لكنني توقعت أن يقولا ذلك.

الدكتورة ف.: كيف تشعرين وأنتِ تستعدين للمغادرة وتودعين؟

ب.: إنه أمر محزن، ولكن... لكنني قررت الذهاب ولذلك سأذهب.

الدكتورة ف.: من كان موجوداً، عندما تحدثتِ مع والديكِ؟

ب.: لا أحد.

الدكتورة ف.: والدتكِ ووالدكِ فقط؟

ب.: أجل، نعم.

الدكتورة ف.: هل كان أحد يبكي؟

ب.: والدتي.

الدكتورة ف.: كيف يتفاعل والدكِ؟

ب.: هو غاضب.

الدكتورة ف.: وأنتِ، كيف تشعرين؟

ب.: همم... أحاول أن أكون قوية، لكن الأمر صعب، مع بكاء والدتي. [تتكون الدموع في عينيها.]

الدكتورة ف.: وماذا يحدث الآن؟

ب.: أحضروا لي حصاناً وأركب.

الدكتورة ف.: هل أحضروا الحصان إلى منزلكِ؟

ب.: نعم، حسناً، المنزل يقع مباشرة على الشارع الرئيسي وهم يعبرونه.

الدكتورة ف.: أين أنتِ في ذلك الوقت؟

ب.: أنا أخرج من المنزل، لألتقي بهم.

الدكتورة ف.: كيف يعرفون أنكِ أنتِ؟

ب.: الرجل الذي تحدثت معه في الشارع معهم. يوضح لهم مكان الجميع.

الدكتورة ف.: وماذا يفعل الآخرون في المدينة؟

ب.: ينظرون من النوافذ ويناقشون ما يحدث...

الدكتورة ف.: أخبريني بما ترين. هل يُساق حصان إلى منزلكِ؟

ب.: أجل، نعم.

الدكتورة ف.: هل يمسك به أحد؟

ب.: نعم، أحد الجنود.

الدكتورة ف.: وكيف تشعرين وأنتِ تستعدين لركوب الحصان؟

ب.: يجب أن أغادر، قبل أن أصبح متوترة وأغير رأيي... والأوان فات.

الدكتورة ف.: ماذا يقول الجندي؟

ب.: لا شيء.

الدكتورة ف.: هل أعطاكِ أحد مالاً؟

ب.: لا.

الدكتورة ف.: ماذا تفكرين في ذلك؟

ب.: لم أفكر في ذلك، بعد.

الدكتورة ف.: وماذا الآن؟ أين أنتِ؟

ب.: أنا أغادر المدينة.

الدكتورة ف.: تقدمي الآن إلى الحدث المهم الأول، عندما أعد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ماذا يخطر ببالكِ؟

ب.: أنا في المنزل مرة أخرى.

الدكتورة ف.: أخبريني بما يحدث. ماذا تفعلين؟

ب.: أنظر إلى منزلي.

الدكتورة ف.: كيف تمكنتِ من ترك الجنود في القصر؟ هل كان ذلك صعباً؟

ب.: لا، بعد فترة... كنت هناك لفترة طويلة، ولذا لم يعودوا بحاجة إلي كثيراً. في الواقع كانوا سعداء بالتخلص مني... لأن لديهم فتيات أصغر سناً.

الدكتورة ف.: ولذا ذهبتِ إلى منزل والديكِ. وكيف كنتِ تشعرين في طريقكِ؟

ب.: همم... لم أكن أعرف ما إذا كانا سيسعدان برؤيتي أم لا. لكن الآن لا يوجد أحد هنا على الإطلاق.

الدكتورة ف.: كيف تشعرين عندما... تتفاجئين بعدم وجود أحد؟

ب.: نعم.

الدكتورة ف.: في أي وقت من اليوم يحدث ذلك؟

ب.: مبكراً.

الدكتورة ف.: كم الساعة، تقريباً؟

ب.: أفترض أنها حوالي الثامنة.

الدكتورة ف.: كيف يبدو المنزل؟ أين تظنين والداكِ؟ أين عائلتكِ؟

ب.: حسناً، بحثت في المطبخ، لكنهما ليسا هناك، ثم أصعد الدرج ولا يوجد أحد.

الدكتورة ف.: ما هي حالة المنزل؟

ب.: ليس نظيفاً كالمعتاد.

الدكتورة ف.: هل ما زلتِ تشعرين بالهدوء والاسترخاء، أم تشعرين...

ب.: لا، لا. أنا... أنا متوترة جداً.

الدكتورة ف.: لِمَ؟

ب.: لأنني متأكدة من أن هناك شيئاً خاطئاً.

الدكتورة ف.: لِمَ تظنين ذلك؟

ب.: حسناً، الوقت مبكر ولا يوجد أحد في الشارع... لا أستطيع العثور على أحد.

الدكتورة ف.: أين أنتِ الآن؟

ب.: أمام منزلي، في الخارج.

الدكتورة ف.: حسناً، تقدمي إلى الحدث المهم التالي، عندما أعد حتى خمسة؛ أود منكِ أن تتمكني من إدراك أفكاركِ. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ب.: حسناً، أنا في متجر والدي ولا أستطيع العثور على أحد. وأعلم أنني تصرفت بشكل خاطئ. ما كان يجب أن أغادر.

الدكتورة ف.: هل تظنين أن اللوم يقع عليكِ، بطريقة ما؟

ب.: نعم.

الدكتورة ف.: أخبريني بما تفكرين.

ب.: لو لم أغادر، كنت سأعرف على الأقل أين هم ويمكنني أن أكون معهم. كان بإمكاني مساعدتهم، إذا احتاجوا. كنت سأكون مع عائلتي. إذا قُتلوا، أريد أن أموت أيضاً.

الدكتورة ف.: الآن تقدمي إلى الحدث المهم التالي وتواصلي مع أفكاركِ. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ماذا يخطر ببالكِ؟

ب.: أمشي في الشارع.

الدكتورة ف.: بماذا تفكرين، وأنتِ تمشين في الشارع؟

ب.: نفس الشيء دائماً.

الدكتورة ف.: ماذا؟

ب.: ما كان يجب أن أغادر أبداً. ثم... يأتي الرجال خلفي... يدفعونني إلى الزقاق... يضربونني على رأسي.

الدكتورة ف.: بماذا تفكرين، بينما يتصارعون معكِ؟

ب.: حسناً، كان لا بد أن يحدث هذا.

الدكتورة ف.: لِمَ؟

ب.: إنها الفرصة الوحيدة. لا يوجد شيء يمكن فعله.

الدكتورة ف.: هل تظنين أنكِ تستحقين هذا؟

ب.: نعم.

الدكتورة ف.: لِمَ؟

ب.: لأنني ارتكبت خطأ غبياً، ربما كلف والديَّ حياتهما.

الدكتورة ف.: وماذا يحدث الآن؟

ب.: يبدأون في اغتصابي!

أعدت بيتي بسرعة إلى الحاضر، لأنه لم تكن هناك حاجة لجعلها تمر بصدمة الاغتصاب مرة أخرى. بينما كانت تحت التنويم العميق، وجهت لها أسئلة حول العلاقة بين صداعها النصفي والأحداث التي روتها للتو. تبين بوضوح أنه بالإضافة إلى الضربات على الرأس - الحادث الذي كنا قد عالجناه في الأصل - كان الشعور بالذنب أيضاً وراء صداعها دائماً. ساعدتها على التحرر من هذا الشعور بالذنب، من خلال السماح لعقلها الباطن الحالي بتحليل ذلك الحدث في ضوء معرفتها وقيمها الحالية.

عندما خرجت بيتي من الغيبوبة، نظرت إليّ مباشرة وسألت: «هل تظن أن هذا كان كل شيء؟» أومأت، وأجبت: «على الأقل هذا منطقي يا بيتي. لقد شعرتِ أنكِ تخليتِ عن عائلتكِ. شعرتِ بالمسؤولية عن وفاتهم. أنتِ تدركين الآن أنكِ لم تكوني مذنبة، لكن لم يكن هذا هو تفكيركِ في ذلك الوقت.» سألت، متشككة إلى حد ما: «هل ستكون نهاية الصداع النصفي - للأبد؟» أجبْت: «علينا أن ننتظر. الوقت وحده كفيل بالإجابة. إذا كنا قد أغفلنا أي شيء آخر، فيمكنكِ أن تكوني متأكدة من أنكِ ستعرفين ذلك!» ذكرتها بأن روحها تكشف أسرارها شيئاً فشيئاً. لقد حدث ذلك بالفعل، على الرغم من سهولة تنويمها وكونها مريضة ذات دافعية عالية.

بعد أن غادرت، فكرت مرة أخرى في كل عملنا معاً. شعرت بإعجاب عميق بشجاعتها - شجاعة تغلبت على عقبات المقاومة والخوف. أصبحت الآن شخصاً قادراً على إجراء تعديلات هائلة في حياتها بأكملها.

في المرة الأخيرة التي رأيت فيها بيتي كان قد مر شهران على ارتدادنا الأخير. ظهرت وهي مشرقة. «أخبار جيدة. الصداع النصفي لم يعد! ولا حتى مرة واحدة.»

الفصل الثالث - «أنا رجل وأرتدي جلداً»

كتبت ماري غوتشالك، مراسلة صحيفة سان خوسيه ميركوري-نيوز، في أواخر عام ألف وتسعمائة وستة وسبعين، مقالتين عن استخدامي للارتدادات إلى الحياة الماضية مع مرضاي. بعد فترة وجيزة، غمرتني مكالمات هاتفية من العديد من الأشخاص الذين أرادوا استكشاف حياتهم الماضية. كان لدى البعض مشاكل خاصة وكانوا مقتنعين بأنها ناشئة من الماضي البعيد؛ لكن معظمهم أرادوا فقط معرفة من كانوا في حياة سابقة. كارين، سكرتيرتي، تحدد مواعيد الارتدادات للحياة الماضية، لأولئك الذين ليسوا مرضى، أيام السبت. هذه الاستشارات ذات أهمية خاصة بالنسبة لي، لأنني في ساعتين ألتقي بشخصين - الفرد كما هو موجود حالياً وشخص آخر، مختلف جداً، وعادة ما يكون من الجنس الآخر، عاش في زمن ماض.

في أحد أيام السبت، في منتصف شهر كانون الثاني/يناير من عام ألف وتسعمائة وسبعة وسبعين، التقيت بشخصين أثرا فيّ بعمق.

جاكي امرأة نحيلة، جميلة جداً، تقترب من الثلاثين من عمرها. عيناها السوداوان اللامعتان تتناسبان مع شعرها الأسود القصير والمجعد. لقد أعدت قائمة ذهنية بكل ما خططت لقوله لي. كان لدي شعور بأنها تريد الاستفادة الكاملة من كل دقيقة. كانت مهتمة بشكل خاص بفهم علاقتها المضطربة بزوجها، الذي تزوجته مرة أخرى بعد العديد من الانفصالات والعودة. شكت في وجود تجارب في حياة ماضية يمكن أن تلقي الضوء على حياتهما المضطربة، المليئة بالصعود والهبوط. في حال عدم عثورنا على روابط مع حياة ماضية، أو إذا واجهنا مقاومة لا يمكن التغلب عليها، سألتها عما إذا كان هناك أي موضوع آخر يثير اهتمامها. قالت إنها منذ سن المراهقة لديها أحلام حية، ومثيرة وواقعية للغاية، كانت فيها هندية موهاوية - تقتل الكثير من الناس. كان لديه/لديها جسد رائع، وساقان طويلتان وقويتان وكان يرتدي قطعة قماش فقط حول خصره. لسبب ما، كانت للوفيات غاية - تصحيح خطأ. لكن، عندما كانت تحلم، جزء منها لم يستطع تحمل حقيقة إزهاق الأرواح البشرية. أضافت أنها تذكرت شعوراً «بالرؤية المسبقة»، حدث لها في سن العاشرة، وهي فترة تعاسة خاصة في طفولتها. تذكرت أنها نظرت، من فوق مرتفع، إلى منطقة الخليج و «عرفت» أنها كانت هناك من قبل، أو في مكان مماثل، تفعل الشيء ذاته تماماً. هزت كتفيها وقالت: «كان شعوراً غريباً.» بالعودة إلى موضوع الارتداد، قررت أنها تريد استكشاف أصول «مواهبها المتنوعة». جاكي محاسبة. في أوقات فراغها ترسم وتعزف على الأرغن. أدارت مؤخراً معرضاً فنياً. لكنها تشعر بنوع من «الاختناق»؛ يبدو لها أنها لا تستطيع حقاً إيجاد منفذ لإبداعها.

بدأت بالاستدلال التنويمي. بمجرد أن أغمضت عينيها، بدأت جفونها بالارتعاش. انخفض معدل التنفس والنبضات في عنقها على الفور. في غضون ثوانٍ قليلة تأكدت من سهولة تنويمها. لكن سرعان ما واجهنا جداراً من المقاومة. رفض عقلها الباطن بعناد التعامل مع العلاقات مع زوجها. لمدة نصف ساعة يائسة وصفت فقط رؤى الألوان، التي كانت تظهر وتختفي، ولم تكن واعية إلا لإحساسها الجسدي. لم تر صوراً! لم يكن لديها أفكار! قررت التوجه إلى منطقة أخرى. طلبت من عقلها الباطن أن يأخذها إلى حدث، من حياة أخرى، يساعدها على فهم سبب شعورها بالاختناق وعدم قدرتها على التعبير عن إبداعها.

عندما عددت حتى عشرة، أصبح صوتها أخفض؛ ببطء، وبجهد كبير، روت قصتها:

ج.: [تهمس، مندهشة على ما يبدو.] من المستحيل أن أرى هذا!

الدكتورة ف.: ماذا ترين؟

ج.: [ببطء.] جدران كهف. إنه خشن... لا توجد أدوات... لا يزال متخلفاً جداً.

الدكتورة ف.: أخبريني بما تشعرين به.

ج.: أنا وحدي.

الدكتورة ف.: ماذا تفعلين؟

ج.: أنا واقفة.

الدكتورة ف.: أين؟

ج.: على صخرة... بالقرب من كهف... واو! أنا رجل وأرتدي... جلداً!

الدكتورة ف.: كيف هو الجلد؟

ج.: ثقيل... وسميك.

الدكتورة ف.: حدثيني عن نفسكِ.

ج.: أنا لست مستقيماً... أنا منحني... لكن ليس منحني... أنا... واو! هل أبحث عن شيء ما؟ أنا أنظر إلى شيء من الأعلى. [صوت مليء بالإعجاب.]

الدكتورة ف.: هل أنتِ في مكان مرتفع جداً؟

ج.: فوق... فوق الوادي... أنا عنيدة... وهو مقفر، لا توجد جبال ولا أشجار... إنه جاف. الكهف لي... أنا أبحث عن شيء لا أراه... أنا أنتظر.

الدكتورة ف.: حاولي اكتشاف ما تشعرين به ومن أنتِ... إذا كان هناك أشخاص آخرون يعيشون معكِ.

ج.: هناك أناس في مكان ما، ولكن ليس هنا... لدي رسومات في كهفي وأنا أحميها.

الدكتورة ف.: من رسمها؟

ج.: [بفخر.] إنها لي.

الدكتورة ف.: كيف صنعتها؟

ج.: صخور، قطع صخور... إنه صعب ويستغرق وقتاً طويلاً وهي ملكي.

الدكتورة ف.: كيف صنعتِ تلك الرسومات؟

ج.: بيدي.

الدكتورة ف.: ماذا استخدمتِ أيضاً؟

ج.: لا توجد أدوات... لم يكن هناك شيء.

الدكتورة ف.: ماذا استخدمتِ كطلاء؟

ج.: لم يكن لدي شيء... لم يكن لدي شيء. استخدمت حجراً فقط.

الدكتورة ف.: هل استخدمتِ الحجر لرسم رسوماتكِ؟

ج.: خدشت الجدار... كنت أحاول أن أقول شيئاً ما وأبحث عن شخص وأنا أحرسهم، لكنني أريد شخصاً ما... ليرى ما لدي لأقوله. لا أتكلم. لا أستطيع التحدث.

الدكتورة ف.: هل يستطيع الآخرون الذين يحيطون بكِ التحدث؟

ج.: لا أعرف. أنا وحدي هنا.

الدكتورة ف.: هل لديكِ عائلة؟

ج.: لا أتذكر.

الدكتورة ف.: ماذا تقولين في تلك الرسومات... في تلك اللوحات؟

ج.: إنه جدار كامل. إنها الحياة... والحيوانات. يجب أن تكون هناك حيوانات دائماً. [قيلت بيقين.]

الدكتورة ف.: لِمَ؟

ج.: إنها جزء من كل شيء.

الدكتورة ف.: أي نوع من الحيوانات هناك؟

ج.: إنها قطعان... إنها في حالة حركة. هناك الكثير من الحيوانات.

الدكتورة ف.: وماذا تشعرين الآن؟

ج.: في بعض الأحيان أكون واعية... وفي أحيان أخرى لدي رؤى.

الدكتورة ف.: اندمجي في الرؤيا... وحدثيني عن الحيوانات. أي نوع من الحيوانات رسمتِ؟

ج.: همم... حيوانات في قطعان. كبيرة وصغيرة... وهي في حالة حركة... وتتحرك على جداري، تماماً كما رأيتها.

الدكتورة ف.: ماذا رسمتِ أيضاً على جداركِ؟

ج.: [توقف.] لدي هراوة بها حجر.

الدكتورة ف.: هل استخدمتِ أي شيء لربط الهراوة والحجر؟

ج.: جلد. إنه مربوط ومتقاطع. صنعت ذلك... أنا من صنعته.

الدكتورة ف.: لأي غرض تستخدمين ذلك؟

ج.: لا أريد أن أفكر. [تهز رأسها.]

الدكتورة ف.: لِمَ تستخدمينه؟

ج.: حماية.

الدكتورة ف.: هل تحمين شخصاً ما أم تحمين نفسكِ من شيء ما؟

ج.: لا أراهم، لكنني أبحث.

الدكتورة ف.: عماذا تبحثين؟

ج.: إنه وادٍ كبير... الكهف مرتفع جداً. إنها فوضى من الصخور، صخور جافة، صخور مستديرة... وأنا واقف، أبحث... أنا وحدي هنا.

الدكتورة ف.: أين كنتِ قبل المجيء إلى الكهف؟

ج.: [بتهرب.] طُردت.

الدكتورة ف.: من أين؟

ج.: من كل شيء. [بدهشة.]

الدكتورة ف.: كيف حدث ذلك؟

ج.: أنا غريب ومختلف. هناك أشياء في داخلي ليست صحيحة.

الدكتورة ف.: بأي طريقة أنتِ غريبة أو مختلفة؟

ج.: أعرف أشياء... أعرف أشياء.

الدكتورة ف.: هل يمكنكِ التحدث معي عن ذلك؟

ج.: أنا هنا. أنا غريب جداً. [ضحكات.]

الدكتورة ف.: بأي طريقة تعتبرين نفسكِ غريبة؟

ج.: أنا أعود للوراء... أنا قديم... جداً.

الدكتورة ف.: صفي نفسكِ.

ج.: أنا مشعر... ليس في كل جسدي، لكن شعري أشعث وقبيح... وهو ليس شعراً داكناً... [تنهدات.]... لكن عيناي لا تنتميان... أعرف أكثر من الآخرين.

الدكتورة ف.: هل تبدين مثل الآخرين؟

ج.: لا أستطيع تذكرهم.

الدكتورة ف.: هل مر وقت طويل؟

ج.: لا بد أنه مر وقت طويل، لأنني أشعر بالوحدة الشديدة.

الدكتورة ف.: بأي معنى لا تنتمي عيناكِ؟

ج.: عيناي ليستا في... همم... عيناي تعرفان أكثر من الرجل الذي أتقمصه... لكني في داخل هذا الرجل... وهذا كل شيء.

الدكتورة ف.: وأنتِ تحاولين التواصل مع الآخرين...

ج.: لكنني لا أستطيع التواصل...

الدكتورة ف.: لِمَ؟

ج.: لن يفهموا.

الدكتورة ف.: هل كنتِ تتحدثين اللغة نفسها التي يتحدثونها؟

ج.: يمكنني التواصل بيدي فقط.

الدكتورة ف.: لِمَ؟

ج.: لأنني لا أعرف ما إذا كانوا يتحدثون أم لا.

الدكتورة ف.: كيف كنتِ تتواصلين بيديكِ؟

ج.: كنت أصنع... كنت أصنع رسومات.

الدكتورة ف.: وهل كان الآخرون يصنعون رسومات أيضاً؟

ج.: لا.

الدكتورة ف.: كيف كانوا يتواصلون؟

ج.: هم مختلفون. أنا مختلفة... عنهم.

الدكتورة ف.: حدثيني المزيد عن ذلك.

ج.: هم مختلفون. هم... لا يفهمون. إنهم يتقاتلون... [تنهيدة عميقة محبطة.]... لا يعيشون في الكهف. يعيشون في الوادي.

الدكتورة ف.: عندما تقولين إنكِ تعرفين أشياء، ماذا تقصدين؟ هل يمكنكِ التحدث معي أكثر عن ذلك؟

ج.: أعرف... همم... يجب أن أعلمهم... ولا أستطيع تعليمهم. هم في مكان آخر... وأنا لا أستطيع الوصول إليهم وهم لا يتعلمون وأنا أستخدم رسوماتي... هم أطفال. أنا أكبر سناً... هم أطفال... في هذه الحياة... أنا أعرف أكثر... ولا أستطيع تعليمهم، لأنهم لا يقبلونني.

الدكتورة ف.: عندما تتحدثين عن «أطفال»، هل تقصدين أنهم بالغون لكنهم ليسوا طفوليين، من حيث التطور؟

ج.: هم أطفال، نعم.

الدكتورة ف.: ماذا تريدين أن تعلميهم؟

ج.: كل شيء. كل شيء... كل شيء. يجب أن يعرفوا. [تقوم بحركات واسعة بيديها.]

الدكتورة ف.: حدثيني عن بعض تلك الأشياء.

ج.: الحياة... يجب أن يعرفوا عن الحياة.

الدكتورة ف.: ماذا تودين أن تعلميهم عن الحياة؟

ج.: تثقيفهم... إخراجهم مما هم فيه. إنهم يعيشون بشكل فظيع... أنا لست أفضل، لكني مختلفة... عنهم. لدي عيون زرقاء... لدي عيون زرقاء، هذا هو الاختلاف! هم جميعاً داكنون. وعيناي... عيناي أكثر... لامعتان... عيون لامعة. هم داكنون وسود... شعر أسود، دهني وعراة وأنا لست عارية... ومن أين أتيت؟

الدكتورة ف.: بعد أن أعد حتى ثلاثة ستعرفين من أين أتيتِ. واحد... اثنان... ثلاثة.

ج.: القوط؟... القوط.

الدكتورة ف.: كيف تمكنتِ من المجيء من بين القوط؟ [هل كان يمكن أن تكون من أولئك القوط الذين شاركوا في ثورة اجتماعية، حوالي القرن الرابع وهاجروا إلى إفريقيا؟]

ج.: قمت بـ... رحلة طويلة.

الدكتورة ف.: كيف سافرتِ؟

ج.: كان هناك قارب، كان هناك قارب... قارب مضحك.

الدكتورة ف.: لِمَ كان مضحكاً؟

ج.: كان هناك شاطئ وكان الجو حاراً... لكنني كنت وحدي هناك. لم يكن أحد معي... رأسي! [تئن.]

الدكتورة ف.: تابعي.

ج.: لم يكن قبيحاً كما في الكهف. لم يكن منهكاً إلى هذا الحد... كان أقوى... كان مختلفاً هناك. لكن هنا غريب، أرض جافة... وحارة... لا أتذكر الرحلة... لكن لا بد أنني قمت برحلة... لكن لا أتذكر المسار. جبلان ووادي... والناس... شعر أسود، أسود وسميك. أحاطوا بي وهم متحمسون. هم أصغر مني. أنا طويلة وكبيرة... هناك كلب... هناك كلب. هناك أطفال، رُضع... أنا متعبة. [بصوت مُنهك.]

الدكتورة ف.: كم مضى عليكِ وأنتِ وحيدة؟

ج.: دائماً.

الدكتورة ف.: ماذا تقصدين؟

ج.: أنا فريدة.

الدكتورة ف.: هل يمكنكِ إخباري المزيد؟

ج.: لا يوجد أحد... أتذكره، باستثناء هؤلاء الناس... وأنا... أعرف أنني مختلفة.

الدكتورة ف.: هل كان هناك آخرون مثلكِ، منذ زمن طويل، في مكان آخر، في زمن آخر؟

ج.: ضاعوا. هم لم... ضاعوا. لم يكونوا في القارب.

الدكتورة ف.: هل كنتِ وحدكِ في القارب؟

جـ. - أنا وحيد... أنا وحيد. هم ليسوا معي.

الدكتورة ف. - وماذا حلّ بهم؟

جـ. - الآن، هناك معركة... كيف أقول؟... هناك معركة في مكان ما... في بقعة ما.

الدكتورة ف. - ستتضح لك الأمور أكثر فأكثر، وستتذكر.

جـ. - هناك سيوف وفؤوس وحرّاس يتناوبون... وهناك قتال، الجميع يقاتل، يقاتل، يقاتل... يقتلون.

الدكتورة ف. - هل هناك الكثير من الناس؟ كم عددهم تقريبًا؟

جـ. - كلهم رجال... كلهم يقاتلون... قليلون. ليسوا بالكثيرين، لكنهم جميعًا رجالي.

الدكتورة ف. - يقاتلون بعضهم بعضًا، أليس كذلك؟

جـ. - لا. يقاتلون آخرين مثلنا... ولا أدري لِمَ.

الدكتورة ف. - ستتذكر عندما أعدّ إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

جـ. - القرية... وهناك حقد... أنا أكره. [صدمة.]

الدكتورة ف. - لِمَ؟

جـ. - أشعر بذلك. لا أفهم.

الدكتورة ف. - سيتضح لك الأمر عندما أعدّ إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

جـ. - لا أفهم. [صمت طويل.]

الدكتورة ف. - بمَ يسمّونك؟

جـ. - أنا ذو العيون اللامعة. [أصبح صوته مفعمًا بالحماس.]

الدكتورة ف. - يسمّونك ذا العيون اللامعة؟

جـ. - ذو العيون اللامعة.

الدكتورة ف. - مَن يسمّيك كذلك؟ مَن يسمّيك ذا العيون اللامعة؟

جـ. - قومي، لكن ليس قومي الجدد.

الدكتورة ف. - كيف يسمّيك قومك الجدد؟

جـ. - لا يستطيعون الكلام. لا يتحدثون... مثلي.

الدكتورة ف. - كيف يتحدثون؟

جـ. - آه، إنه أمر غير مفهوم. [بلهجة ازدراء.] ... أنا لا أفهم، وهم لا يفهمونني.

الدكتورة ف. - قلت إنك لا تستطيع التحدث. هل حدث لك شيء؟

جـ. - أظن أن حلقي قُطع. قطعوا شيئًا ما مني.

الدكتورة ف. - سيتضح لك الأمر عندما أعدّ إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

جـ. - شيئان... اللسان والحبال الصوتية، حبالي الصوتية.

الدكتورة ف. - مَن فعل بك ذلك؟

جـ. - كان ذلك قبل السفر في القارب.

الدكتورة ف. - كيف؟

جـ. - عقاب ما. عقاب... لم أكن أريد القتال... لم أقاتل. [بإصرار.] لقد تقبّلني قومي، لكن ظللت غريبًا لأنني لم أقاتل. رأيت القتال... كان لدي حزام. صنعتُ الحزام! كان من الجلد ويتشابك فوق كتفي والجلد... لكنني فقدته. في الكهف لم يبقَ لي سوى الجلد.

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث الآن؟

جـ. - فاشل.

الدكتورة ف. - فاشل؟ هل يمكنك أن تشرح لي ما تعنيه بذلك؟

جـ. - فقدت قومي، أو طُردت... وأنا... وجدت قومًا جددًا... وأنا وحيد.

الدكتورة ف. - لِمَ طُردت؟

جـ. - القتال... القتال... لم أكن لأفعله.

الدكتورة ف. - مَن طردك؟

جـ. - القوم كلهم.

الدكتورة ف. - هل كان قومك هم من طردك؟

جـ. - نعم.

الدكتورة ف. - الآن أودّ أن تنتقل إلى اليوم الأخير من حياتك، عندما أعدّ إلى خمسة. انتبه لما يحدث. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

جـ. - آه... لقد عادوا. انتظرت وحدي... لأرسم لهم رسومات، لأريهم أشياء... وعشت في الكهف... ورموني بالحجارة. لم يتقبّلوا. كنت غريبًا عنهم... أنا تحت الحجارة.

الدكتورة ف. - هل متّ؟

جـ. - كنت أعلم أن هذا سيحدث لي. كان حقًّا...

الدكتورة ف. - انظر ما يحدث في اللحظة التي تلي موتك؛ كيف تشعر وماذا يحدث.

جـ. - [صمت.]

الدكتورة ف. - حسنًا، أودّ أن تعود إلى ما قبل موتك بلحظات قليلة، وأن تنتبه لما يجري. هل يرمون عليك الحجارة والصخور؟

جـ. - حاصروني.

الدكتورة ف. - أودّ أن تصف ما يحدث.

جـ. - كان لدي هراوة... لكن لم أستطع استخدامها.

الدكتورة ف. - لِمَ لم تستطع استخدام الهراوة؟ هل كانوا كثيرين؟

جـ. - كانوا كُثرًا جدًا... [تنهيدة إرهاق عميقة.] لكنني لم أستطع... لم أستطع ضربهم.

الدكتورة ف. - لِمَ؟

جـ. - هم لا يعلمون ما يفعلون... وأنا كنت سأعلم.

الدكتورة ف. - ماذا يفعلون بك؟

جـ. - كلهم يرمون الحجارة... أمام كهفي... عليّ. [بصوت ناعم ومسترخٍ.]

الدكتورة ف. - أين أنت؟

جـ. - على الحافة.

الدكتورة ف. - وأين هم؟

جـ. - الآن يغادرون وأنا تحت الصخور.

الدكتورة ف. - أودّ أن تذهب إلى لحظة موتك وتعرف أين أصابتك الضربات.

جـ. - في كل مكان.

الدكتورة ف. - هل أصابتك في الرأس؟

جـ. - من الخلف، من الأعلى...

الدكتورة ف. - ما كان شعورك؟

جـ. - لم أشعر بألم... شعرت بالتيبّس.

الدكتورة ف. - وبعد ذلك، ماذا حدث؟

جـ. - كان هناك المزيد والمزيد، لكن لا، لا أشعر. و لا... إنه مجرد جسد.

الدكتورة ف. - أين أنت؟

جـ. - في... في كومة... على حافة، وهم مستمرون في رمي الحجارة، حتى تتراكم... فوقي.

الدكتورة ف. - هل أنت داخل جسدك عندما يحدث كل هذا؟

جـ. - نعم.

الدكتورة ف. - وهل لم تعد تشعر بالحجارة؟

جـ. - لا أشعر بألم.

الدكتورة ف. - ما هي إدراكاتك؟

جـ. - كم هو محزن! [ضحكة قصيرة.]

الدكتورة ف. - ما الذي تقصده؟

جـ. - مساكين... لقد فشلت... فشلت.

الدكتورة ف. - هل كان بإمكانك فعل شيء يمنع هذا الفشل؟

جـ. - كنت محدودًا. أدواتي كانت محدودة.

[نهاية جزء ج. و الدكتورة ف.]

[التقرير اللاحق]

بعد أن خرجت جاكي من الغيبوبة، رمشت بعينيها ونظرت إليّ في حالة من عدم التصديق. قالت، ببطء، إنها لا تزال متأثرة بتلك الموجة من الشفقة والحزن وشعور الإحباط والفشل. تمتمت قائلة: «لقد كان حقيقيًا للغاية». وأضافت، وهي تهز رأسها: «كان في ذهني الكثير من الرسومات ـــ أكوام من الأشياء التي كنت أراها ولم أستطع وصفها». قالت إنها في البداية بذلت جهدًا كبيرًا ـــ كانت الذكريات قديمة جدًا! انغمست في تأمل عميق، وقالت في الختام: «سيكون لدي الكثير لأفكّر فيه خلال الأيام والأسابيع القادمة».

بالنظر إلى الجهد الذي بذلته للإجابة عن أسئلتي، سألتها عما إذا كانت قد شعرت بمشاكل في التواصل اللفظي في هذه الحياة. انهمرت الدموع على وجهها، وأومأت برأسها إيجابًا. اعترفت بأنها تجد صعوبة بالغة في التعبير عن نفسها لفظيًا ـــ وغالبًا ما لا "يسمعها" أقرب الناس إليها.

عندما كانت تغادر، توقفت عند الباب، عبست وقالت إنها شعرت بخيبة أمل لعدم قدرتها على التراجع إلى حياة مع زوجها. بعد أن أُغلق الباب، سألت نفسي عما إذا كانت قد أدركت قيمة الجوهرة الثمينة التي اكتشفتها! يا له من رجل حسّاس وراقٍ ومتفهّم كان ذو العيون اللامعة! أنا مسرورة لأنني عرفته.

الفصل الرابع - «أعلم ما وراء ذلك الباب!»

أشارت الإشارة الزرقاء الصغيرة على الجدار إلى أن مريضتي الجديدة قد وصلت للاستشارة الأولى — متأخرة خمسًا وثلاثين دقيقة! «يا له من غباء مني! ظننت أن الموعد كان للساعة الحادية عشرة لا العاشرة. أنا لا أتأخر أبدًا — في الواقع، دائمًا ما أصل مبكرًا إلى المواعيد».

كان وجهها محمرًا وتتحدث بصوت عالٍ جدًا. خطرت في ذهني فكرة — يا لها من مقاومة هائلة! لن يكون الأمر سهلًا أبدًا!

إليزابيث امرأة تعاني من زيادة في الوزن؛ تناهز الخامسة والثلاثين، وذات تعابير حزينة وخجولة. عيناها البنيتان الكبيرتان والحزينتان محاطتان بهالات سوداء عميقة. كانت ترتدي ملابس غير مهندمة؛ فقد حشرت كيلوغراماتها العشرة الزائدة داخل بنطال جينز أزرق أصغر برقمين من مقاسها. قميص داكن كئيب وحذاء رياضي أكملوا الصورة المهملة. الشعر الداكن، القصير جدًا والمُرقّط بالرمادي، وغياب مستحضرات التجميل أعطوني انطباعًا بأن هذه المرأة لا تولي اهتمامًا كبيرًا لنفسها.

تساءلت عما إذا كانت تخشى الجلوس بظهرها نحو الباب، لأنها رفضت اقتراحي بالجلوس على الكرسي المُتّكأ الذي يستخدمه المرضى عادةً.

على الرغم من أننا قضينا وقتًا قصيرًا معًا في تلك الجلسة الأولى، تمكنت إليزابيث من إيصال حاجتها المُلحة واليائسة للمساعدة. وكما قالت: «يجب أن ينجح هذا!». ووضّحت قائلة إن التحكم في الوزن كان شاغلها الأكبر. «طوال حياتي كنت بدينة. كنت أبدو وكأنني يقطينة وفوقها كرة عندما كنت في السنة الثالثة من الدراسة». رسمت الشكل بيديها. اضطررنا كلتانا للضحك. (روح الدعابة — علامة جيدة.) بوزن يبلغ مئة واثني عشر كيلوغرامًا في البداية، كافحت دهونها خلال العامين الماضيين حتى تمكنت من خسارة ثمانية وثلاثين كيلوغرامًا. ولكن الآن بدأت الكيلوغرامات والسنتيمترات تعود ببطء.

كريس، زوجها، كان يفضّلها نحيفة، مما زاد المشكلة تعقيدًا. وصفت نظامًا غذائيًا عاديًا ومُندفعًا ــــ تستيقظ صباحًا وهي عاقدة العزم، ثم تعجز عن مقاومة تناول شريحتي خبز بالزبدة والفول السوداني والمربى مع كوب ضخم من الحليب كغداء، يليه شعور بالندم لأنها كانت "ضعيفة". في تلك اللحظات النادرة التي كانت تشعر فيها بأنها يجب أن تشعر بالرضا عن نفسها، كان عليها أن تفعل شيئًا ما لمقاومة مشاعرها الإيجابية: «لا فائدة! لست جائعة، فلماذا آكل ذلك؟ لكن جزءًا آخر مني يقول: 'اصمتي وكُلي!'». وهكذا، إذا خسرت بعض الكيلوغرامات، فمن المؤكد أنها كانت تقوم "بنوبة أكل" أو تستسلم لوجبة مثلجات لا تُقاوم، حارة وباردة. ثم يتحول النظام الغذائي بالنسبة لها إلى شكل من أشكال العقاب، فتشعر بتحسن. حلقة مفرغة وضارة! ظهر النمط ذاته في جوانب أخرى من حياتها ــــ إنفاق المال، الانخراط في مشاريع أو أعمال.

غطّت فمها بيديها، وكأنها تخفي الكلمات ــــ والأفكار ــــ، وتطرقت بتردد وألم إلى مشاكلها الحقيقية. تلك التي كافحتها طوال حياتها. بنظرة يائسة، أخبرتني أنها محاطة بمخاوف من المرتفعات، والثعابين، والسحالي، والعناكب، و«كل شيء!». علاوة على ذلك، كانت مُقعدة لسنوات بسبب الاكتئاب العميق. همست: «أعيش على مضادات الاكتئاب. كنت دائمًا سوداوية المزاج». «طوال حياتي كان لدي شعور بالذنب... ولا أعرف ما هو ذنبي. لذلك، أبحث عن أسباب». قبضت يديها بقوة وهي تطلق كل الأشياء التي اعتادت استخدامها لتعذيب نفسها. حتى طلب المساعدة كان شكلًا من أشكال العقاب الذاتي. أن تضطر إلى إنفاق هذا القدر من المال على نفسها! عند سرد ماضيها، رسمت مخططًا لنوبات اكتئاب دورية للغاية. قبل عدة سنوات، سقطت في اكتئاب عميق جدًا استمر ثلاث سنوات. خلال تلك السنوات، كانت تجلس لساعات طويلة ــــ وتقضي بقية وقتها في القراءة في السرير. كانت أبسط مهمة بالنسبة لها مغامرة ضخمة، تتركها مُنهكة. الآن شعرت بأنها تنزلق إلى النمط ذاته، وهذا أفزعها. تنهدت قائلة: «إنها معركة مستمرة». روت أنها كانت تتذكر البكاء كثيرًا خلال فترة الاكتئاب. في ذلك الوقت، كان خوفها الرئيسي هو الانتحار أثناء النوم. كان زوجها يخفي جميع السكاكين وشفرات الحلاقة بشكل دوري. لم تقم أبدًا بمحاولة علنية لتدمير نفسها، ولكن، بطرق غير مباشرة، حاولت إنهاء حياتها قبل الأوان. كانت لديها قرحة تنزف لأشهر. عندما تعافت، أصيبت بمرض خطير آخر، مشكلة في الغدة الدرقية، ثم مرض آخر وآخر.

لأعوام، استشارت أطباء نفسيين وصفوا لها مضادات الاكتئاب والمهدئات. كان هناك معالجون "لا يتحدثون. لقد كانت تجربة طويلة ومروعة! أحدهم أوقف كل أدويتي، حتى مضادات الاكتئاب. وحتى مع ذلك لم يتحدث معي — كان يقول فقط 'همممم'». أكثر من مرة، أوصاها أطباؤها بدخول المستشفى فورًا. رفضت. اعترفت بنظرة يائسة: «لا أعرف لماذا كنت خائفة جدًا من الذهاب إلى المستشفى. أجبرت زوجي على توقيع إقرار يقول إنه لن يسمح لي أبدًا — حتى لو كنت في حالة سيئة للغاية — بالدخول إلى المستشفى». قبل أن تأتي إليّ للعلاج، طلب منها زوجها إجراء فحص في قسم الطب النفسي بالمستشفى المحلي. ليوم واحد فقط! «كانت شركة التأمين ستدفع لنا ثمانين بالمئة. لم أستطع حتى التفكير في البقاء هناك لمدة أربع وعشرين ساعة». بعد أن انتهت من "اعترافها"، صمتت ونظرت إليّ بنظرة مُتوسلة.

سألتها لماذا قررت المجيء إليّ. أجابت على الفور: «قرأت مقالًا في الصحيفة عن عملك. أظن أن هذه المخاوف تنبع من حيوات سابقة. لا يوجد شيء في هذه الحياة يمكن أن يكون قد سبب كل هذا الضيق».

في لقائنا التالي، شرحت إليزابيث ما هي "تلك المخاوف". بدأت بالاعتراف بأنها شعرت بـ"موجة كبيرة من الذنب" في الأسبوع السابق لتأخرها عن الموعد. «أنا لا أسمح لنفسي بأي خطأ». بالإضافة إلى الذنب، أي خطأ، حتى لو كان صغيرًا جدًا، يسبب لها القلق. استمرت، وهي تهز كتفيها، قائلة إنها لا تستطيع تحمل رؤية أي شيء عنيف أو مُدمّر. «الإرهاب، أو إساءة معاملة الناس أو سوء استخدامهم، يُرعبني». كانت تثور غضبًا عند رؤية أقل قطرة دم. إذا أصيب أحد أطفالها الثلاثة ونزف، حتى لو كان خدشًا صغيرًا، فإنها "تفقد السيطرة"؛ تشعر بالآلام ذاتها التي يشعر بها. لم تستطع رؤية ولادة أطفالها، على الرغم من أنها اختارت الولادات الطبيعية. بسبب الدم، أصرت على الممرضة أن تغطي المرآة بمنشفة. كانت تختار الأفلام غير العنيفة بعناية. كانت تتصفح المجلات والإعلانات للتأكد من أنها تستطيع تحملها. تتحدث مع الأصدقاء قبل أن تجرؤ على الذهاب إلى عرض ما. ومع ذلك، لم تسر الأمور على ما يرام دائمًا. اضطرت إلى المغادرة بسرعة عدة مرات، وكانت على وشك التقيؤ. أوضحت: «عليّ أن أقرأ كتب الغموض بالتدريج». «رأيت عملية جراحية على التلفزيون وشعرت بآلام المريض. أصبحت عاطفية جدًا. أبكي في عروض التمثيل الصامت».

لكن، إلى حد بعيد، كان أكثر مخاوفها إيلامًا هو الرعب من العودة إلى المنزل والعثور على أطفالها مُصابين بأذى. الآن بعد أن أصبحوا جميعًا مراهقين وتجاوزوا سن الحاجة إلى جليسة أطفال، شعرت بقلق أكبر. كل خروج كان مناسبة مؤلمة. عند العودة إلى المنزل، من الخروجات النادرة التي سمحت بها لنفسها، كانت تُصر على أن يذهب الزوج ليرى الأطفال. كانت تبقى في السيارة، "متوترة وخائفة حقًا". فقط بعد أن يؤكد لها أنهم بخير كانت تستطيع الدخول أيضًا. عندما سألتها، مباشرة، عما تتخيل أنه قد حدث، عضت يدها وعبست. «شخص ما سيدخل المنزل ـــ سيقتل الأطفال ليلًا. دائمًا بسكين. دائمًا أمر مروع!». قلقها المبالغ فيه على الأطفال امتد إلى جميع جوانب حياتهم. كانت تقلق إذا كانوا بالقرب من درابزين. كانت تقلق إذا تأخر أحدهم في العودة إلى المنزل أكثر من عشر دقائق. كانت تخشى أن يكونوا قد أصيبوا أو ضاعوا أو أنهم ليسوا على ما يرام أو ليس لديهم أصدقاء ـــ وهكذا دواليك. «أخشى أن يستخدم الأطفال السكاكين. لا أريدهم أن يقاتلوا. لكن لا أستطيع أن أُرسّخ ذلك في أذهانهم». كانت تلوح بيديها. «والذنب الأبدي! لا أستطيع أن أقول لهم 'لا' لأي شيء!».

قبل أن تنتهي الجلسة، حاولت تعليم إليزابيث التنويم المغناطيسي الذاتي. اقترحت عليها أن تغمض عينيها وتركز على تنفسها. بدلًا من ذلك، جلست مستقيمة جدًا. بعينين مفتوحتين على مصراعيهما قالت: «أنا قلقة حقًا بشأن ما قد أكتشفه. ربما لدي أسباب للشعور بالذنب ـــ شيء لا يمكن تغييره. ماذا لو قتلت شخصًا في حياة سابقة؟ لكن لا. لن أكون قادرة على ذلك. هذا ليس جزءًا من شخصيتي الجوهرية». ثم، بصوت مُتوسّل، قالت: «ربما من الأفضل أن نترك هذا الأمر وشأنه». ناقشت معها حالات أخرى ذات صلة. أوضحت لها أن أشخاصًا آخرين، من خلال الفهم ـــ وبجهد عقلي وشجاعة ـــ تمكنوا من التغلب على أعراضهم ومشاكلهم. أخيرًا، تركت نفسها تغرق ببطء، مستندة إلى ظهر الكرسي، وأغمضت عينيها وقالت بصوت قلق: «حسنًا، أنا مستعدة». بدأت من جديد، ولكن بعد دقيقة، انفتحت عيناها. «أشعر بالخوف». قالت إنها يمكن أن تسترخي بشكل أفضل على الأرض.

قلت: «ولِمَ لا نجرب؟». ثم وضعت جسدها المُعذَّب على الأرض. سألت: «هل هذا أفضل؟». قالت: «أعتقد ذلك». أعطيتها اقتراحات مُهدّئة، طالبة منها أن تغمض عينيها بينما أتحدث معها. ارتخت عضلات وجهها. استرخاء يديها. أصبح تنفسها أعمق وأكثر انتظامًا. هدأ أيضًا النبض، الذي كان يسير سريعًا وظاهرًا في عنقها قبل قليل. بعد أن استرخى جسدها تدريجيًا بالكامل، وافقت على الفور على اقتراحاتي. ابتسمت. «هذا جيد!». طلبت منها الاستماع إلى الشريط الذي سجلته لها مرتين يوميًا. ثم حددنا موعد الاستشارة التالية للأسبوع الذي يليه.

عندما عادت، بدأت الجلسة بالإعلان عن أن الشريط لم يساعدها. بدأت تسترخي فعلًا، إلى حد ما ــــ ثم فقدت السيطرة. لم تستطع أن تثق بنفسها. كانت تخشى ما ستكتشفه. قد يؤثر ذلك عليها ــــ شيء كان هناك لسنوات. «لا أستطيع أن أكون سعيدة. لا أستطيع أن أسترخي. أخشى ما قد يكون هناك». لم تستطع أن تتخلى عن وضعها الدفاعي، لأنها أرادت تجنب الاكتشاف. مرة أخرى، كان لدي شعور واضح بأن مساعدتها على مواجهة لاوعيها كان عملي الأكبر.

لمعرفة مدى اختبائها من نفسها، سألتها عما إذا كانت تحلم. «ليس لدي أحلام». ومع ذلك، كان هناك كابوس دوري، وصفته بأنه "تصاعدي" لأنه يتغير قليلًا في كل حلم. عندما كانت صغيرة كانت ترغب في شيئين: زوج ومنزل فكتوري. بعد أن تزوجت، كانت تحلم بين الحين والآخر بأن: نشتري منزلًا قديمًا جميلًا. نصلحه. يصبح أجمل. تدريجيًا، وفي كل حلم أكثر قليلًا، أرى الداخل. إنه ساحر، وبه الكثير من الأخشاب، لكنني لا أرى الطابق العلوي أبدًا.

أضافت أنه عندما أدركت أنها لم ترَ الطابق العلوي أبدًا، انغمست في أول "اكتئاب فظيع" لها. اهتز صوتها وهي تصف المرة الأولى، قبل سنوات عديدة، التي حاولت فيها صعود الدرج.

كانت تلك هي الليلة الأكثر رعبًا في حياتي ــــ الجهد الذي تطلبه صعود تلك السلالم! بدأ المنزل يتدهور. كنت أبذل جهدًا هائلًا لصعود السلالم. كانت هناك أهوال حقيقية في كل غرفة. وجدت في تلك الغرف وحوشًا، ثعابين، عناكب، أشياء فظيعة، لم أستطع مواجهتها. وكانت قذرة. كنت أنظف واحدة وتتسخ مرة أخرى. ولكن، بجهد كبير، أصبحت نظيفة أخيرًا. ثم أصبح المنزل سعيدًا.

في هذا الوقت، بعد ثلاث سنوات، كان اكتئابها يختفي. (أكد هذا اعتقادي بأن المنزل يرمز إلى روحها.) ثم تذكرت تجربة مُخيفة للغاية حدثت تقريبًا في ذلك الوقت. شعرت أخيرًا بأن لديها ما يكفي من القوة لمغادرة المنزل، فقامت بجولة بين المنازل القديمة وزارت منزلًا ريفيًا. كانت على وشك دخول غرفة عندما شعرت بالشلل للحظات من الخوف. «كنت أعرف أنني إذا عبرت تلك العتبة فلن أعود إلى المنزل حية. كانت هناك مأساة في تلك الغرفة. لم أستطع البقاء في المنزل أكثر... خرجت وأنا أرتجف وركضت حتى وصلت إلى المنزل». كانت ترتجف حتى وهي تتذكر الحادثة. استغرق الأمر مني عدة دقائق لتهدئتها.

ثم، في ذلك الوقت، أخبرتني أنها رأت الكابوس في الليلة التي سبقت استشارتنا. «ولكن، هذه المرة، هناك غرفة أخرى في الطابق العلوي — علية. لا أستطيع حتى أن أتخيل ما قد يكون هناك!».

رأيت إليزابيث مرة واحدة في الأسبوع لعدة أشهر. في هذه الفترة، استمرت على الحال ذاته، تبدأ الجلسة في الكرسي ووجهها نحو الباب ولكن تستلقي على الأرض عندما نستخدم التنويم المغناطيسي. على الرغم من مخاوفها، كانت تلتزم دائمًا بمواعيدها — تصل عادة قبل نصف ساعة. كانت تتدرب على التسجيل مرة واحدة على الأقل يوميًا، على الرغم من المقاومة الكبيرة السابقة. تمكنت من الاسترخاء أكثر فأكثر مع تنويمها المغناطيسي الذاتي، حيث تعلمت أن تثق بي — وخاصة بنفسها.

في لقاءاتنا، أسبوعًا بعد أسبوع، علمت المزيد عنها. كانت لديها علاقة حانية وحميمة مع زوجها الذي كان داعمًا جدًا. «نحن نحب ونُعجب ببعضنا البعض. لدينا مشكلة جنسية منذ سنوات بسبب الاكتئاب. لا أستطيع أن أسترخي. ماذا لو حدث شيء للأطفال في ذلك الوقت! أنا دائمًا أنتظر وأُنصت. لكننا تعلمنا التعايش مع هذا. لقد تأقلمنا هكذا، لكنها خيبة أمل لكلينا. أنا لا أسمح لنفسي بلحظة استرخاء». تحدثت عن مشكلة حلتها منذ سنوات. «خوفي الكبير الوحيد كان أن يغادر. اعتدت أن أقلق دائمًا بسبب ذلك. في النهاية، تمكن من ترسيخ في ذهني أنه لن يتركني أبدًا — أبدًا، لأي سبب. أقنعني بأنه ليس لدي أسباب للتفكير بهذه الطريقة. الآن لم يعد لدي الكثير من الخوف. لكنني ما زلت أشعر بخوف فظيع عندما يكون بالخارج — ربما يدخل شخص ما. أنا دائمًا أتحقق من الأقفال والنوافذ. إنه أمر مروع ليلًا». على الرغم من مشكلتها الجنسية وقلقها عندما يكون بالخارج، بدا أن علاقتهما مبنية حقًا على الحب.

أطفالها الثلاثة، بيتسي، مارك وجودي، هم «أطفال طيبون»، على الرغم من دراما المراهقة العادية. ابنتها الكبرى، بيتسي، واجهت مشاكل متفرقة. «إنها مُتسلّطة جدًا على الآخرين — أمّ صغيرة. لا يحبون ذلك». كانت إليزابيث قلقة بشأن بيتسي. «أحيانًا تكون محبطة وتشعر بالكثير من القلق. آمل ألا تواجه المشاكل ذاتها التي واجهتها».

استمرت في الشكوى من وزنها، قائلة إنها لم تعد تستطيع ارتداء بنطال الجينز الخاص بها، الذي كان "زيها الرسمي" اليومي. (استمرت في المجيء كل أسبوع بالملابس ذاتها. بنطال جينز وقميص.) طلبت منها أن تتحلى بالصبر فيما يتعلق بوزنها. كنا بحاجة إلى معالجة الأسباب الكامنة. أشرت إلى أنها متوترة جدًا بالفعل، حتى بدون محاولة اتباع نظام غذائي. وافقت بسرعة.

أخيرًا، في أحد الأسابيع، تمكنت من إنشاء إشارات الأصابع! ثم استجوبت لاوعيها. لكنني واجهت جدارًا غير متوقع من المقاومة. تم الرد على معظم أسئلتي بإصبعها "لا أريد الإجابة". بعد ثلاث جلسات، أعلن لاوعيها أن مشاكلها تنبع من حيوات سابقة. أعطيتها اقتراحات بعد الغيبوبة من أجل أن تستعد، في المرة القادمة، للتعامل مع الأحداث التي تسببت في معاناتها النفسية.

في الأسبوع التالي، عندما ظهرت، سقطت في الكرسي وبدأت تبكي. انهمرت الدموع على وجهها، وقالت إنها لا تريد التحدث عن نفسها في ذلك الأسبوع. «حدث شيء. إنها بيتسي». روت حوادث، وقعت في الأسبوعين الماضيين، أشارت إلى أن بيتسي بحاجة ماسة إلى مساعدة نفسية. بدا لي أن الفتاة كانت تعاني من اكتئاب عميق. أوصيت لها بمعالجة ممتازة. كان لدي شعور، لكنني لم أقله لإليزابيث، بأن بيتسي كانت، بطريقة ما، صدى للاضطراب الذي شعرت به والدتها، نتيجة لعملنا. كان لدي أيضًا شعور بأن هذا كان في الوقت المناسب بطريقة ما، لصرف الانتباه. كان لا يزال لدينا بضع دقائق؛ فطلبت من إليزابيث أن تسمح لي بإعطائها بعض الاقتراحات المغناطيسية، لمساعدتها في لقائنا التالي. وافقت واستلقت على الأرض. بعد تحفيز الغيبوبة، نقلت إلى لاوعيها اقتراحات قوية ومُتكرّرة للاستعداد، على ذلك المستوى، "لتكون مستعدة لرؤية الأحداث المسؤولة عن مشاكلها".

على ما يبدو، أفزعتها اقتراحاتي! ألغت الموعد التالي، عشية الاستشارة، متذرعة بـ"نزلة برد فظيعة".

لكن في الأسبوع التالي جاءت، قبل نصف ساعة كالعادة. عندما خرجت لأحييها، فكرت: «هل ستكون قادرة على التراجع إلى حياة سابقة؟ هل هذه هي المشكلة؟». دخلت وهي تبدو متوترة قليلًا. قضينا بضع دقائق نتحدث عن ابنتها. بدا أنها تشعر بتحسن وأنها معجبة بالمعالجة. أخيرًا شعرت إليزابيث بالارتياح الكافي لتتمكن من الاسترخاء. تحت الغيبوبة، حاولت التراجع إلى الحياة المسؤولة عن مخاوفها. ببطء تلقت بعض الانطباعات الغامضة. ثم شعرت بحزن عميق، كان يتضخم داخلها. تحررت تلقائيًا تمامًا من الغيبوبة. «لا أعتقد أنني أستطيع. هناك شيء مُرعب هنا». طلبت منها أن تسترخي وأعطيتها المزيد من الاقتراحات للاستعداد، على أمل أن تخترق لاوعيها.

في الأسبوعين التاليين اشتكت من أن مضادات الاكتئاب لا تساعد. شعرت بـ"حزن عميق جدًا". كانت تستيقظ كل صباح وهي يائسة ومُتعسرة. لم تستطع أن تسترخي بقدر ما كانت تفعل سابقًا، مع التسجيلات. بالإضافة إلى ذلك، كانت "تزداد سمنة أكثر فأكثر". بدأت تتساءل عن جدوى استمرار الجلسات. شرحت لها أن كل هذا كان علامة على أننا نقترب من أشياء مهمة.

لحسن الحظ تمكنت أخيرًا من رؤية المزيد؛ تمكنت من تجميع شظايا من طفولة تعيسة للغاية وحياة زوجية مبكرة، كامرأة من القرن التاسع عشر في أوروبا. كعادتها، استلقت على الأرض للعمل المغناطيسي. هذه المرة، بعد التحفيز، عندما كانت مسترخية بعمق، طلبت الجلوس على الكرسي المُتّكأ (بظهرها نحو الباب!). نهضت، وتوجهت إلى الكرسي، وسقطت عليه بثقل وبعد ثوانٍ قليلة استأنفت تجربة الأسابيع السابقة واستمرت في تلك الحياة في القرن التاسع عشر. بسبب الصدمات، كانت ناقصة جدًا لدرجة أن الأمر استغرق ساعة وخمس عشرة دقيقة للتجول فيها. خلال معظم الوقت بكت وانتحبت بهستيريا — غير قادرة على الاستمرار في بعض الأحيان. في تلك الحياة، بصفتها البالغة الوحيدة المسؤولة في دار للأيتام، ودون أن تتمكن من فعل أي شيء، اضطرت إلى مشاهدة الموت المؤلم، بالنار، لثلاثين طفلًا كانوا تحت رعايتها — جميع أولادها وبناتها الأعزاء. في ذلك الوقت كانت وحدها. كان زوجها خارج المدينة، في رحلة عمل. لم تكن تتحدث لغة البلد الذي كانت فيه — الهند — لذلك لم تستطع طلب المساعدة. بعد التراجع، كانت مُنهكة تمامًا. كانت مندهشة. لم يتناسب ذلك تمامًا مع صورة أعراضها. تذكرت خوفها على أطفالها. التراجع شرح الذنب الذي حملته طوال حياتها والخوف الذي شعرت به عندما كان زوجها بعيدًا عنها. لكنني ما زلت أحمل في ذهني الصورة التي كانت تنتظر فيها في السيارة، ليذهب زوجها للتأكد من أن أطفالها على قيد الحياة. ظللت في حالة عدم يقين حتى الأسبوع التالي.

«كنت مُنهكة لمدة ثلاثة أيام. لكن، بصراحة، لا أشعر بتحسن. في الواقع، كنت أشعر بالإحباط والاكتئاب عمومًا، طوال الأسبوع». كنت أعلم أن لدينا المزيد من العمل أمامنا. وهذا ما فعلناه. تراجعت إلى حياة كقبطان بحري. أخرى، كضابط أول. أخرى كامرأة غير محبوبة لقبطان بحري. كانت جميعها حيوات مثيرة للاهتمام وقد أثرت كل واحدة منها بطريقة ما على حياتها الحالية. ولكن، مع ذلك، لم تتمكن من العثور على الراحة التي كانت تبحث عنها. خلال هذه الفترة من علاجها، كان التوتر أكثر من اللازم بالنسبة لها وتركت الجامعة. (كانت قد حضرت بعض الدورات في الأنثروبولوجيا.) «كانت لدي ثلاث مشاكل: أنا، بيتسي، والفصول الدراسية. كان على واحدة منها أن تختفي». شعرت بالغضب من نفسها. «ومما زاد الطين بلة، آكل أكثر فأكثر ويزيد وزني. أعتقد أنه لا فائدة. أشعر بالتشاؤم الشديد». من حين لآخر لم تستطع تحمل الاستماع إلى التسجيل.

ثم، في أحد الأسابيع، بعد أربع عشرة جلسة من لقائنا الأول، ظهرت بابتسامة. أعلنت أنها تشعر بأنها بخير. حتى أنها توقفت عن تناول مضادات الاكتئاب. تمكنت من الاستماع إلى الشريط، ثلاث مرات يوميًا، في الأسبوع السابق. «أحيانًا، عندما أستمع إليه، فجأة أشعر بالاسترخاء لدرجة أنني كدت أن أنام». حتى زوجها أخبرها بأنها تبدو أكثر استرخاء وأكثر ثقة بالنفس. (إذًا، في العمق، كانت التراجعات تُؤتي ثمارها.) أضاءت عيناها عندما بدأت تروي لي حلمًا رأته في الليلة السابقة. قالت بنبرة اعتذارية: «ليس له علاقة بمشاكلي. ولكن بما أنني لا أحلم أبدًا، باستثناء ذلك الكابوس، ظننت أنك قد ترغبين في سماعه». طلبت منها أن تصف الحلم، وهو مُدوّن هنا، كلمة بكلمة:

كان عن منزل. لم يكن ذلك الذي تحدثت لك عنه. بدأ بمنزل جدتي ثم تحول إلى منزلنا، الذي نعيش فيه. جاء شخص لزيارتنا. كنا نشاهد التلفزيون الملون، وهو أمر غريب، لأن جهازنا أبيض وأسود. كان هناك جزء مخفي من المنزل. في الواقع كان منزلًا آخر بالكامل تقريبًا. مررت عبر خزانة لرؤيته. يمكن إصلاحه ليصبح رائعًا. كانت هناك تحف جميلة، تذكارات وأشياء أنيقة. لم يكن مُخيفًا. كنت أرغب بشدة في إظهاره لصديقنا! أعجبتني هذه الجزء حقًا. لكنني لم أتمكن أبدًا من إصلاحه. كنت أتخيل كيف سيبدو إذا أصلحناه. يحتاج إلى طلاء، وقت، مال وقوة. لا أستطيع أن أفعله بمفردي. يمكن أن يكون أجمل جزء من المنزل بأكمله. ثم دخل الزائر وكنت أرغب بشدة في أن أُريهم — كان الزائر زوجين وفي الوقت ذاته، شخصًا واحدًا. إنه أمر غريب. كلما بدأت أتحدث عن ذلك ظهرت أشياء أخرى. أردتهم أن يعرفوا عن الغرفة. على الرغم من أننا عشنا هناك لفترة، لم أُظهر هذه الغرفة لأي شخص أبدًا. أخيرًا غادروا وأدركت أنني لم أتمكن من إظهار ذلك لهم. شعرت بخيبة أمل كبيرة!

بعد أن روت الحلم، أضافت: «سيكون جميلًا جدًا لو وجدت شخصًا لمساعدتي في ترتيبه. إنه مثل تلك الغرفة المُرعبة في العلية... لكنه ليس الشيء ذاته. أتمنى أن أنهي ذلك الحلم».

شعرت بأن ذلك "الشخص" كنت أنا، وأنها كانت تطلب مني المساعدة لحل اللغز الأخير. باتباع هذا الشعور، اقترحت أن تنهي الحلم، تحت التنويم المغناطيسي. طلبت منها أن تغمض عينيها، وتركز على تنفسها وتسترخي. بعد ثوانٍ قليلة، ولم تكن قد دخلت بعد في غيبوبة عميقة جدًا، قالت: «كلمة 'قتل' خطرت لي في ذهني. لست متأكدة مما إذا كانت واعية أم لا». ولوحت بيديها، وأضافت: «أحمر، سكين، تجعيدات، قميص نوم لفتاة صغيرة، مزرعة». ثم: «'حفلة' خطرت لي في الذهن». كانت تخترق حياة سابقة. لم أكن قد أعطيتها أي اقتراحات للتراجع في الزمن ـــ لم أعدّ لكي تتراجع. لقد ذهبت وحدها. كان هذا استثنائيًا ـــ ومهمًا! سألتها أين هي:

إ. - في مطبخي... إنه منزل ريفي صغير.

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث؟

إ. - انتهيت... انتهيت للتو من العشاء و آه... نُحمّم الأطفال و... نستغرق وقتًا طويلًا جدًا! [بانفعال.]

الدكتورة ف. - هل يبدو لك أنهم يستغرقون وقتًا طويلًا؟

إ. - نعم-نعم. إنها دائمًا تبحث عن أشياء: «اغسلي شعرهم مرة أخرى، اغسلي آذانهم مرة أخرى، اغسلي الـ...»... دائمًا آه! إنها قلقة ومتوترة ودائمًا تبحث عن أشياء للاستمرار. [تزداد انزعاجًا.]

الدكتورة ف. - ما رأيك في ذلك؟

إ. - أريد فقط أن أنتهي، مرة واحدة وإلى الأبد!

الدكتورة ف. - مَن هناك؟

إ. - أخت زوجي، الأطفال الثلاثة... والقط.

الدكتورة ف. - كم عمر الأطفال؟

إ. - الأكبر عشر سنوات... وفتاة في السادسة والطفل. وفتاة والابن الأكبر صبي.

الدكتورة ف. - ما هو اسمك؟

إ. - سارة؟... نعم، سارة.

الدكتورة ف. - ماذا تفعلين الآن؟

إ. - أستعد للذهاب إلى مكان ما... همم... و آه... هي لا تريد الذهاب.

الدكتورة ف. - هي لا تريد الذهاب؟

إ. - هذا هو... ربما لهذا السبب الجو متوتر. آه... هناك غضب هنا وتجادلنا، أو شيء من هذا القبيل، هذا هو... أنا غاضبة جدًا لأفكر... لكن... هي تتصرف بغباء وهي حمقاء... و آه... أنا حقًا سئمت منها. تقضي حياتها جالسة تتذمر وتشكو من أنها لا تذهب إلى أي مكان أبدًا. لا تفعل أي شيء أبدًا و... و آه... هي لا تريدني أن أفعل أي شيء أيضًا.

الدكتورة ف. - لا تريدك أن تخرجي، أليس كذلك؟

إ. - نعم-نعم.

الدكتورة ف. - أين زوجها؟

إ. - لا يعمل في المنزل. يعمل بعيدًا عن المنزل.

الدكتورة ف. - ماذا يفعل؟

إ. - يعمل في... في مزرعة مجاورة، لكنها ليست أقرب مزرعة. إنها بعيدة و آه... ولدينا قطعة أرض صغيرة، ولكسب المال، يعمل بالخارج... إنه وقت الحصاد وقد عمل.

الدكتورة ف. - هل زواجهما سعيد؟

إ. - ليس هناك حتى تفاهم. إنهما متزوجان وهذا كل شيء.

الدكتورة ف. - ما الذي يُحتفل به اليوم؟

إ. - إنها مجرد حفلة... انتظري دقيقة، ليست مجرد حفلة، ما هي؟

الدكتورة ف. - عندما أعدّ إلى ثلاثة، ستعرفين. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

إ. - [مبتسمة.] أوه! أصدقاء لنا تزوجوا، يعودون اليوم من شهر العسل وسينتقلون إلى منزلهم الجديد و... و دُعينا و... و قالوا أن نحضر الأطفال، يمكنهم النوم في الطابق العلوي و... ويريدون أن نذهب كلتانا.

الدكتورة ف. - هل سيكون هناك أشخاص آخرون في الحفلة؟

إ. - نعم. إنها... إنها مدينة صغيرة والجميع يعرفون بعضهم البعض و... سيكون هناك أطفال آخرون وسوف يضعون مراتب على الأرض، في الطابق العلوي، وسينام جميع الأطفال هناك. وهي لا تريد الذهاب. [بسخرية.] لكنها تستمر في القول إنها لا تذهب إلى أي مكان أبدًا.

الدكتورة ف. - ما رأيها في ذهابك؟

إ. - حسنًا، هي تقول إنها لا تريدني أن أذهب، لكنها فقط، آه... هي لا تريدني أن أذهب أبدًا. [بانزعاج شديد.] هي دائمًا وحيدة... تعيسة، مُكتئبة. تقول إن يومها كان صعبًا وإنها فقط لا تريد أن تبقى وحدها.

الدكتورة ف. - هل سيكون هناك شخص ما تريدين رؤيته في الحفلة؟ شخص ما ترغبين في رؤيته؟

إ. - [تبدو وكأنها تبحث ذهنيًا.]

الدكتورة ف. - سأعدّ إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

إ. - لا. يظهر اسم ديفيد، لكن هذا، آه... لا يوجد أحد على وجه الخصوص، لا.

الدكتورة ف. - تقدمي بضع لحظات في الزمن وانظري ما ترتدين وكيف تستعدين للحفلة، عندما أصل إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

إ. - يا إلهي. [تعض شفتها.]

الدكتورة ف. - ما الأمر؟ هل هناك شيء خاطئ؟

إ. - [صمت.]

الدكتورة ف. - هل تريدين أن تخبريني؟

إ. - [تهز رأسها، نافية.]

الدكتورة ف. - لِمَ؟ أنت تهزين رأسك. يمكنك أن تخبريني. أنا طبيبة. أنا مُعتادة على سماع الأشياء. تحدثي بحرية عن ذلك.

إ. - [تنهيدة عميقة.]

الدكتورة ف. - سأعدّ من واحد إلى خمسة، وعندما أصل إلى النهاية، ستجدين الأمر أسهل بكثير لإخباري. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

إ. - أوهه... كان لدي شعور سيئ... لقد مضى. كان مجرد شعور سيئ.

الدكتورة ف. - أين أنت الآن؟

إ. - أصعد السلالم وأذهب إلى غرفتي... و أنا آه... أنا فقط... إنه مجرد شعور غريب، هذا كل شيء... إنه... تعرفين كيف يكون الأمر، عندما يكون لديك مشاعر غريبة... أعتقد أنه لا يجب أن أذهب... أعتقد أنه لا يجب أن أذهب.

الدكتورة ف. - عندما تقولين "شعور غريب"، ما الذي تعنيه؟ هل تقصدين أن لديك بعض الأفكار أو...

إ. - [مقاطعة.] ــــ نعم.

الدكتورة ف. - حدثيني عنها.

إ. - أوه...

الدكتورة ف. - ما الذي خطر ببالك؟

إ. - حسنًا، عندما صعدت السلالم إلى غرفتي... كنت على وشك فتح الباب... شعرت بهذا الشعور الرهيب بالخوف و... و... لا يجب أن أذهب. [تهز رأسها مرارًا وتكرارًا.] أنا... لا يجب أن أذهب... هذا هو... ولا أستطيع أن أجد أي سبب لعدم الذهاب.

الدكتورة ف. - هل تشعرين بهذه الأحاسيس كثيرًا؟

إ. - لا. بصراحة لا. لا. همم...

الدكتورة ف. - ألم ترغبي في إخباري بهذا الشعور؟

إ. - حسنًا، إنه غبي. إنه... إنه مجرد شعور... هي... ربما لأنني أعلم أنها لا تريدني أن أذهب... لقد كانت تلاحقني طوال الأسبوع لكي لا أذهب... وهو... لقد كانت تلاحقني دائمًا و... و لا أستطيع أن أجد سببًا واحدًا لعدم الذهاب.

الدكتورة ف. - الآن تقدمي في الزمن، وعندما أصل إلى خمسة، سترين نفسك ترتدين ملابسك. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي يخطر ببالك؟

إ. - جميع الأطفال في غرفتي ويلعبون فوق السرير... يشاهدونني بينما أرتدي ملابسي وجميعهم سعداء... يرغبون في الذهاب... آه. [لان صوتها.] كنت سآخذهم. كان يجب أن آخذهم. إنها غير منطقية. أنا... أنا أنتهي من ارتداء ملابسي.

الدكتورة ف. - أخبريني ماذا تفعلين.

إ. - حسنًا، أنا... أنا أرتدي مشدّي و جون، الأكبر، يشدّه، هو يستمتع بذلك كثيرًا. [تضحك.] آه... لنرى... الآن سأصفف شعري و... أنتهي من ارتداء ملابسي.

الدكتورة ف. - ما الذي تقررينه بشأن الأطفال؟ سأعدّ إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

إ. - حسنًا، أعتقد... أعتقد أنني أرغب في أخذهم... أنا... أنا... سأذهب إلى الأسفل للتحدث معها حول هذا الموضوع. [بتصميم.] سيستمتعون، سيكون هناك أطفال آخرون، نحن نعيش بعيدًا جدًا عن المدينة... لدرجة أنهم لا يرونهم كثيرًا... وأرغب في أخذهم.

الدكتورة ف. - حسنًا، الآن، عندما أعدّ إلى ثلاثة، سترين نفسك تتحدثين مع أخت زوجك. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

إ. - هي في المطبخ... مشغولة جدًا لأنها غاضبة. [تستنشق بعمق.] آه... لا، هي لا تريد أن يذهب الأطفال... وهي لا تريدني أن أذهب و... لا تريد أن يذهب أحد. لا أعرف لماذا هي غاضبة جدًا. إنها سلبية جدًا... ولا تستطيع أن تعطيني سببًا. هي فقط لا تريدهم أن يذهبوا... وهي تفعل هذا بدافع الخبث فقط. لقد انتهوا للتو من الاستحمام وهم جاهزون للذهاب إلى السرير وهذا وذاك... [بضيق.] و آه! ... ليس عدلًا!

الدكتورة ف. - أودّ أن تتقدمي إلى لحظة المغادرة، عندما أعدّ إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي ترينه؟

إ. - أنا بالخارج... بالخارج في الردهة الأمامية... آه... آه، هذا هو، ديفيد سيأتي ليأخذني... و آه... هو يعيش في أقرب مزرعة... ما زلت أحاول إقناعها بالذهاب... [تنهيدة عميقة]... ولا أستطيع التخلص من هذا الشعور بأنه لا يجب أن أذهب... إنها وداع عادي.

الدكتورة ف. - كيف يأخذك ديفيد؟ إلى أين يأخذك؟

إ. - في العربة... في عربته.

الدكتورة ف. - هل هناك شخص آخر معه؟

إ. - لا، نحن فقط. هو... هو يعيش في أقرب مزرعة و آه... هناك هو ووالده فقط وهما يعملان في المزرعة و... والده كبير في السن جدًا... كنا دائمًا جيرانًا.

الدكتورة ف. - الآن تقدمي إلى حدث في الحفلة، عندما أعدّ إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

إ. - نحن في الغرفة والجميع هنا. والجميع يستمتعون كثيرًا... إنه مجرد... مجرد متعة. رقص وغناء.

الدكتورة ف. - وهل تستمتعين أنتِ أيضًا؟

إ. - نعم... نعم. نعم. أنا المعلمة وأعرف الجميع... وجميع الأطفال... جميع الأطفال يستمتعون كثيرًا وأعتقد أنني سأعطيهم واجبًا عن الحفلة، ليقوموا به.

الدكتورة ف. - حسنًا. الآن أودّ أن تتقدمي إلى الحدث المهم التالي، عندما أعدّ إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

إ. - ما زلت في الحفلة... أنا... لقد أصبح الوقت متأخرًا جدًا ونستعد للمغادرة، الآن. يجب أن تكون منتصف الليل أو الواحدة صباحًا و... نصل إلى المنزل. [تنهيدة عميقة.] أنا قلقة قليلًا بشأن العودة إلى المنزل.

الدكتورة ف. - لِمَ؟

إ. - الشعور لم يذهب أبدًا. لم يكن يجب أن آتي. كانت تعيسة جدًا.

الدكتورة ف. - حسنًا، دعونا نرى ما إذا كان يحدث شيء خلال الرحلة... أي شيء مهم يجب أن تعرفيه، عندما أعدّ إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

إ. - همم... طلب مني ديفيد الزواج منه. لِمَ لا يبدو مهمًا؟ [تتمتم.]

الدكتورة ف. - ماذا قلتِ؟

إ. - إنه ليس مهمًا. أنا لا أحبه. هو... هو صديق و... لا أريد الزواج منه. لا أريد الزواج من أي شخص. وبسبب هذا، تجادلنا. لا يبدو لي أيضًا أنه يحبني. يريد فقط رفيقًا. والده كبير في السن و... يريد فقط رفيقًا.

الدكتورة ف. - ماذا تقولين له؟

إ. - أقول له ذلك بالضبط. لا... لا أعتقد أنه يجب أن نتزوج لمجرد الزواج... وهو يفهم. هو... هو... كان يشعر بالوحدة فقط... وقلت له: «سنبقى أصدقاء فقط»... هذا كل شيء. كانت فكرة مُدهشة. يجب أن يكون يشعر بالوحدة الشديدة.

الدكتورة ف. - الآن تقدمي إلى الحدث المهم التالي، عندما أصل إلى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

إ. - حسنًا... لا بأس. [تتنفس بسرعة.] ديفيد ذهب إلى المنزل... أسمع أشخاصًا يركضون في الغابة... الجو مظلم... لا يوجد قمر... وأصعد الطريق إلى المنزل... الباب الأمامي مفتوح... إنه مظلم بالداخل... هناك دمية على الأرض. الدمية ذات شعر مجعّد... هناك... أنا واقفة في... في نوع من غرفة المعيشة. همم... لا أعرف ماذا يحدث بعد ذلك. [بصوت خائف.] هناك السلالم. لا توجد شموع. لا يوجد ضوء. كان يجب أن تكون هناك شمعة بجوار... على الطاولة بجوار الباب الأمامي ولا توجد شمعة... الجو مظلم، مظلم... وأذهب إلى الأعلى... [تنهيدة عميقة.] وأذهب إلى الأعلى... [ترتجف بعنف.]

الدكتورة ف. - عندما تصعدين السلالم، إلى أين تذهبين؟

إ. - إنه باب تلك العلية!

الدكتورة ف. - استمري.

إ. - [صمت طويل.] ــــ فقط إنها ليست العلية، إنها غرفتي. [تنهيدة عميقة، ارتجاف.] حسنًا. [بشجاعة.] أنا ذاهبة... سأصعد، إلى الأعلى... أنا أصعد السلالم... وهي مُبللة. [تتمتم.] إنه... إنه دم. [ترتجف مرة أخرى.]

الدكتورة ف. - ما رأيك في هذا الدم؟

إ. - [تغطي عينيها.] ــــ لا أفكر في شيء... أنا...

الدكتورة ف. - ما الذي تشعرين به؟

إ. - غثيان.

الدكتورة ف. - حسنًا... استمري.

إ. - حسنًا. أنا... أصعد السلالم و... الباب مغلق... الباب مغلق. [تتمتم.] لا أستطيع فتح ذلك الباب. [تبكي.] لا أستطيع فتح ذلك الباب. [ترتجف وتتنهد.] يجب أن أفتح ذلك الباب... ربما في غضون دقيقة. [صمت طويل.] أنا واقفة أمام الباب... أنا خائفة جدًا... لا يُسمع أي ضوضاء! أعلم أنني فتحت الباب. لِمَ لا أستطيع فتحه الآن؟ [تتمسك بمساند الكرسي.]

الدكتورة ف. - ستكونين قادرة. لقد منحتِ نفسك دقيقة، وتلك الدقيقة لم تنتهِ بعد. تنفسي بعمق، تنفسًا عميقًا حقًا.

إ. - [صوت أنفاس عميقة.] —— لا بأس... حسنًا... [تغطي عينيها مرة أخرى.] لا أستطيع!

الدكتورة ف. - بلى يمكنك. لقد فعلتها بالفعل. يمكنك فعلها مرة أخرى.

إ. - أعلم ما وراء ذلك الباب!

الدكتورة ف. - افتحيه. ما الذي تظنين أنه وراء ذلك الباب؟

إ. - [تتذمر.] —— الجميع... في ذلك المنزل... مُقطَّعون إربًا... ولا أستطيع أن أنظر إلى هذا المشهد مرة أخرى. [تتلوى بكل جسدها.]

الدكتورة ف. - بلى يمكنك. عليك أن تفعلي.

إ. - [صوت شهقات حزينة.]

الدكتورة ف. - [أمسك بيدها وأربت عليها.] —— أنت لست وحدك. أنا هنا معك. افتحي الباب وأخبريني ما ترينه. كوني هادئة ومسترخية، هادئة ومسترخية. لا بأس. أخبريني ما ترينه. يمكنك فعل ذلك... هذه فرصتك العظيمة.

إي. [تستجمع شجاعتها وتلتفت للأمام من جديد.] —— حسناً... لن أنظر إلى الأسفل وحسب.

الدكتورة ف. —— تفضلي بأيسر الطرق عليكِ. ماذا تفعلين؟

إي. ـــ فتحتها... وركضت إلى الباب. [تتنهد بعمق وترتجف.] واصطدم الباب بشيء ما... فتحت الباب و... الأم... الباب ارتطم برأس الأم... وهي... هي... تدحرجت... [تكاد تعجز عن الكلام]... وكانت هناك... الأم... و... و [تنتحب]... والأطفال... كانوا مقطعين... رؤوسهم قد فُصلت... الدماء تملأ المكان... كانت تنظر إلي... كانوا ينظرون إلي... وأنا سقطت مغشياً علي... شعرت بالغثيان ولم أستطع الحراك أو أجد سبيلاً للخروج... وتلك... تلك الرأس ظلت تحدق بي دوماً... والرائحة في الغرفة كانت دماً في كل زاوية... لقد ذبحهم بوحشية! وقطعهم. قطع كل شيء! ومزق أحشاءهم ومثل بهم. [تلهث.] لا... لم يكن في تلك الغرفة شيء لم يُدمر... كل شيء في تلك الغرفة كان مدمراً. من فعل ذلك؟ من يطيق أن يفعل شيئاً كهذا؟ [بمظهر مرتاع وهستيري، وتغطي وجهها.] لا.

الدكتورة ف. ـــ ما الذي خطر ببالك؟

إي. ـــ زوجها... أخي... لا يمكنه أن يفعل ذلك... لا يمكنه أن يفعل ذلك... [تنتحب بلا عزاء] لا يمكنه أن يفعل ذلك... لا أستطيع أن أتقبل هذا... ولكن لا! [تهز رأسها.]

الدكتورة ف. ـــ اهدئي الآن.

إي. [صمت طويل.] ـــ لا بد أنه هو. [مستسلمة.] لم يكن هناك أحد... كنت آتية إلى المنزل و... سمعته يهرع خارجاً من الباب... وركضت إلى داخل المنزل... الدمية كانت ملقاة هناك والدماء على كل درجة. [تستسلم لنشيج لا يمكن السيطرة عليه.] ليتني ما... لماذا ذهبت أنا؟ [تتوسل.] هل يمكنني أن أغادر الآن؟

الدكتورة ف. ـــ أين أنتِ؟

إي. ـــ لا أريد البقاء هنا.

الدكتورة ف. ـــ أين أنتِ؟

إي. ـــ أنا في الأسفل هنا.

الدكتورة ف. ـــ هل أنتِ بمفردك أو معك أحد؟

إي. ـــ أنا بمفردي. [بصوت منهك.] عليّ أن أصل إلى المدينة، بأية وسيلة. نحن نعيش على بعد ثمانية كيلومترات تقريباً من المدينة.

الدكتورة ف. ـــ هل تريدين المغادرة؟ لا تريدين البقاء في ذلك المكان مع...

إي. ـــ لا أريد أن أكون هنا. [كطفل تقريباً.]

الدكتورة ف. ـــ حسناً، لنرَ ما سيحدث.

إي. ـــ لن يحدث شيء.

الدكتورة ف. ـــ ماذا تفعلين الآن؟

إي. ـــ أتقيأ... في كل مكان... أحاول فقط أن أغادر... تمنيت لو لم أعد إلى المنزل و... أنا مشوشة جداً و آه... [تغوص أعمق في الكرسي.]

الدكتورة ف. ـــ هل رأيت أحداً يغادر؟ قلتِ أنكِ سمعتِ شخصاً يركض في الغابة.

إي. ـــ سمعته يهرع خارجاً من الباب الخلفي وعبر الغابة، حين كنت قادمة و آه... لم يكن هناك أحد سواه هنا. أنا... أعلم أنه لم يعد أبداً... وأعلم من كان... [تهز رأسها، وتمسح عينيها.] كان أخي.

الدكتورة ف. ـــ ماذا تعنين بـ «لم يعد أبداً»؟

إي. ـــ لم يعد أبداً. لم يجدوه قط. لم يعد أبداً. [تنهيدة عميقة.] و، آه... هذا كل شيء. لا أعلم شيئاً آخر.

الدكتورة ف. ـــ لِمَ يرتكب أمراً كهذا؟

إي. [صمت طويل.]

الدكتورة ف. ـــ ما الذي يخطر ببالك؟

إي. ـــ الشيء الوحيد الذي يخطر ببالي هو أنه كان ثملاً.

الدكتورة ف. ـــ هل كان يسكر غالباً؟

إي. ـــ نعم... الآن أخرج إلى الردهة.

الدكتورة ف. ـــ وماذا بعد ذلك؟

إي. ـــ سأذهب إلى المدينة.

الدكتورة ف. ـــ كيف ستذهبين إلى هناك؟

إي. ـــ سيراً على الأقدام.

الدكتورة ف. ـــ في الليل؟

إي. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل هناك ضوء قمر؟

إي. ـــ لا... الجو مظلم.

الدكتورة ف. ـــ هل أنتِ خائفة؟

إي. ـــ أشعر بالغثيان! لست خائفة. لا يوجد شيء في هذا العالم كان يمكن أن يفعلوه بي... يجرحني أكثر من ذلك... لم أرد أن أذهب إلى هناك وأخبرهم.

الدكتورة ف. ـــ هل هي مسيرة طويلة؟

إي. ـــ لا يهم... ليس لدي ما أفعله غير ذلك.

الدكتورة ف. ـــ ماذا تفعلين الآن؟

إي. ـــ أنا أمشي وحسب... و... أنا في طريقي وحسب. [تبكي من جديد.]

الدكتورة ف. ـــ الآن سأعد من واحد حتى خمسة، وحين أصل إلى خمسة، ستكونين في المدينة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ماذا تفعلين الآن؟

إي. ـــ أذهب إلى منزل الشريف.

الدكتورة ف. ـــ نعم؟

إي. ـــ أذهب و... [تهز رأسها.] لا أستطيع أن أخبره بما حدث.

الدكتورة ف. ـــ أخبريني أنا بما يحدث.

إي. ـــ أنا بالداخل الآن. فقط... أنا هناك بالداخل الآن ولا أستطيع أن أخبره بما حدث.

الدكتورة ف. ـــ ماذا يقول لكِ؟

إي. ـــ حسناً، يريد أن يعرف كيف تلطخت بالدماء... و... أقول له: «لا يمكنني أن أخبرك؛ ولكن عليك أن تذهب إلى المزرعة... ولا يمكنني أن أذهب معك... لا أستطيع العودة إلى هناك.» ثم تصل زوجته، وتأخذني إلى الأعلى، تنظفني وتضعني في الفراش... ويستدعون طبيباً. [تتنهد.] و، آه... أشرب قليلاً من الويسكي وتجلس هي بجواري... و... ينظر إليّ الطبيب ويقول إني بخير... ثم أذهب إلى السرير وأموت... لا أريد أن أعيش بعد الآن. [تأخذ نفساً عميقاً.] ولكن يجب أن يكون الأمر كذلك. يجب... و... ثم يكون هناك تحقيق... وأسئلة.

الدكتورة ف. ـــ من يقوم بالتحقيق؟

إي. ـــ الشريف.

الدكتورة ف. ـــ هل يجري تحقيقاً عنكِ يا سارة؟ هل يسألكِ الكثير من الأسئلة؟

إي. ـــ نعم. يسأل... حسناً، هو يعلم أني كنت في المدينة و في تلك الحفلة. على أي حال، يطرحون الأسئلة وأجيب عليها، أخبرهم بكل ما أعرفه وكل شيء ينتهي... وأغادر.

الدكتورة ف. ـــ هل يسألونكِ عن أخيكِ؟

إي. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ ماذا يقولون؟ ما هي الأسئلة التي يطرحونها عليكِ؟

إي. ـــ أين كان.

الدكتورة ف. ـــ ماذا أجبتِ؟

إي. ــــ قلت إنه، على حد علمي، كان في تلك المزرعة الأخرى. [تنهيدة عميقة.] ولكن يبدو أنه لم يكن هناك. ولهذا السبب أظن أنه هو. لم أكن أعلم من الذي خرج راكضاً... بصدق، لم أكن أعرف من كان... لم أستطع أن أقول من هو.

الدكتورة ف. ــــ ومع ذلك، عندما رأيتِ تلك الجثث، خطر ببالك أنه كان أخاك. أليس كذلك؟

إي. ــــ إنه يغضب بهذه السهولة.

الدكتورة ف. ــــ هل كان عنيفاً من قبل؟

إي. ــــ إنه قاسٍ جداً على الحيوانات. يستطيع أن يُنهك حصاناً في خمس سنوات. إنه رجل قاسٍ للغاية وليس متفهماً جداً.

الدكتورة ف. ــــ هل كان لديه سكين؟

إي. ــــ أوه، نعم. على الجميع أن يحملوا سكيناً.

الدكتورة ف. ــــ ماذا حدث بعد التحقيق؟ هل عدتِ إلى تلك المزرعة مرة أخرى؟

إي. ــــ لا!

الدكتورة ف. ــــ ماذا فعلوا بالجثث؟

إي. [محطمة تماماً.] ــــ لا أعرف... أظن أنهم دفنوهم.

الدكتورة ف. ــــ ماذا فعلتِ بعد ذلك؟

إي. ــــ لم أذهب إلى الجنازة... لم أستطع.

الدكتورة ف. ــــ ماذا فعلتِ؟

إي. ــــ غادرت... بقيت بعض الوقت في المدينة... حتى يكون الجميع... لم أستطع الذهاب إلى تلك الجنازة. حقاً لم أستطع. [تتنفس بعمق.] و... أظن أني أصبت... بالجنون قليلاً.

الدكتورة ف. ـــ أخبريني المزيد، إن أمكنكِ.

إي. ـــ يبدو لي... أنهم وضعوني في مستشفى للأمراض العقلية... كان الأمر مروعاً... [ترتجف.] لا أريد التفكير في ذلك... بقيت هناك بقية حياتي.

الدكتورة ف. ـــ سأطلب منكِ أن تتذكري هذا عندما تستيقظين. من المهم جداً أن يكون هذا جزءاً من وعيكِ. أنتِ تعلمين أنكِ فتحتِ باب العلية. أليس كذلك؟ لقد أخرجتِ كل الأهوال التي كانت بداخلكِ والتي جعلتكِ قلقة جداً عندما كنتِ تبتعدين عن أطفالكِ وعندما كنتِ تعودين ليلاً. هل تفهمين الآن لماذا كان من الصعب الاستمتاع في حفلة أو الابتعاد عنهم؟ كنتِ تخافين أنهم عندما تعودين يكونون قد تعرضوا للطعن... هل تتذكرين أننا تحدثنا في ذلك؟

إي. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل تخافين من الاستمتاع بالجنس؟

إي. [تهز رأسها إيجاباً.]

الدكتورة ف. ـــ بعبارة أخرى، كنتِ تظنين أنه لا يجب عليكِ الاستمتاع... لأنه في السابق، عندما استمتعتِ، حدث كل ذلك.

إي. ـــ ما كان يجب عليّ الذهاب أبداً.

الدكتورة ف. ـــ كان سيحدث ذلك، حتى لو بقيتِ في المنزل. كوني واقعية.

إي. ـــ حسناً... كان يمكنه قتلي بنفس الطريقة... ولكني كنت لأتمكن من إصابته أيضاً.

الدكتورة ف. ـــ هل كانت زوجة أخيكِ امرأة ضعيفة؟

إي. ـــ نعم. كنت أنا... آه... أطول منها بكثير... كنت. لم أكن ضخمة، لكني كنت فتاة قوية عملت طوال حياتها في مزرعة. هي تلقت تعليمها في المدينة... وبالإضافة إلى ذلك كنت أعرف كيف أتعامل مع أخي.

الدكتورة ف. ـــ إذن، هل تظنين أنكِ لو كنتِ هناك، لكان بإمكانكِ منع ما حدث؟

إي. ـــ نعم. ربما كان سيُصاب أحدهم... ولكن لم يكن ليُقتل أحد.

الدكتورة ف. ـــ جيد جداً. أريد أن أقول لكِ هذا فقط: أنتِ لم تكوني هناك ولا تتحملين أية مسؤولية. الآن عليكِ أن تشعري بالتحرر. التحرر من الذنب. ليس لديكِ أي سبب لتشعري بالذنب بعد الآن. أنتِ لم ترتكبي تلك الجرائم.

إي. ـــ أشعر أنني ارتكبتها.

الدكتورة ف. ـــ حسناً، ولكن هذا ليس صحيحاً. أنتِ لم ترتكبي تلك الجرائم، ولو كنتِ هناك... لو كان أخوكِ خارجاً عن السيطرة تماماً، كما كان لا بد أن يكون ليفعل تلك الأشياء المروعة، لكان قتلكِ أيضاً. كنتِ ستكونين ضحية أخرى. كان من المستحيل منع ذلك. أنتِ تعرفين العنف اللازم لقطع تلك الرؤوس وتدمير كل شيء. لم يكن ليتوقف. كان يحمل سكيناً وأنتِ لم تكوني مسلحة. لم يكن هناك سبيل...

إي. ـــ ربما هي... قالت شيئاً جعله يخرج عن طوره... لا أعرف. [تبدأ في البكاء من جديد.]

الدكتورة ف. ـــ لن يعلم أحد أبداً. المهم هو أنكِ لم تستطيعي منع ذلك. كل ما كان يمكن أن يحدث هو أن تُقتلي أنتِ أيضاً. بداخلكِ تعلمين جيداً أن الأمر يتطلب قوة وعنفاً هائلين لقطع رأس ولفعل الأشياء التي فعلها. وهؤلاء كانوا أطفاله. إن لم يجبره حبه لأبنائه على التوقف، فمن المؤكد أن أمراً أو محاولات أخته ما كانت لتوقفه أيضاً.

إي. ـــ أعلم ذلك... ولكني أشعر بمسؤولية كبيرة.

الدكتورة ف. ـــ حسناً، أليس لديكِ الآن الاستعداد للتخلي عن شعور المسؤولية هذا؟ وألا ترغبين في أن تعلمي أيضاً أنه في اللحظة التي هاجم فيها أولئك الأشخاص، غادرت أرواحهم أجسادهم، وبالتالي لم يتضرر جوهرهم؟

إي. ـــ أهذا ما تظنين؟

الدكتورة ف. ـــ إنه كذلك. أنا أؤمن بهذا. لقد ثبت أنه في بعض الأحيان، عندما يواجه الناس خطراً شديداً، تغادر الروح الجسد، وبالتالي لا يتأثرون ولا يشعرون حتى.

إي. ـــ أتمنى أن يكون هذا صحيحاً.

الدكتورة ف. ـــ الآن، يا إليزابيث، هل أخوكِ هو شخص تعرفينه في هذه الحياة؟

إي. [صمت.]

الدكتورة ف. ـــ من هو أخوكِ؟ قولي ما يخطر ببالك، عندما أعد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

إي. ـــ أبي.

الدكتورة ف. ـــ ومن هي زوجة أخيكِ؟ بالعد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

إي. ـــ أمي.

الدكتورة ف. ـــ والأطفال؟ هل تعرفينهم في هذه الحياة؟

إي. [تتمتم.] ـــ إنهم أطفالي.

الدكتورة ف. ـــ هل يتطابق هذا مع أي شيء تعرفينه عن والدكِ؟

إي. ـــ لديه مزاج عنيف.

الدكتورة ف. ـــ هل تخاف والدتكِ من والدكِ؟

إي. ـــ نعم!

الدكتورة ف. ـــ وأطفالكِ؟ هل يخافون منه؟

إي. ـــ أنا، آه... أتوخى الحذر الشديد في ذلك. عندما يكون متوتراً أُبعد أطفالي.

الدكتورة ف. ـــ جيد جداً. الآن أنتِ تعلمين السبب. كل الأمور تتسق، أليس كذلك؟ عندما تتذكرين هذا، عندما تكونين في المنزل، ستشعرين بالهدوء والاسترخاء. ستصبحين هادئة ومسترخية جداً. من الآن وحتى الأسبوع القادم، ستتلقين المزيد والمزيد من رؤى هذا التقمص. الآن سأعد من عشرة حتى صفر، أريدكِ أن تعودي إليزابيث، أن تعودي نفسكِ بالكامل. اجلبي معكِ هذه الذكريات؛ من المهم أن تفعلي ذلك. كنتِ شجاعة جداً اليوم، أريد أن أقول لكِ إنني أعتبركِ رائعة، لمواجهتكِ لذلك. كان من السهل الهروب. عشرة... تسعة... ثمانية... سبعة... ستة... خمسة... أربعة... ثلاثة... اثنان... واحد... صفر.

بالعودة إلى الحاضر، وبينما هي لا تزال تحت تأثير التنويم العميق، وضعت إليزابيث يدها على رأسها وتأوهت: «رأسي يؤلمني.» (لا عجب!) قدمت لها إيحاءات تنويمية أزالت الألم. بعد ذلك أخرجتها من الغيبوبة.

دهشت لأنها ابتسمت لي. بادلتها الابتسامة. كنا قد عبرنا معاً شيئاً هاماً حقاً. شعرت بقرب شديد منها. أخبرتني أنها لطالما شعرت بالخوف من والدها، الذي، كما علمت لاحقاً، كان يشرب كثيراً. أشارت إلى حادثة ضربها فيها. «... ولكني لا أملك القوة للحديث عن ذلك. أريد فقط أن أختبئ في الفراش لبقية فترة ما بعد الظهر.» وقفت وقالت: «حسناً، إذا كان هذا هو الأمر، فسأحصل على الدليل غداً.» سألتها: «ماذا تقصدين؟» شرحت: «زوجي كريس وأنا سنذهب لمشاهدة مسرحية في سان فرانسيسكو. كنت قلقة بشأن ذلك طوال الأسبوع.» وقبل مغادرتها مباشرة، طلبت منها أن تشارك زوجها في خبر التقمص ـــ ولكن ليس مع أطفالها. أردت التأكد من أن أي جزء من كل ذلك لن يُكبت مرة أخرى بعد مغادرتها، رغم أنها أعطتني انطباعاً بأنها تحملت الأمر جيداً. ثم اقترحت عليها أن تعد قائمة بكل ما في حياتها كـ سارة قد أثر عليها ـــ في هذه الحياة.

في الجلسة التالية، كانت إليزابيث تبتسم بانفتاح، مرتدية فستاناً هندياً مبهجاً ومكشوف الصدر. علقت، وهي تخرج من غرفة الانتظار: «أشعر بأنني رائعة!»

أثنيت على فستانها. «أنا التي صنعته ـــ وأنا أصنع واحداً آخر. وأشعر بالراحة، حتى مع هذا القَص عند الصدر،» قالت بابتهاج. لفتت انتباهي إلى الكسرات في أسفل الفستان. علقت بأن ذلك لا بد وأنه كلفها الكثير من الجهد.

بعد أن جلست في الكرسي، نظرت إليّ لعدة ثوان بوجه جاد جداً. ثم أطلقت لي ابتسامة كبيرة وقالت بارتياح واضح: «لقد نجح الأمر! كريس وأنا ذهبنا إلى ذلك العرض في سان فرانسيسكو. استمتعت بوقتي. ولم أقلق بشأن الأطفال على الإطلاق. وعندما وصلنا دخلت مباشرة إلى المنزل، قبل أن أفكر فيما فعلت.»

لم أكن قد انتهيت بعد من التعبير عن سعادتي بكل ذلك عندما قاطعتني، متلهفة لمواصلة الأخبار السارة. «في إحدى الليالي اضطررت للذهاب لإحضار ابنتي. كانت في مكتبة قريبة. قررت ترك طفليّ بمفردهما.» توقفت. «وهذا ما حدث!» تركت أطفالها بمفردهم لمدة نصف ساعة تقريباً، وهو شيء لم تفعله من قبل. اعترفت بأنهم أخبروها أنهم شعروا بالخوف قليلاً. علقت بأنهم ربما كانوا يتفاعلون بسبب حمايتهم المفرطة لسنوات عديدة. شعرت أيضاً أنهم، على مستوى اللاوعي، ربما كانوا يشعرون بآثار ذلك اليوم، قبل أكثر من مائة عام على الأرجح، الذي تركتهم فيه بمفردهم. في ذلك الوقت كان الأمر مأساوياً! ناقشنا إمكانية أن تخبرهم إليزابيث بما عرفته عن الحياة التي عاشتها معهم — وفي الوقت الحالي، قررنا عدم الإفصاح عن ذلك، لأسباب عديدة. كانت معالجة ابنتها الكبرى غائبة في رحلة. وطفلاها على الأرجح سيحتاجان إلى المساعدة أيضاً، عندما يتخفف الكبت لديهما — وهذا سيكون سبباً لإخبارهما. قد يظهران مقاومة أكبر من أمهما، بسبب العنف الذي تعرضا له. لا شك أن الأمر سيكون أصعب بكثير عليهما. سيتطلب منهما وقتاً أطول مما يسمح به جدول مواعيدي الحالي. فكرت في مواعيدي؛ كنت أعلم أنني لن أجد وقتاً لمرضى جدد، على الأقل في الأشهر الستة القادمة. لا، كان علينا الانتظار.

أحضرت إليزابيث صفحتين من الورق الأصفر، مليئتين بالملاحظات — ملاحظات رسمت أوجه تشابه دقيقة بين حياة سارة وحياتها، ومليئة بالاستنتاجات والبصائر.

كانت لديها أيضاً تعليقات حول أطفالها وكيف تأثروا.

بدأت تقرأ: «اكتئابي الحاد الأول بدأ عندما خططنا لمغادرة كاليفورنيا. كنت أحب العيش في الشرق. وما زلت أشعر بانجذاب إليه. أصبح الاكتئاب عميقاً جداً، عندما انتقلنا أخيراً إلى بنسلفانيا. كنت بعيدة جداً وشعرت أنني لا أستطيع الذهاب إلى المنزل إذا احتاجوا إلي. لا يمكنني مساعدة والدتي إذا احتاجت. في طفولتي، كنت حامية والدتي. وما زلت! غالباً (في سن أكبر) كنت أتشاجر مع والدي لمساعدة والدتي. إنه يرعبني. أخاف منه وأحبه في الوقت ذاته. كان يقول لي عادةً إنني الشخص الوحيد الذي يفهمني. كان هذا يحدث بشكل خاص بعد أن تكون لدينا مناقشات عنيفة.»

توقفت، ووضعت الأوراق في حجرها. «كان أبي دائماً مدمناً على الكحول.» امتلأت عيناها بالدموع وهي تتحدث. «كانت لدينا بعض المناقشات العنيفة. أسوأ ما أتذكره حدث عندما كنت صغيرة. كان عمري إحدى عشرة سنة — لا، ربما ثلاثة عشرة — تقريباً في تلك الفترة. حسناً، كان أبي قد قضى الليلة خارج المنزل. كان ذلك في الصباح. كنت لا أزال في السرير. بدأ الأمر مع أمي. أهانها. ثم هددها. ظهرت أنا وقلت له إنه إذا كان يكرهنا لهذه الدرجة، فالأفضل أن يرحل! وألا يعود أبداً! صرخت عليه. صدمه ذلك. نظر إلى الباب. ثم غادر. قلت لأمي ألا تسمح له بالدخول مرة أخرى. عاد بعد بضعة أيام. أرعبنا. دمر المنزل! حطم كل شيء! ثم غادر — وذهب إلى ولاية أخرى.» كانت قبضتاها مشدودتين عندما أضافت من بين أسنانها: «لقد استقبلته مرة أخرى!»

اقترحت أن تغمض عينيها وتسترخي لبضع دقائق. أعطيتها بعض الإيحاءات المهدئة ثم أيقظتها من جديد.

أخذت ملاحظاتها: «سأتحدث معك عن الأطفال،» قالت. قرأت: «مارك، وهو في الثالثة عشرة من عمره، لديه شعور غير مريح عندما يكون بمفرده، ليلاً، في الطابق العلوي. حتى لو كان هناك شخص نائم، فإنه يستمر في الشعور بأنه وحيد. الفتيات لا يطيقن أن يُشير أحد بشيء إلى رؤوسهن، خاصةً الجبهة، ما بين العينين.» أخبرتها أن هذا أمر طبيعي. عندما يُصاب شخص بجروح خطيرة أو يُقتل، في حياة سابقة، بضربات أو طلقات في الرأس، فإنه يصف دائماً نفس النوع من الإحساس. طلبت منها أن تستمر في القراءة. «ابنتاي تستطيعان 'قراءة' مزاج والدي. تعلمتا كيف تخبرانه بالأشياء. مارك أكثر جرأة — ولكنه، مع ذلك، يدرك تماماً حساسيات والدي. لا يحبون البقاء بمفردهم. وأنا لم أتركهما معه قط — ولا حتى لدقيقة واحدة. وفي هذا الأسبوع فقط أدركت السبب.»

بعد أن أخذت أغراضها لتغادر، ابتسمت، وعانقتني بحرارة وقالت: «ما زلت مندهشة لأن كل شيء كان بهذه البساطة!»

في الأسبوع التالي، جاءت إليزابيث مرتدية فستاناً متعدد الألوان، يعكس مزاجها الودود والمبهج. كان الأسبوع قد سار بشكل جيد للغاية. هي وعائلتها شاهدوا عرضاً جوياً، استمتعوا به كثيراً. كان والداها قد جاءا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معهم لمرافقتهم. «شيء ما بداخلي قد تغير. درست والدي ووالدتي طوال عطلة نهاية الأسبوع. لم أعد ابنتهما. على الأقل ليس بالمعنى القديم،» قالت، وهي تعبس: «أكثر من صدم كانت والدتي. لطالما كانت صديقتي المقربة. أخبرتها عن التقمص. لم تصدق أن ذلك كان حقيقياً. حاولت منعي من التحدث في الموضوع. قالت لي: 'اتركي هذا وشأنه!' الآن أرى كم هي مكتئبة. لا يمكنني أن أتوقع منها أن تفهم. لا يوجد تقارب حقيقي الآن. جزء من حياتي قد أُغلق. راقبت والدي. أكبر متعته هي انتقاد الآخرين. عندما كنت صغيرة، لم نفعل أبداً أي شيء مثير للاهتمام — لم نذهب أبداً إلى العروض، لم نخرج أبداً. لم نفعل شيئاً! أمضى عطلة نهاية الأسبوع بأكملها ينتقد من يفعل شيئاً.» امتلأت بالفرح عندما أعلنت: «هذا جديد بالنسبة لي! حتى الآن كنت أجعل حياتنا تسير على خطى حياتي. كان من المؤلم جداً بالنسبة لي أن أفهم كل هذا. الآن لم يعد عليّ أن أتقيد بأي نمط. ولكن، بالعودة إلى الحديث عن العرض الجوي: استمتعت بوقتي حقاً! هذا محزن. أدركت أنني كنت أكبت نفسي باستمرار طوال هذه السنوات.»

سألتها: «كيف تشعرين، عندما تفكرين أو تتحدثين عن التقمص؟» ابتسمت مرة أخرى وأجابت: «لم أعد منزعجة جداً من التفاصيل المخيفة.» أبعدت عينيها لبعض اللحظات، في تأمل عميق. ثم قالت: «الأمور التي لم تُحل قط تبدأ الآن في أن تُحل. أشعر بذلك. أنا أكثر رضاً عن نفسي كشخص. التغييرات داخلية، ولكن كريس يلاحظ أنني أصبحت أكثر استرخاءً. لا أستطيع وصف ذلك، إنه شعور في داخلي.»

نظرت إلى الساعة التي كانت على الطاولة الصغيرة المصنوعة من خشب الساج، بالقرب من كرسيها. كان لا يزال لدينا عشرون دقيقة. «هل تسجلين لي شريطاً للوزن؟» وافقت ووضعتها في غيبوبة. طلبت منها أن ترى نفسها بوزن يقارب 58 كيلوغراماً، وهو وزنها المثالي. ثم جعلتها ترى نفسها أمام مرآة كاملة الطول، بوزنها المثالي، وهي تستمتع، جزءاً جزءاً، بكل أجزاء جسدها الأنيق. أخرجتها من التنويم، أعطيتها الشريط وقلت: «أتمنى لكِ أسبوعاً جيداً.»

للمرة الثالثة على التوالي، جاءت إليزابيث إلى الجلسة بفستان؛ هذه المرة كان فستاناً مكشوف الصدر، أزرق وأبيض، وجذاباً جداً. كانت ترتدي أيضاً صنادل بيضاء جديدة وجوارب. حتى شعرها بدا مقصوصاً ومرتباً.

«هناك تغيير كبير فيّ. حجزت ليلة في الخارج. ولا أشعر بالقلق بسبب السفر. طلبت من الأطفال أن يرتبوا أمر بقائهم مع أصدقائهم خلال عطلة نهاية الأسبوع. ولكن أكثر ما يدهشني هو موقفي تجاههم. ابنتي الكبرى كانت ستمارس دور الشهيدة وتمكنت من فرض رأيي. لم أغضب، ولم أقلق.» ابتسمت، وهي راضية جداً بوضوح، وقالت: «إنه لأمر رائع حقاً! لا أستطيع أن أنسى كم كان تعديل موقفي تجاههم سهلاً. لم أعد أشعر بالذنب. كان الأمر بسيطاً جداً! أشعر أنني مسيطرة. في الماضي، كان هؤلاء الأطفال قادرين على التلاعب بي، بالمعنى الحقيقي. أنا كنت دائماً متعبة، بسبب محاولتي المستمرة لتهدئة ألم أحدهم.» قالت إنها لم تشعر بالسوء لارتكاب الأخطاء — لم تعد تشعر بالإحراج. أكدت ذلك بالجملة التالية: «الآن لا بأس بارتكاب خطأ! لا توجد أسباب تمنعني من ارتكاب خطأ!»

تحولت إلى موضوع آخر، وناقشت حياتها الجنسية، التي تحسنت كثيراً أيضاً. ثم لاحظت: «تعلمين، قبل أن يولد الأطفال، كنا نستمتع بالجنس. لست مثبطة جنسياً. لكني لم أستطع أن أسترخي وحسب. كنت منتبهة دائماً للأطفال.» بابتسامة أضافت: «هذه الرحلة ستكون بمثابة شهر عسل ليومين!»

«أوه، تخيلي! لقد فقدت ثلاثة كيلوغرامات في أسبوع!» أعلنت. وهي واقفة، مستعدة للمغادرة، بجانب مكتبي، فكرت: «تعلمين، في الأسبوع الأول بعد التقمص، شعرت وكأنني تائهة تماماً. كانت مشاعري مختلفة تماماً. لأول مرة في حياتي كان لدي تحكم. شخصيتي هي ذاتها، ولكن موقفي مختلف.»

مرت حوالي ستة أشهر منذ جلستي الأولى مع إليزابيث. كان العمل معها شاقاً ومثيراً ومليئاً بالتوقعات ومجزياً للغاية بالنسبة لي. استمتعت جداً بمشاهدة — ومساعدة — دراماها وهي تتكشف. وأحببتها كثيراً أيضاً. في أحد الأيام شعرت بالدهشة عندما علمت أنها ألغت مواعيدها لمدة شهر. كانت تخطط لمنح نفسها أسبوعاً في هاواي وقضاء الأسابيع الثلاثة المتبقية مع كريس، في «عطلات مصغرة». سنواصل العمل معاً، حتى تتحرر من المخاوف والقلق غير المنطقي وتشعر بالرضا التام عن نفسها. هذا، بالنسبة لي، هو عملية «لمسات أخيرة». الأسوأ قد مضى.

الفصل الخامس - «في القارب، الجميع يتضور جوعاً»

كان وجه ويليام متوتراً ومحْمَرّاً عندما جلس بعناية على الكرسي المائل أمامي. كانت مشكلته واضحة: السمنة — خمسة وأربعون كيلوغراماً إضافياً. كان وزنه البالغ 110 كيلوغرامات واضحاً تماماً لأنه، مع قامته التي تبلغ 1.64 متراً، لم يكن هناك مساحة كبيرة لإخفائه. على الرغم من وزنه، كان رجلاً جذاباً، في حوالي الثلاثين من عمره. كانت له لحية مهذبة وسوالف، ويبدو أنيقاً.

تحدث بنبرة متحفظة؛ أصبح صوته مصاحباً بأزيز عندما قال لي: «كنت سميناً كطفل واستمررت في أن أكون طفلاً سميناً، حتى الصف الخامس. في ذلك الوقت بدأت أنمو ووصلت إلى طولي الحالي — وقد ساعد هذا قليلاً.» لعدة سنوات كان وزنه أعلى بقليل من المعتاد. بعد ذلك، بدأت الكيلوغرامات تتراكم. كان وزنه يقارب 90 كيلوغراماً عندما التحق بالجامعة، في سن الثامنة عشرة. حقيقة كونه الوحيد الذي يعاني من زيادة الوزن، في عائلة واعية جداً بمشاكل السمنة، دفعته للشك. «بدأت الحميات الغذائية تصبح جزءاً من حياتي — ولكن، الالتزام بها كان مستحيلاً تماماً.» أضاف: «أجد نفسي آكل أشياء أكرهها و في ليلة واحدة أنظر إلى الثلاجة عشر مرات على الأقل. أخوض صراعاً رهيباً لأجل ألا أستسلم.»

قبل أسابيع قليلة من لقائنا الأول، بدأ ويليام حمية جديدة من السعرات الحرارية وكان يسير عليها بشكل جيد. «النزول تحت التسعين كيلوغراماً هو التحدي الحقيقي لأنني، لسنوات، كنت عاجزاً عن أن أزن أقل من اثنين وتسعين كيلوغراماً، على الرغم من كل ما فعلته: الحقن والأقراص وكل الحميات.» مثل معظم مرضاي البدينين، كان خبيراً في مجموعة كاملة من الحميات الغذائية.

بينما استمر ويليام في إخباري عن سبب بحثه عن المساعدة، علمت أنه عانى من مجموعة من الحساسيات وأنه كان مصاباً بالربو منذ ولادته. أجرى الاختبارات المعتادة وكان تحت العلاج للسيطرة على ردود فعله. كان حساساً لريش الدجاج وشعر القطط، وكذلك شعر الحيوانات الأليفة الأخرى. عدّد قائمة طويلة من مسببات الحساسية، لكنه لاحظ: «لم أعانِ أبداً من أدنى حساسية لفراء الحيوانات البرية. أليس هذا غريباً؟» سألت نفسي عما إذا كانت حساسياته لا يمكن أن تكون مرتبطة بشيء حدث له في الماضي. في هذه الحالة، يمكن أن يكسب من العلاج بالتنويم المغناطيسي أكثر مما يتخيل. قررت الانتظار لأرى وألا أشارك معه حدسي. لم أستطع أن أخاطر بإعطائه الإيحاء ولم أرغب في إحباطه، في حال لم ينجح حدسي.

أنهينا الجلسة بعد أن علمته التنويم الذاتي وسجلت له شريطاً ليتدرب عليه في المنزل. اتفقنا على موعد للأسبوع التالي. غادر قائلاً: «وعدت نفسي أنني سألتزم هذه المرة، حتى يصل وزني إلى 64 كيلوغراماً.»

في الأسبوع التالي، أعلن ويليام أنه استمع إلى شريط التنويم الذاتي بجد، عدة مرات في اليوم. «أشعر بالاسترخاء أكثر بكثير حقاً. أنا متأكد من أن ضغط دمي قد انخفض أيضاً قليلاً. يبدو أنه، كلما استمعت إليه، أسترخي بعمق أكبر. هل هذا طبيعي؟» أومأت وقلت: «هذا بالضبط ما نهدف إليه. قريباً، بدون التسجيل، ستتمكن من إغماض عينيك والقول لنفسك: 'استرخِ يا ويليام'؛ وعندئذ، ستدخل في تنويم عميق. في ذلك الوقت يمكنك أن تعطي لنفسك أي نوعٍ من الإيحاء المهم في تلك اللحظة ـــ سواء فيما يتعلق بوزنك أو للاسترخاء قبل إلقاء محاضرة أو في حالة الألم. ولكن سنتحدث عن ذلك لاحقاً. لدينا عمل لنقوم به اليوم.»

سقط ويليام في غيبوبة عميقة بمجرد أن بدأت في الإيحاء. سألته عن سمنته. أشار لاوعيه، عبر إشارات الأصابع، إلى أن مشكلة الوزن لها جذور في اللاوعي. إحداها كانت مرتبطة بولادته المؤلمة. أعطيته إيحاءات «للرجوع إلى الدقائق التي سبقت الولادة. عندما أعد حتى خمسة، ستسترجع هذه التجربة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.» عبس. التوى جسده في الكرسي. «رأسي!... إنه يُعصر. أشعر وكأنني أسحق... أوه... صدري! أوه!... أسمع صرخات... إنها أمي... أوه، لا... أمي تصرخ.» بعد أن «وُلد» استرخى. ساعدته على فهم أنه غير مذنب بآلام والدته واقترحت عليه أن يحرر نفسه من الذنب الذي يحمله. ثم أعدته إلى الحاضر، مع إبقائه مسترخياً بعمق. سألته عن الحدث الآخر. كشف لاوعيه، ببطء، أنه كان حادثة من حياة سابقة. ولكن هذا الأسبوع لم يكن مستعداً لمزيد من التجارب. أعطيته إيحاءات ليجهز نفسه، على مستوى اللاوعي، خلال الفترة الفاصلة بين الجلسات. ارتفع إصبعه الدال على «نعم» متردداً، مشيراً إلى تعاون لاوعيه.

في الأسبوع التالي، جعلت ويليام يعود إلى «حدث ماضٍ ذي أهمية خاصة»، مرتبط بمشكلة وزنه. بدأ جسده يرتجف. كان صوته ضعيفاً لدرجة أنني اضطررت لبذل جهد لأسمعه.

و. ـــ كان الجو هادئاً جداً... لا توجد رياح... لا يوجد طعام كافٍ. في القارب، الجميع يتضور جوعاً... ربما مرضى أيضاً.

الدكتورة ف. ـــ هل الجميع يتضور جوعاً ومرضى؟

و. ـــ نعم... إنه الإسقربوط.

الدكتورة ف. ـــ كيف تشعر؟

و. [كان صوته متردداً.] ـــ متضور جوعاً.

الدكتورة ف. ـــ متى كانت آخر مرة أكلت فيها؟

و. ـــ لدينا بعض الطعام، ولكنه ليس أكثر من قليل من عصيدة الحبوب أو شيء من هذا القبيل.

الدكتورة ف. ـــ ولكنه ليس كافياً؟

و. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ هل فقدت الكثير من الوزن؟

و. ـــ نعم... لا أعرف كم كيلوغراماً فقدت، ولكن ذراعي وضلوعي نحيلة جداً... نحن متضورون جوعاً.

الدكتورة ف. ـــ هل أنت قلق بشأن نفسك؟

و. ـــ نعم... أعتقد أنني لم أعرف وزني قط.

الدكتورة ف. ـــ ولكن هل كنت سليماً، قبل أن يحدث هذا؟

و. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ أخبرني بما تراه وما لديك من تصورات.

و. ـــ يبدو هذا وكأنه داخل مرافق الطاقم، قلعة المقدمة... وهناك أشخاص في أسرّة و... الجميع هناك.

الدكتورة ف. ـــ كيف تشعر؟

و. ـــ أنا مريض... وعيونهم غائرة.

الدكتورة ف. ـــ هل مات أحد بالفعل من الجوع؟

و. ـــ أظن ذلك.

الدكتورة ف. ـــ أين أنتم؟

و. ـــ نحن في قارب.

الدكتورة ف. ـــ ما هو اسم قاربكم؟

و. ـــ سالي.

الدكتورة ف. ـــ سالي؟ هل له اسم آخر؟

و. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ ما هو؟

و. ـــ ماي ـــ سالي ماي.

الدكتورة ف. ـــ أين أنتم؟

و. ـــ في المحيط الأطلسي.

الدكتورة ف. ـــ إلى أين أنتم ذاهبون؟

و. ـــ لا أعرف.

الدكتورة ف. ـــ من أين أتيت؟ أين هو منزلك؟

و. ـــ من أمريكا.

الدكتورة ف. ـــ من أي جزء من أمريكا؟

و. — إنجلترا الجديدة.

الدكتورة ف. — من أي منطقة؟

و. — بيدفورد، ماساتشوستس.

الدكتورة ف. — من أنت؟

و. — توم.

الدكتورة ف. — ما هو اسم عائلتك؟

و. — جونز.

الدكتورة ف. — ما هو عمرك؟

و. — لست كبيراً في السن.

الدكتورة ف. — هل عمرك أكثر من عشرين عاماً؟

و. — أكثر بقليل.

الدكتورة ف. — هل عمرك أكثر من عشرين عاماً بقليل؟

و. — سنتان إضافيتان؟ ربما.

الدكتورة ف. — هل أنت متزوج؟

و. — أظن ذلك.

الدكتورة ف. — ما هو اسم زوجتك؟

و. — جين.

الدكتورة ف. — في أي سنة يحدث هذا؟

و. — ألف وستمائة... ألف وستمائة وواحد وثمانون.

الدكتورة ف. — تقدم إلى حدث هام. واحد... اثنان... ثلاثة.

و. [يخفض صوته.] — أظن أنني أخذت شيئاً ما ما كان ينبغي لي أن آخذه.

الدكتورة ف. — ماذا فعلت به؟

و. — أكلته. [يصبح قلقاً.]

الدكتورة ف. — ما هو؟

و. — دجاجة.

الدكتورة ف. — أين كانت الدجاجة؟

و. — كانت في المخزن... [يتحدث بهدوء.] كانت للضباط.

الدكتورة ف. — هل كانت دجاجة حية، هي التي كانت محفوظة هناك؟

و. — نعم، كان هناك الكثير.

الدكتورة ف. — هل كانت للضباط؟

و. — نعم. [بتعبير يدل على الانزعاج.]

الدكتورة ف. — أخبرني ماذا فعلت بالدجاجة. كيف أمسكت بها؟

و. — [يتنفس بسرعة.]

الدكتورة ف. — حافظ على هدوئك واسترخائك. لا داعي للعصبية. كيف تشعر الآن؟

و. — خائف قليلاً.

الدكتورة ف. — مم تخشى؟

و. ـــ لا أدري... ربما أن يُقبض علي. [يرتجف.]

الدكتورة ف. ـــ كيف أمسكت بهذه الدجاجة؟

و. ـــ تسللت إلى الداخل وأخذتها حين لم يكن أحد هناك... وحملتها إلى مقدمة القارب... أنا متأكد من أنني قتلتها، ولكني لا أعرف كيف فعلت ذلك.

الدكتورة ف. ـــ شاهد نفسك في اللحظة التي كنت تقتلها فيها.

و. [صمت طويل.] ـــ لويت عنقها.

الدكتورة ف. ـــ وماذا فعلت بعد ذلك؟

و. ـــ نتفت ريشها... وفتحتها بأصابعي و... يا له من أمر مريع... رائحة الأحشاء. [يعبس.] أشعر برغبة في التقيؤ... ثم طهوتها في نهاية المطاف.

الدكتورة ف. ـــ كيف تمكنت من طهوها؟

و. ـــ أنا... لا... أعرف.

الدكتورة ف. ـــ هذه المعرفة ستنجلي لك.

و. ـــ كان هناك مصباح... طهوتها باستخدامه.

الدكتورة ف. ـــ كيف كان مذاق الدجاجة بالنسبة لك؟

و. ـــ جيد. [يبتسم.]

الدكتورة ف. ـــ الآن لنتقدم إلى الحدث الهام التالي. واحد... اثنان... ثلاثة. [صمت.] ماذا حدث؟

و. [بتهرب.] ـــ عوقبت.

الدكتورة ف. ـــ هل قُبض عليك؟

و. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ من الذي قبض عليك؟

و. ــــ أحد الضباط.

الدكتورة ف. ــــ ماذا قال لك؟

و. ــــ شتمني... وضربني، أمسك بي وسحبني. [يتنفس بعنف.]

الدكتورة ف. ــــ إلى أين سحبك؟

و. ــــ نحو قمرة القبطان. [يرتجف بعنف.]

الدكتورة ف. ــــ كيف تشعر؟

و. [بتنفس لاهث وهمس.] ــــ بالخوف!

الدكتورة ف. ــــ ماذا حدث بعد ذلك؟

و. ــــ يقولون إنهم سيجلدونني... سأتلقى الضرب بالسياط. [صوته مغمور برعب هائل.]

الدكتورة ف. ــــ ابقَ هادئاً ومسترخياً، عندما أصل إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. متى فعلوا ذلك؟

و. ــــ بعد فترة... في اليوم التالي، في وقت مبكر جداً.

الدكتورة ف. ــــ من حضر؟

و. ــــ الجميع، طاقم القارب بأكمله.

الدكتورة ف. ــــ وماذا يخطر ببالك زيادة على ذلك؟

و. ــــ مشهد الجلد وحسب.

الدكتورة ف. ـــ بماذا يضربونك؟

و. [يتراجع.] ـــ بسوط ذي تسعة ذيول.

الدكتورة ف. ـــ كم جلدة وجهوا لك؟

و. ـــ ثلاثين. [يتلوى في الكرسي، ووجهه مغطى بالعرق.]

مرت دقائق طويلة، قدمت له خلالها إيحاءات مهدئة، حتى شعر ويليام بالاسترخاء الكافي للمتابعة. أعدته إلى الحاضر، لكي يتمكن من استيعاب ما حدث له. ارتجف وهو يستعيد صدمة المغامرة إلى منطقة الضباط، للحصول على وجبته. وبصوت مذهول ركّب قطع الأحجية ـــ ذكرى الجوع، التي لازمته طوال هذه السنوات.

أخرجته من الغيبوبة. هز رأسه، مندهشاً. «هل صحيح أنني عشت حياة أخرى؟ لست متأكداً جداً من إمكانية وجود حيوات أخرى.» وشرح: «على الرغم من شكوكي في كل هذا، أفتخر بامتلاكي عقلاً متفتحاً. يجب أن نتعمق في هذا الأمر أكثر.»

عندما جاء إلى الجلسة في الأسبوع التالي، أعلن: «اكتشفت شيئاً مدهشاً هذا الأسبوع! كنت أنا وزوجتي نتناول العشاء في مطعم. ولأول مرة في حياتي، طلبت شيئاً أحبه ـــ وليس الطبق الأكثر وفرة! طوال هذه السنوات كنت آكل وكأنني متضور جوعاً دائماً!» تحدث أيضاً عن افتتانه بالقوارب، خاصة حطام السفن والتاريخ البحري. (تحت التنويم المغناطيسي، في مناسبة أخرى، كشف أنه كان بحاراً في ثلاث حيوات مختلفة.) خلال الأسبوع رأى رؤيا. الحادثة التي تذكرها أثناء تقمصه كـ توم حدثت بينما كانت سفينة سالي ماي متوقفة في البحر، تنتظر القوارب البريطانية، بعد بضع سنوات من حرب الاستقلال. وبعد دراسة بعض كتب التاريخ، اكتشف أن هذا النوع من التكتيك لم يكن نادراً، حتى بعد عام 1776م.

تحت التنويم المغناطيسي، كشف لاوعي ويليام أنه أمضى معظم تلك الحياة في البحر وأنه بلغ سناً متقدماً. وعلى الرغم من أنه لم يتضور جوعاً مرة أخرى، فقد ترك ذلك الحدث بصمة لا تُمحى ـــ بقيت قائمة لما يقرب من مائتي عام.

في إحدى جلساتنا التحليلية بالتنويم المغناطيسي الأخرى، كشف لاوعي ويليام أن بعضاً من حساسياته كانت بسبب تجارب عاطفية (بالإضافة إلى عدم تحمل جسدي لبعض الأطعمة) من حياته الحالية، بينما كانت لغيرها جذور في حيوات سابقة. وبينما هو لا يزال في غيبوبة عميقة، جعلته يرجع إلى الحياة المسؤولة عن حساسية فراء القطط. وجدنا توم جونز مجدداً:

و. ــــ شيئان... كنت آكل الدجاجة... ووجدتني القطة. هي أيضاً أرادت ولم أعطها. ركلتها وبدأت تموء بصوت عالٍ جداً... وجاء الناس ووجدوني مع الدجاجة. [يبدأ في التنفس بصفير خفيف.]

الدكتورة ف. ــــ إذن بسبب القطة اكتشفوك مع الدجاجة؟

و. ــــ نعم... لم أرد أن يكتشفوني. [يتنفس بسرعة.]

الدكتورة ف. ــــ وحقيقة اكتشافهم لك سببت لك قلقاً عظيماً، أليس كذلك؟

و. ــــ كان ذلك بسبب القطة الأخرى.

الدكتورة ف. ــــ أية قطة أخرى؟

و. ــــ سوط الذيل بتسع عقد .

الدكتورة ف. ــــ حدثني عنها.

و. ــــ إنه نوع من السوط. به ضربوني.

الدكتورة ف. ــــ كم مرة؟

و. [يتلوى جسده بعنف وبشكل متكرر.] ــــ ثلاثين مرة وكانت بها كرات صغيرة عند الأطراف... كانت تغوص في اللحم... [يلهث]... وبعد ذلك انتهى كل شيء، ووضعوا ماء البحر على الجروح. [منهك.]

الدكتورة ف. ــــ كيف تشعر الآن؟

و. [يرتجف.] ــــ بالخوف.

الدكتورة ف. ـــ مم تخاف؟

و. ـــ من الألم.

الدكتورة ف. ـــ لقد مضى الألم، ولم تعد بحاجة للخوف. حافظ على هدوئك واسترخائك. عندما أصل إلى خمسة ستصبح هادئاً ومسترخياً جداً. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

أظهر فحص لإشارات أصابعه أن حساسيته الكاملة تجاه ريش الدجاج نشأت من الخوف الذي شعر به عندما اصطاد الدجاجة ومن الاشمئزاز الذي انتابه عندما نتفها وأزال أحشاءها.

منذ جلستنا الأولى، كان ويليام يسجل وزنه بدقة في رسم بياني يومياً. كنا نحلل هذا الرسم البياني بمجرد أن نلتقي. كان خط الوزن يتخذ منحنى هابطاً، مليئاً بالصراعات. كان ويليام يفقد الوزن باستمرار، بمعدل حوالي 1.5 كجم في الأسبوع. عكس رسمه البياني هذا النقصان، ووصل أخيراً إلى التسعين كيلوغراماً. في ذلك الوقت حدث شيء غريب ـــ اكتسب عادة لا تُصدق تتمثل في أكل الشوكولاتة! أصبحت هذه العادة قوية لدرجة أنه كان يجد نفسه كل يوم ينجذب كالمغناطيس إلى محلات الحلويات، حيث كان يشعر بأنه مضطر لشراء عدة ألواح من الشوكولاتة. «يمكنني مقاومة كل الأشياء الأخرى، ولكن هذا يفسد حميتي التي تبلغ 800 سعر حراري في اليوم.» كان يشعر بالذنب وكراهية الذات، وكان يقدم الوعود المعتادة التي تتبع هذه التجاوزات على الأغلب. «ولكني لا أستطيع التوقف. الشوكولاتة لا تُقاوم إطلاقاً ـــ وبالطبع، الواحدة لا تكفي أبداً.» قررنا أن نفعل شيئاً حيال ذلك.

تحت التنويم المغناطيسي سألت لاوعيه عما إذا كان هناك أي شيء مسؤول عن هذا الهوس على مستواه. ارتفع إصبعه الدال على «نعم» ببطء. «هل الحدث المرتبط بهذا الأمر حدث في هذه الحياة؟» أجاب إصبعه الدال على «لا» هذه المرة. جعلته يعود بالزمن «إلى حدث وقع منذ زمن بعيد وله علاقة برغبته في الشوكولاتة».

و. ـــ حسناً... كل ما حولي مظلم. لا أستطيع أن أرى أي شيء على ما يبدو.

الدكتورة ف. ـــ في غضون لحظات قليلة، سيظهر لك ما يحدث بوضوح.

و. [بحزن.] ـــ الجو بارد... مظلم وبارد.

الدكتورة ف. ـــ ماذا تفعل؟

و. ـــ أنا منكمش، لأن الجو بارد جداً. [يرتجف.]

الدكتورة ف. ـــ أين أنت؟

و. ـــ أنا في العراء. تتساقط الثلوج وأظن... أظن أن هناك صخوراً وأشجاراً، صخور في الغالب ونوع من الكهوف في الصخر، أو شيء من هذا القبيل... وتتساقط الثلوج والجو بارد.

الدكتورة ف. ـــ انظر إذا كان بإمكانك اكتشاف من أنت. ستعرف اسمك وكل شيء آخر عنك.

و. ـــ كنت أصطاد... وتُهت وأظن أنني سأتجمد! لا أعرف ما هو اسمي. [بصوت أجش جداً ويرتجف.]

الدكتورة ف. ـــ عندما أصل إلى ثلاثة ستعرف. واحد... اثنان... ثلاثة.

و. ـــ فريد.

الدكتورة ف. ـــ فريد، تُهت... كنت تصطاد وتُهت، أهذا صحيح؟

و. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ منذ متى وأنت تائه؟

و. ـــ يوم كامل... بدأت الصباح، كنت أخطط للانتهاء في المساء وتُهت؛ والآن هو الليل. [مذعور تماماً.]

الدكتورة ف. ـــ أين أنت؟ ما هو البلد أو الولاية؟

و. ـــ أنا... يبدو لي أنها الولايات المتحدة... أنا أصطاد الغزلان.

الدكتورة ف. ـــ هل تعيش بالقرب من المكان الذي ذهبت إليه للصيد؟

و. ــــ يبدو لي أنني لا أعيش قريباً جداً... ربما على بعد حوالي ثلاثين كيلومتراً.

الدكتورة ف. ــــ هل كنت تصطاد مع أصدقاء، أو كنت بمفردك؟

و. ــــ كنت... كنت أمشي بمفردي... أنا... لا أعرف، فجأة، بدت لي الأمور غريبة وتُهت. لا أعرف كيف...

الدكتورة ف. ــــ ما هو اسم الأرض التي تعيش فيها؟

و. ــــ أيداهو.

الدكتورة ف. ــــ هل ذهبت لصيد الغزلان مرات عديدة؟

و. ــــ نعم ولم أضع طريقي قط. [قال ذلك بفخر واضح.]

الدكتورة ف. ــــ فريد، كم عمرك؟

و. ــــ حوالي الثلاثين عاماً.

الدكتورة ف. ــــ ما هي السنة؟

و. ــــ ألف وتسعمائة وخمسة.

الدكتورة ف. ــــ ما نوع السلاح الذي لديك؟

و. ــــ ستيفنز.

الدكتورة ف. ــــ هل هي بندقية؟

و. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ هل لديك أي طعام معك؟

و. ــــ لا، اعتقدت أنني سأعود قبل الغداء.

الدكتورة ف. ـــ من في منزلك؟

و. ـــ لا أحد... أنا وحدي.

و. ـــ نعم. لدي كوخ.

الدكتورة ف. ـــ هل تعيش في هذا الكوخ، أم تستخدمه فقط عندما تصطاد؟

و. ـــ أعيش هناك. لا أستطيع أن أفهم لماذا ضعت. إنه... إنه غباء!

الدكتورة ف. ـــ الآن أود أن تتقدم بضع دقائق في الوقت، أو أن تذهب إلى الحدث الهام التالي.

و. ـــ شخص ما قادم... إنه شخص على ظهر حصان. [يهتز صوته بالإثارة.]

الدكتورة ف. ـــ ماذا تفعل؟

و. ـــ أصرخ عليه.

الدكتورة ف. ـــ ماذا تقول له؟

و. ـــ أقول: «يا هذا! توقف!» وأسأله عن مكاني.

الدكتورة ف. ـــ ماذا يجيب؟

و. ـــ لا أعرف... لا أفهم.

الدكتورة ف. ـــ هل هذا يحدث في الليلة نفسها؟

و. ـــ إنه اليوم التالي.

الدكتورة ف. ـــ كيف يبدو هذا الرجل؟

و. ـــ يبلغ طوله حوالي... متراً وسبعة وستين سنتيمتراً وله قامة عادية... ويرتدي ملابس سميكة، بسبب الشتاء... لديه بندقية... لديه وشاح و... تجمدت لحيته وأصبحت كالسوالف، بسبب البرد، و... لديه قبعة مربوطة حول أذنيه.

الدكتورة ف. ـــ وماذا يحدث بعد ذلك؟

و. ـــ ثم هو... يقول إنه سيأخذني إلى المدينة ومن هناك يمكنني أن أجد طريقي. لا أعرف لماذا ضعت. ما كان يجب أن أضيع. يجب أن أعرف هذه المنطقة جيداً!

الدكتورة ف. ـــ هل تركب على حصانه؟

و. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ كيف تشعر على ظهر حصانه، في طريق العودة إلى المدينة؟

و. ـــ أشعر بالألم، لأنني متصلب، بسبب البرد. ولكن، على الأقل، أعرف أنني لن أصاب بالغرغرينا.

الدكتورة ف. ـــ هل تعلم أنك لن تصاب بالغرغرينا؟

و. ـــ أشعر بالألم وهذا يعني أنني لن أصاب بالغرغرينا.

الدكتورة ف. ـــ جيد جداً. تقدم إلى الحدث الهام التالي. واحد... اثنان... ثلاثة.

و. ـــ ... أعود إلى كوخي وأشعر بسعادة غامرة لعودتي... إنه لأمر غريب جداً، لأنني أعرف... أعرف المنطقة. ما كان يمكن أن أضيع. لقد عشت هنا لسنوات، ما حدث لي كان غريباً. إنه شعور جيد... كل شيء عاد... إلى مكانه.

الدكتورة ف. ـــ ما هو أول شيء تفعله عندما تعود إلى كوخك؟

و. ـــ أبحث عن شيء لآكله؛ وكل ما لدي هو قليل من الدقيق والفول. لم أجهز بعد لحم الغزال وعليّ أن أخرج للصيد مرة أخرى، لأنني بحاجة إلى اللحم. [صوته مليء بالحزن.]

الدكتورة ف. ـــ هل أكلت شيئاً في المدينة؟

و. ــــ نعم... [يبتسم.] تناولت كوباً من الشوكولاتة الساخنة.

الدكتورة ف. ــــ كيف كان مذاقها بالنسبة لك؟

و. ــــ كان مذاقها جيداً جداً. [بلذة واضحة.]

الدكتورة ف. ــــ هل تحب الشوكولاتة؟

و. ــــ أحبها. نادراً ما أحصل عليها، لأنه يصعب العثور عليها... أعطوني إياها لأنني كنت شبه متجمد ونفعتني.

الدكتورة ف. ــــ من أعطاها لك؟

و. ــــ شخص ما من المدينة، شخص لطيف.

الدكتورة ف. ــــ هل تناولت كوباً واحداً فقط؟

و. ــــ يبدو أنني تناولت أكثر، لا أستطيع التذكر. كان أمراً جيداً... ولكني يجب أن أخرج للصيد مرة أخرى.

عندما انتهينا من تتبع ويليام في أحداث أخرى من حياته كـ فريد، انتهى التقمص وأخرجته من التنويم المغناطيسي. عبس وقال: «ما زلت مندهشاً من أنني ضعت. كنت قلقاً جداً ــــ وبارداً!» بعد بضع ثوانٍ، كان خلالها غارقاً في صمت تفكيري، قال: «الآن عرفت لماذا كانت الشوكولاتة مهمة جداً في حياتي.» أخبرته: «نحن الآن نمر بأول موجة برد، ربما يكون ذلك قد أثر، بطريقة غامضة ولا واعية، على تجمد فريد.» متذكراً العام السابق، تذكر ويليام أنه حدث له الشيء نفسه: تمكن من الوصول إلى التسعين كيلوغراماً و، خلال فترة البرد، انجرف وراء انجذاب للشوكولاتة، دمر حميته ــــ وثقته بنفسه. كان الوقت متأخراً جداً للتحقق (فقط بدافع الفضول) مما إذا كان هناك شيء غريب، مثل حقيقة أن فريد كان يزن في ذلك الوقت بالضبط تسعين كيلوغراماً. سنصل إلى ذلك يوماً ما. ولكن في الوقت الحالي هذا ليس مهماً.

وافق لاوعي ويليام أخيراً على أنه مستعد لخسارة الكيلوغرامات في «تعرجات» حتى يصل إلى هدفه البالغ 64 كجم. قررنا ألا نخطط لأي شيء وأن نعمل على ما يظهر كل يوم، حتى يتم تحقيق هذا الهدف. شعرنا بالرضا لأن ويليام يزن الآن 83 كجم وأيضاً، لأنه يستطيع الآن مقاومة الشوكولاتة.

في أحد الأيام ظهر بابتسامة عريضة. «القطط لديها لسان خشن حقاً! تركت قطة جاري تلعق قطعة زبدة كانت على طرف إصبعي. وحتى أنني استمتعت بذلك. والأهم من ذلك أنني تمكنت من التنفس.» وأضاف: «في الماضي كنت أبدأ بالارتجاف وأواجه صعوبة في التنفس كلما اقتربت مني قطة. حتى الآن لم أجد أي دجاجة. لكني ما زلت أعتقد أنها غبية!»

الفصل السادس - «لا يوجد جنس لشخص مثلي»

عندما قدمت نفسي لباتريشيا في غرفة الانتظار، واجهت امرأة أنيقة وجميلة، في حوالي الثلاثين من عمرها، ذات شعر بني فاتح متموج وعينين خائفتين بلون البندق. كانت ترتدي ملابس بسيطة، بقميص ملون وسراويل واسعة متناسقة. بمجرد دخولها المكتب، جلست بجمود على الكرسي المائل الحديث — وهو أمر ليس سهلاً على الإطلاق! تشبثت بذراعي الكرسي، وبانزعاج هائل وواضح، أخبرتني بتردد سبب مجيئها طلباً للمساعدة. «أنا وزوجي، مارك، متزوجان منذ ثماني سنوات. كنا نتواعد لمدة ثلاث سنوات.» واحمر وجهها والدموع في عينيها واصلت. خرجت الكلمات منها ببطء. «ولم تكن لدينا علاقات جنسية قط.» وأضافت بسرعة أن مارك كان بعيداً، في الخدمة، خلال بعض سنوات المواعدة تلك. وبسذاجة مدهشة، قالت باتريشيا: «يبدو أن هناك شيئاً مفقوداً في زواجنا. نحن نحب بعضنا البعض — لبعض الوقت. ولكن يجب أن يكون هناك شيء آخر في العلاقة.» بينما كانت تكشف عن حياتها، اعترفت بأنها تشعر بالغيرة «الجنونية»، دون أدنى سبب. وتابعت كاشفة عن وجود توتر كبير في العلاقة وخلافات كادت أن تنتهي بالعنف الجسدي.

بينما كانت تتحدث، ظلت متوترة تقريباً كما كانت في اللحظات الأولى من جلستنا. في مرحلة ما، قالت: «هذا قتل!» قررت على الفور أن أعلمها التنويم الذاتي وتركت بقية القصة لوقت لاحق. قررت أن أريها كيف يمكنها أن تسترخي جسدها تدريجياً، بدءاً بإغلاق عينيها. أقول عادة: «دع استرخاء جفنيك المغلقين ينساب إلى جبهتك، كسائل دافئ ومريح.» ألقيت نظرة سريعة على جفونها المشدودة جداً واتخذت قراراً سريعاً بتجنب كلمة «استرخاء»، على الأقل في البداية. بعد أن ركزت على تنفسها، لعدة دقائق، لاحظت أن التوتر بدأ يتحرر ببطء، على الرغم من كل شيء. ظلت يداها مشدودتين بين ركبتيها، خلال الدقائق العشر من تقنية «الاسترخاء» تلك. في نهاية تلك الدقائق العشر، أدركت أنني سأواجه عملاً كبيراً لمساعدة باتريشيا في مشكلتها الغريبة.

خلال الزيارتين التاليتين، باستخدام التنويم المغناطيسي، حاولت استكشاف أصول مخاوفها. على الرغم من أنها استخدمت شريط الاسترخاء الذي سجلته لها بجد مرتين في اليوم، لم يكن هناك أي تغيير في دفاعاتها ضد غيبوبة أعمق. لم تتحرك أصابعها عند إيحاءاتي، لذلك لم أتمكن من استخدام تقنياتي المعتادة. عندما طلبت منها الرد شفهياً، لم نصل إلى أي مكان. لم يلقِ أي شيء قالته أي ضوء على المشكلة — على الأقل لم يكن كافياً لتفسير قلقها الهائل بشأن الجنس.

حددت موعداً مع مارك، وبعد بضعة أيام، ظهر بمفرده. كان رجلاً وسيماً وشاباً، ذا مظهر جيد؛ كان عمره يزيد قليلاً عن الثلاثين وكان يرتدي ملابس بعناية فائقة، بألوان تتناسب مع شعره البني الجميل. في لقائنا الأول بدا أكثر قلقاً من زوجته. في الواقع، لم يكن من الممكن أن تستمر المقابلة دون إزعاجه ظلماً. لذلك، وقبل كل شيء، علمته الاسترخاء الذاتي، في الدقائق الخمس الأولى! بعد ذلك، ابتسم قليلاً واسترخى جسده كله، بتردد، في الكرسي. ظل وجهه محمراً وصوته يرتجف، عندما حدثني عن حياتهما معاً.

«لا شيء ينجح! مهما حاولت مع باتريشيا، عاجلاً أو آجلاً، وعادة ما يكون ذلك بسرعة كبيرة، ترفض!» شعر بالإحباط والغضب الشديدين. قال: «يبدو لي أنها تعتبر الجنس شيئاً قذراً! إنه لأمر محرج لها أن تصاب بأدنى إثارة — ثم تنقطع.» كان يلوم نفسه، لأنه شعر بأنه ربما كان يتصرف بشكل خاطئ بطريقة ما. لقد حاول كل ما يمكن أن يتخيله، بما في ذلك محاولات غير مثمرة لإجبارها.

شعر أن زواجهما جيد، لأنهما يحبان بعضهما البعض. ولكنه كان مستاءً تماماً لأنهما لم يتمكنا من التحدث عن الجنس —— «مشكلتنا الكبرى». لقد أدرك أنه كان يجب عليه البحث عن المساعدة في وقت أبكر. اعترف: «كنت 'ذكورياً' جداً لدرجة أنني لم أرد أن أكشف المشكلة لأي شخص وكانت باتريشيا مرعوبة من التحدث عن الجنس مع معالج. في الواقع،

اضطر طبيبها إلى دفعها للمجيء إليك، عندما رأى مدى توترها.»

بدأوا يحضرون الجلسات معاً. أسبوعاً بعد أسبوع أحرزوا تقدماً بطيئاً، ممارسين مهام مختلفة أوضحتها لهم لمساعدتهم على تقدير بعضهم البعض. في البداية كانوا يتبادلون التدليك بالزيت وحسب، أمام النار (لم تستطع باتريشيا الاسترخاء بما فيه الكفاية في السرير)، ويستحمون معاً. تدريجياً، في الأشهر التي تلت ذلك، بدأت باتريشيا تستمتع —— أكثر قليلاً، دون أن تشعر بالإحراج.

ومع ذلك، كان النمط نفسه يظهر دائماً. كل أسبوع، وعلى الرغم من تعليماتي، لا يمكن أن تتم «المقاربة» إلا يومي السبت والأحد. لسنوات، كانت باتريشيا تغفو —— «من الإرهاق» —— على الأريكة، بعد العشاء، كل ليلة يشاهدان فيها التلفزيون معاً. الآن كان كلاهما يتساءل عما إذا كانت تتجنب الجنس في تلك الأيام —— وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا؟

في أحد الأيام ظهرا لي بابتسامة كبيرة، وسعداء، وقدما لي باقة كبيرة من أقحوانات ذهبية. علمت على الفور أنهما حققا انتصارهما الأول. كانا قد أقاما علاقة جنسية، لأول مرة منذ إحدى عشرة سنة! جلسنا وأخبراني الأخبار السارة. بعد بضع دقائق، قلد مارك تعابير وجه باتريشيا أثناء الفعل الجنسي وضحكنا جميعاً بحرارة. اعترفت بأنها اتخذت قراراً: «الآن أو لاحقاً»، وحاولت الاسترخاء بما يكفي للسماح بالولوج. كانت متوترة جداً لدرجة أن زوجها كاد أن يستسلم؛ ولكن، في النهاية، حدث ذلك.

بعد عدة أسابيع، وبعد مزيد من المشورة الجنسية، طلبت من باتريشيا البدء في القدوم للتحليل بالتنويم المغناطيسي.

بسبب ثقتها بي وهدوئها العام، أصبحت الآن سهلة التنويم. غاصت بسرعة في غيبوبة عميقة وأنشأت إشارات أصابع قوية. من خلال هذه الإشارات، أوضح لاوعيها أن أسباب مشكلتها كانت مخفية بعمق عن وعيها. لم تكن الجذور من هذه الحياة، بل من حيوات سابقة. لقد استغرق الأمر تسعة أشهر للبدء في فهم أصول مخاوفها المؤلمة حقاً!

جعلتها تعود بالزمن إلى «حدث قديم جداً» مرتبط بمشكلتها. تغير صوتها بشكل كبير، ليصبح واثقاً وحاداً جداً.

ب. ــــ أشعر بالشمس... إنها حارة جداً.

ب. ــــ أرى الرمال والماء. إنه البحر. إنه أزرق جداً وشفاف... الجو حار.

الدكتورة ف. ــــ هل ترين أحداً؟

ب. ــــ لا، لا أرى أحداً. الشواطئ وحسب.

الدكتورة ف. ــــ هل هناك أمواج كثيرة؟

ب. ــــ لا، الجو هادئ جداً.

الدكتورة ف. ــــ الآن انتبهي لنفسك؛ قولي لي ما ترتدين وقدمي لي وصفاً لنفسك.

ب. ــــ أنا طويلة جداً. أنا رشيقة، أنا سمراء... لا أحب أن أكون هنا. أشعر... يزعجني أن أكون هنا.

الدكتورة ف. ــــ أليس هذا بلدك؟

ب. ــــ إنه كذلك، لأنني أشعر بالارتياح هنا. إنه مكاني، أنتمي إلى هنا.

الدكتورة ف. ــــ ما هو اسم بلدك؟

ب. [منذهلة.] ــــ كاواي؟... كاواي.

الدكتورة ف. ــــ ما هي السنة؟

ب. ــــ السنة... سنة القمر.

الدكتورة ف. ــــ ولكنك لا تريدين أن تكوني هنا؟... لا تريدين أن تكوني هنا في هذه اللحظة، أهذا صحيح؟ هل يحدث أو سيحدث شيء ما؟

ب. ـــ ربما يكون هذا هو الأمر.

الدكتورة ف. ـــ ما هو اسمك؟

ب. ـــ أظن... ألينا.

الدكتورة ف. ـــ ماذا ترتدين يا ألينا؟

ب. ـــ فستان... أظنه أزرق وأبيض.

الدكتورة ف. ـــ هل لديك الكثير من الفساتين؟

ب. ـــ أوه... نعم، لدي... بعضها.

الدكتورة ف. ـــ ما الذي ترتدينه عادة؟

ب. ـــ أرتدي فستاناً أو... أو تنورة فقط.

الدكتورة ف. ـــ ومع هذه التنورة، ماذا ترتدين؟

ب. ـــ أزهاراً.

الدكتورة ف. ـــ هل ترتدين قميصاً، أم أنك عارية من الخصر إلى الأعلى؟

ب. ـــ لا أرتدي شيئاً في الجزء العلوي.

الدكتورة ف. ـــ من أين حصلتِ على قماش هذا الفستان؟

ب. ـــ أعطاه بحارة لوالدي... هو الزعيم.

الدكتورة ف. ـــ وما هو اسم والدك؟

ب. [صمت.]

الدكتورة ف. ـــ حسناً. أود أن تتقدمي إلى اللحظة التي تسمعين فيها شخصاً يخاطب والدك، عندما أعد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ـــ أرى رجالاً ونساءً واقفين. والدي يتحدث إليهم وهم ينحنون... وأنا أقف هناك وحسب، أستمع.

الدكتورة ف. ـــ يتحدث إليهم عن ماذا؟

ب. ـــ أظنه عن الطعام.

الدكتورة ف. ـــ ماذا يقول عن الطعام؟

ب. ـــ أنه ليس لدينا ما يكفي من الطعام.

الدكتورة ف. ـــ كيف تشعرين الآن؟

ب. ـــ بالملل.

الدكتورة ف. ـــ استمعي إلى الاسم الذي يطلقونه على والدك. استمعي إلى هذا الاسم وهو يُنطق.

ب. ـــ توبو، يخطر ببالي.

الدكتورة ف. ـــ جيد. عودي إلى الشاطئ الذي كنتِ فيه. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ـــ يبدو أنني أنظر حولي. أظن أنني أنتظر... أنتظر شخصاً وهو لا يأتي... أشعر بنفاد صبر شديد. [بغطرسة.]

الدكتورة ف. ـــ من تنتظرين؟

ب. ـــ حبيبي. كان يجب أن يأتي.

الدكتورة ف. ـــ ما هو اسمه؟

ب. ـــ همم... إستين، يخطر ببالي. إنه اسم جميل. أحب اسمه.

الدكتورة ف. ـــ من أين يأتي؟

ب. ـــ من مدينة أخرى.

الدكتورة ف. ـــ كيف يأتي؟

ب. ـــ يأتي على ظهر حصان. [تذكرت أنني قرأت في مكان ما أن الخيول نُقلت، لأول مرة، إلى جزر هاواي، حوالي بداية القرن التاسع عشر.]

الدكتورة ف. ـــ ماذا يحدث الآن؟

ب. ـــ أراه يصل. لا أعرف لماذا طلبت منه المجيء. لا أحبه حقاً، ولكني أحتاجه. هو... هو وسيم جداً، ولكنه يبالغ في تقدير نفسه... وليس جيداً بما يكفي لي.

الدكتورة ف. ـــ هل كنتما حبيبين لفترة طويلة؟

ب. ـــ يبدو لي ذلك. أعتقد لفترة طويلة جداً. إنه يخرجني عن طوري حقاً. [قالت ذلك بوقاحة.]

الدكتورة ف. ـــ ما الذي يخرجك عن طورك؟

ب. ـــ لأنه... يهتم بنساء أخريات غيري. [صمت طويل.]

الدكتورة ف. ـــ ماذا يحدث الآن؟

ب. ـــ نحن مستلقيان على الرمال... نحن نقيم علاقة جنسية. إنه يرضيني حقاً، في هذا الجانب، ولكنه لا... ولكنه لا يرضيني في جوانب أخرى.

الدكتورة ف. ـــ هل تستمتعين بهذا الشعور. كوني واعية بدرجة استجابتك.

ب. ـــ أنا نشطة جداً. كنت دائماً كذلك، منذ أن أتذكر.

الدكتورة ف. ـــ هل معه فقط، أم مع غيره أيضاً؟

ب. ـــ أظن أن هناك آخرين أيضاً. لطالما بدا لي أن الأمر جيد.

الدكتورة ف. — هل كنتِ دائماً قادرة على التعبير عن نفسكِ بالكامل في المجال الجنسي؛ أهذا ما تقصدين؟ هل أنتِ قادرة على الشعور بالنشوة الجنسية وكل ذلك؟

ب. — أظن ذلك. أنا أستمتع كثيراً وإستين

أيضاً يبدو أنه يستمتع كثيراً، لذلك لا بد أن يكون الأمر صحيحاً.

الدكتورة ف. — هل تشعرين بالرضا، عند إقامة علاقة معه ومع آخرين؟

ب. — مع آخرين، نعم... معه لا. هو... هو مغرور جداً. يحب نفسه ولا يحبني أنا. [بنبرة غير مبالية.]

الدكتورة ف. — هل أحبكِ الآخرون؟

ب. — نعم... ولكني لم أحبهم. في ذلك الوقت كان الأمر جيداً.

الدكتورة ف. — ماذا يحدث الآن؟

ب. — إستين يغادر... أشعر بالخجل.

الدكتورة ف. — لماذا؟

ب. — لأنه فقط.. يستخدمُني ثم يرحل. لا يتحدث معي... لا يعرفني. لا يحبني بشكل خاص، ولكنه يحب... يحب ما نفعله، مثلي تماماً. أريده أن يقدرني وألا يكون الأمر مجرد... مجرد جنس.

الدكتورة ف. — هل تريدين رؤيته مرة أخرى؟

ب. — نعم ولا. إنه دائماً الشيء نفسه... لا أشعر بالرضا هكذا. هو لا يجبرني. أنا التي أطلب منه.

الدكتورة ف. — ولكنك لستِ راضية عن الوضع، أليس كذلك؟

ب. — لو لم أحب الجنس كثيراً، لكان الأمر أسهل بكثير، ولكنه جيد جداً... خاصة معه.

الدكتورة ف. ــــ هل هو جيد جداً كحبيب؟

ب. ــــ نعم. جيد جداً. هو لطيف جداً في هذا الجانب، ولكن في الجوانب الأخرى...

الدكتورة ف. ــــ جيد جداً. سأطلب من لاوعيكِ اختيار الحدث الهام التالي. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ــــ أظن أنني سأتوقف عن الاهتمام به. سيكون هذا درساً له! سيكون حقاً درساً! لن يعجبه ذلك، سيرغب بي، ولكني لن أحتاجه بعد الآن، لأنني لم أعد بحاجة إلى هذا. سألقنه درساً!

الدكتورة ف. ــــ هل تظنين أنكِ تستطيعين فعل ذلك؟ هل يمكنكِ أن تفقدي اهتمامكِ به؟

ب. ــــ بالطبع. يمكنني فعل أي شيء. [كان صوتها مليئاً بالثقة والغطرسة.]

الدكتورة ف. ــــ حسناً، الآن أود أن تتقدمي، لنرى ما إذا كنتِ قد فقدتِ اهتمامكِ. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ــــ أظن ذلك. لقد جاء مرة أخرى، في وقت لاحق. ضربني لأنني لم أرد أن أكون معه. أريته... جعلته يجن جنونه.

الدكتورة ف. ــــ ماذا فعلت؟

ب. ــــ لم أرد إقامة علاقة جنسية معه.

الدكتورة ف. ــــ ماذا حدث؟

ب. ــــ تركته يتقدم و، في اللحظة الأخيرة، لم أسمح له بالولوج إلي.

الدكتورة ف. ــــ كيف شعرتِ وأنتِ تفعلين ذلك؟

ب. ــــ لم أشعر بالرضا التام، ولكنه هو أيضاً لم يشعر بالرضا التام؛ لذا، سار كل شيء على ما يرام.

الدكتورة ف. ـــ الآن أود أن تتقدمي مرة أخرى، إلى حدث آخر مهم جداً. واحد... اثنان... ثلاثة. ماذا يحدث لكِ؟

ب. ـــ أنا جالسة تحت شجرة نخيل...

الدكتورة ف. ـــ هل يمكنكِ أن تخبريني بشيء آخر؟

ب. ـــ همم... أشعر ببعض... الاكتئاب.

الدكتورة ف. ـــ لماذا؟

ب. ـــ أوه!... أنا، همم... لم أعد أحب... الجنس. الآخرون لا يمنحونني المتعة مثل إستين. يبدون... هم لا... لا يوجد شغف. آه... هم جيدون، ولكن، كما تعلمين... ليس... ليس الأمر ذاته.

الدكتورة ف. ـــ ليس لديكِ أي متعة؛ أهذا ما تقصدين؟

ب. ـــ ليس لدي الكثير. لدي بعضها، ولكنه لا يُقارن بما كان لدي مع إستين.

الدكتورة ف. ـــ هل إستين لا يزال جزءاً من حياتكِ؟

ب. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ ماذا حدث؟

ب. ـــ حسناً... لقد غادر و... والأمر ليس جيداً كما كان.

الدكتورة ف. ـــ هل يمكنكِ أن تخبريني المزيد عن ذلك؟

ب. ـــ أنا... أنا لا... ليس لدي الشعور نفسه.

الدكتورة ف. ـــ هل تغيرت الأمور هكذا كثيراً، بالنسبة لكِ؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. — هل يجعلكِ هذا تشعرين بالاكتئاب؟

ب. — أوه، نعم... لأنه لم يعد له المذاق نفسه كما كان معه.

الدكتورة ف. — عندما قلتِ إنه غادر، ماذا كنتِ تقصدين؟

ب. — تركني و... ولا أعرف إذا كان قد غادر الجزيرة. ربما لا يزال هنا، لم أره.

الدكتورة ف. — هل مر وقت طويل، منذ آخر مرة رأيته فيها؟

ب. — نعم... يبدو كذلك.

الدكتورة ف. — وعندما تكونين مع رجال آخرين لا تشعرين بالمتعة الجنسية؟

ب. — الأمر ليس... ليس ذاته، ليس الشعور ذاته. إنه... ليس ذاته معه.

الدكتورة ف. — قبل أن تلتقي به، هل كنتِ تشعرين بالمتعة الجنسية مع رجال آخرين؟

ب. — كنت أظن ذلك، ولكن بعد... عندما أقمنا علاقة جنسية... أدركت ما فقدته... [صمت طويل.]

الدكتورة ف. — هل يمكنكِ أن تخبريني بشيء آخر عن نفسكِ، عن ما تشعرين به؟

ب. [تخرج الكلمات ببطء.] — أوه!... لقد غادر وهذا يجعلني أشعر بالغضب... و... بالملل.

الدكتورة ف. — كيف تسير حياتكِ الآن؟ كيف تقضين أيامكِ؟

ب. — أوه... أستيقظ... آكل بعض الفاكهة و... أذهب للسباحة... الماء جيد للسباحة و... أتجول... لا... لا أعمل.

الدكتورة ف. — هل تهتمين بأي شيء؟ هل تحبين الرسم أو الغناء أو العزف على آلة موسيقية؟

ب. ـــ لا. أحب... التنزه في... التلال و... تناول الغداء. لدي... لدي أنبوب خشبي وهو يصدر... يصدر أصواتاً. أحب ذلك. أذهب بمفردي وأجلس على التل وأنظر إلى الأسفل... إلى الماء. أخذت إستين إلى هناك.

الدكتورة ف. ـــ يبدو أنه مكان جميل.

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل عشتِ دائماً في هذه الجزيرة؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل يمكنكِ أن تخبريني بشيء آخر عن الجزيرة؟

ب. ـــ همم... الرجال يصطادون السمك كل يوم. يجلبون لنا السمك، الطعام. النساء يُحضِّرن... يُحضِّرن الطعام، بالسمكِ... والزعيم، همم... قلق.

الدكتورة ف. ـــ لماذا هو قلق؟

ب. ـــ يبدو أن إحدى الجزر الأخرى ستدخل... في حرب.

الدكتورة ف. ـــ هل تعرفين القراءة والكتابة؟

ب. ـــ لا. ليس لدينا مدارس... لا.

الدكتورة ف. ـــ ممن تتكون عائلتكِ؟

ب. ـــ يبدو أن لدي... ثلاث أخوات. إنهن غبيات... إنهن غبيات، إنهن...

الدكتورة ف. ـــ غبيات؟

ب. ـــ إنهن... ساذجات.

الدكتورة ف. ـــ هل هن أصغر منكِ؟

ب. — نعم.

الدكتورة ف. — سأطلب من لاوعيكِ أن يأخذكِ إلى مناسبة كنتِ فيها مع كل عائلتكِ، لكي تتمكني من استيعاب كل ذلك. واحد... اثنان... ثلاثة. ماذا تفعلين الآن؟

ب. — همم... أنا جالسة على... جالسة على الأرض.

الدكتورة ف. — أين أنتِ؟

ب. — داخل كوخ.

الدكتورة ف. — لمن هذا الكوخ؟

ب. — أظن أنه كوخي.

الدكتورة ف. — هل الكوخ لكِ وحدكِ أم تتشاركينه مع أحد أفراد عائلتكِ؟

ب. — إنه... إنه لي وحدي.

الدكتورة ف. — هل يمكنكِ أن تخبريني بما يوجد بالداخل؟ هل يمكنكِ وصفه؟

ب. — همم... حصير للاستلقاء عليه... قدر.

الدكتورة ف. — لماذا يُستخدم؟

ب. — همم... أظن أنه للطعام... وهو... الشمس تدخل والجو دافئ، إنه شعور جيد.

الدكتورة ف. — هل تحبين كوخكِ؟

ب. — نعم.

الدكتورة ف. — هل ترين أحداً من عائلتكِ؟

ب. — أرى والدي، واقفاً على الشاطئ... مع... مع... بطنه الكبير. [تضحك بهدوء.]

الدكتورة ف. ــــ ما رأيك في المشهد؟

ب. ــــ أوه... همم. إنه مضحك.

الدكتورة ف. ــــ ماذا تقصدين؟

ب. ــــ هو... هو سمين. لديه بطن كبير.

الدكتورة ف. ــــ هل والدتكِ سمينة أيضاً؟

ب. ــــ همم...

الدكتورة ف. ــــ هل يمكنكِ رؤيتها؟

ب. ــــ لا.

الدكتورة ف. ــــ هل ترين أياً من أخواتكِ؟

ب. ــــ فقط... فقط، آه... والدي، واقفاً على الشاطئ.

الدكتورة ف. ــــ حسناً، الآن سأطلب من لاوعيكِ أن يأخذكِ إلى مناسبة تجتمعين فيها مع كل عائلتكِ. واحد... اثنان... ثلاثة. ماذا يخطر ببالك؟

ب. ــــ أوه! نحن جميعاً نأكل؛ أخواتي الثلاث ووالدي.

الدكتورة ف. ــــ هل هناك أي شخص آخر؟

ب. ــــ همم... أظن أن خالي موجود هنا أيضاً.

الدكتورة ف. ــــ أين والدتكِ؟

ب. ــــ همم... لا أعرف. [بصوت مذهول.]

ب. ــــ هي... أنا لا... لا أعرف عنها شيئاً.

الدكتورة ف. ـــ ولكنكِ تعيشين مع والدكِ وأخواتكِ الثلاث؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل يوجد زعيم واحد فقط في الجزيرة؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ ماذا تأكلين؟

ب. ـــ بعض... بعض الفاكهة والسمك و... سمك مطحون مع جذور.

الدكتورة ف. ـــ من يُحضِّر الطعام؟

ب. ـــ بعض نساء الجزيرة.

الدكتورة ف. ـــ حسناً، تقدمي في الزمن أكثر، إلى حدث بالغ الأهمية. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. [صمت طويل.] ـــ أظن أنني... أموت... أشعر بأنني كنت حمقاء، لفعل ما فعلت. [صوتها ثقيل وحزين.]

الدكتورة ف. ـــ ما الذي فعلتِه؟

ب. ـــ عزلت نفسي. جعلت... جعلت نفسي أتوقف عن الشعور بالمتعة وكان ذلك حماقة مني؛ ماذا بوسعي أن أفعل؟ لا يمكنني الاستمتاع. كانت حماقة حقاً مني... هذه الفعلة.

الدكتورة ف. ـــ هل تشعرين حقاً بأنكِ اتخذتِ خياراً سيئاً، وبأنكِ ارتكبتِ خطأً كبيراً؟

ب. ـــ أعتقد ذلك.

الدكتورة ف. ـــ هل أنتِ عجوز الآن يا ألينا؟

ب. ـــ لا أظن... لا أظن أنني عجوز جداً، ولكني... أستعد للموت.

الدكتورة ف. ــــ كيف تعرفين ذلك؟

ب. ــــ لا أعرف.

الدكتورة ف. ــــ هل أنتِ واعية بأي شيء آخر؟

ب. ــــ أفتقد إستين. لقد مرت... مرت سنوات عديدة، منذ آخر مرة رأيته فيها... ولكني ما زلت أرغب فيه بالطريقة ذاتها. [الدموع تملأ عينيها.] ليتني لم أفعل ذلك. كم من سنوات ضائعة.

الدكتورة ف. ــــ هل تزوجتِ، هل أنجبتِ أطفالاً؟

ب. ــــ لا، لا أعتقد ذلك.

الدكتورة ف. ــــ وهل أنتِ مريضة الآن؟ هل هذا هو سبب احتضاركِ؟

ب. ــــ لا أشعر بالمرض.

الدكتورة ف. ــــ اذهبي إلى لحظة وفاتكِ. شاهدي ما إذا كنتِ تدركين سبب موتكِ وشعور الموت. واحد... اثنان... ثلاثة. بماذا تشعرين؟

ب. ــــ أنا مستلقية هناك.

الدكتورة ف. ــــ هل هناك أحد معكِ؟

ب. ــــ يبدو أن هناك الكثير من الناس حولي. [بهدوء وبصوت منخفض.] لا أشعر بألم، ولكني أعرف أنني سأموت.

الدكتورة ف. ــــ أين أنتِ؟ هل أنتِ في منزلكِ أم...؟

ب. ــــ أنا في العراء. أظن أنهم سيقتلونني.

الدكتورة ف. ــــ هل سيقتلونكِ؟

ب. ـــ أعتقد ذلك. أعتقد أنه... أعتقد أنها تضحية. أظن أن هذا هو الأمر و... ولا أمانع. لا يهم عندي أن أموت.

الدكتورة ف. ـــ كيف سيقتلونكِ؟

ب. ـــ أظن أنهم سيرمونني من فوق جبل. هل هو بركان؟ لا أعرف.

الدكتورة ف. ـــ كيف وصلتِ إلى هناك؟

ب. ـــ يبدو لي... أنهم حملوني على منصة، بفستاني الأزرق والأبيض وأعتقد أنهم سيرمونني.

الدكتورة ف. ـــ هل هذه عادة في المكان الذي تعيشين فيه؟

ب. ـــ أظن ذلك.

الدكتورة ف. ـــ عندما أعد حتى ثلاثة ستعرفين بالضبط أين أنتِ، وما هي أسباب هذه العادة وتحت أي ظروف يتم اختيار الشخص. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ـــ أنا ابنة الزعيم وكان... كانت سنة سيئة للمحاصيل، لا يوجد ماء والطريقة الوحيدة لاسترضاء الآلهة هي... هي التضحية بي وأنا أعرف ذلك.

بينما كانت باتريشيا لا تزال تحت التنويم المغناطيسي، وافقتها على أنها ارتكبت خطأً في «الانسحاب» وأعطيتها إيحاءات لتسمح لنفسها باستعادة النشاط الجنسي الذي تمتعت به بشكل طبيعي في تلك الحياة. أشار لاوعيها بالموافقة.

خرجت من التنويم المغناطيسي وتحدثنا عن تجربتها الأولى في دور «شخص آخر».

الدكتورة ف. ـــ هل تشعرين بأنكِ عدتِ؟

ب. ـــ نعم. [تضحك.]

الدكتورة ف. ـــ هل تشعرين بأنكِ شخص مختلف جداً عن الشخص الذي كنتِه؟

ب. ـــ نعم. حسناً، نعم ولا. كنت أشعر بأنني متفوقة جداً، كما تعلمين، ولكن...

الدكتورة ف. ـــ كنتِ تلعبين هذا الدور. كانت لديكِ طريقة تصرف متعجرفة.

ب. ـــ رأيت ذلك، نعم. شعرت، «أنا 'أنا' مختلفة». أنا لست كذلك، كما تعلمين. ربما أكون، ولكني لست كذلك. [تضحك.] كانت لدي نظرة غير مبالية تجاه العشاق الآخرين، من يهتم؟ لا يهم ما شعروا به تجاهي. أنا، كما تعلمين... هذا جنون!

الدكتورة ف. ـــ هل تشعرين بأنكِ كنتِ مرتبطة عاطفياً بإستين، على الرغم من عدم وجود علاقة جيدة؟

ب. ـــ شعرت بالتعلق به، ولكنه لم يشعر بالشيء ذاته تجاهي.

الدكتورة ف. ـــ ولكنكِ لم تكوني تحبينه؟

ب. ـــ لم أحبه، ولكني بطريقة ما كنت أحبه. كنت... ربما لم أحبه، لأنه لم يحبني، ولكن، في الحقيقة، كما تعلمين، أنا... كنت أريده حقاً.

الدكتورة ف. ـــ في الواقع، كنتِ تريدين شيئاً أكثر منه. لذلك قررتِ أنكِ لا تحبينه، في حين أن هذا لم يكن صحيحاً في الواقع.

ب. ـــ نعم، أعتقد أن هذا هو ما حدث.

الدكتورة ف. ـــ هل يفسر لكِ هذا ما حدث لكِ في هذه الحياة؟ هل يبدو منطقياً بالنسبة لكِ؟

ب. ـــ نعم، يبدو كذلك. يفسر حقاً لماذا لا أستطيع الاسترخاء. إنه أمر مضحك، في بعض الأحيان، في تلك المناسبات، كنت أفكر: «أوه! هذا مجرد وهم، كما تعلمين، أنا أختلق كل هذا الشيء الغبي!» ولكن، في تلك اللحظات، كانت لدي نوع من الرؤى، مثل المشاهد، التي...

الدكتورة ف. ـــ وفي وقت التضحية، هل كنتِ على الجبل، عندما كنتِ تقدمين الوصف؟

ب. ـــ حسناً، عندما بدأت الوصف كنت في الأسفل، لأنني لم أتمكن من رؤية نفسي إلا مستلقية على لوح حجري، ولكن بعد ذلك كنت في قمة الجبل وأعتقد أنهم رموني.

الدكتورة ف. ـــ هل رأيتِ نفسكِ تُرمين؟

ب. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ ألم تكوني خائفة؟

ب. ـــ لا، ولا قليلاً. كان الأمر... كما تعلمين... وماذا بعد؟

الدكتورة ف. ـــ كيف تفاعلتِ مع أسئلتي؟

ب. ـــ فكرت: «من هذا الذي يطرح علي كل هذه الأسئلة؟» شعرت بأنني متفوقة جداً ومنزعجة.

في الدقائق القليلة الأولى من لقائنا التالي، أسعدتني باتريشيا بتفاصيل ردود أفعال مارك عندما علم أن زوجته كانت أميرة هاواي. أولاً شعر بصدمة هائلة؛ ثم لم يصدق؛ وأخيراً، مفتوناً، طرح آلاف الأسئلة. هل يمكن أن يكون هو إستين؟ أجابت باتريشيا: «لا أظن أنك هو». شعر مارك بالغيرة للحظات. لكن رد فعلها الجنسي أذهلهما كليهما. «أخبرت مارك أنني شعرت بالجاذبية الجنسية لدرجة أنني كدت لا أصدق نفسي.» لاحظت في جسدها أحاسيس أقوى مما شعرت به على الإطلاق (في هذه الحياة!). أرادت ممارسة الحب على الفور، ولكن مارك أصيب بحمى معوية، لذلك كان عاجزاً لبضعة أيام. ثم أصيبت هي نفسها بالحمى ذاتها. بين الجلسات، لم يمارسا الحب إلا مرة واحدة. صرخت: «يا له من تغيير!» «تمكنت من الشعور بكل تلك الأحاسيس الرائعة التي شعرت بها كـ ألينا ـــ ليست بالقوة ذاتها، ولكن أفضل بمائة مرة من ذي قبل.» كان من الواضح أنها شعرت بالتشجيع وسعادتها كانت متلألئة.

بعد لحظة، قالت: «حدث شيء غريب، أدركت أنني أشعر بالذنب.» قارنت هذا الشعور بمشاعر الاشمئزاز والغضب والقلق السابقة، التي عانت منها خلال السنوات الأولى من زواجها. الآن، مع شعورها بقلق أقل، كان لديها شعور بأنها لا تتصرف بشكل صحيح ـــ ومع ذلك، كانت تعرف أنها لا تفعل شيئاً خاطئاً. كانت مرتبكة.

نومتها مغناطيسياً وسألت لاوعيها عما إذا كان قد حدث شيء ما يمكن أن يسبب لها شعور الذنب هذا. بعد بضع دقائق رأت نفسها «في مكان آخر، في زمن آخر وكشخص آخر».

ب. ـــ أنا جالسة تحت شجرة... أظن أنها شجرة تفاح... عشب أخضر.

الدكتورة ف. ـــ صفي لي نفسك وكل ما يحيط بكِ.

ب. — يبدو أن عمري اثنتا عشرة سنة... لدي ضفائر وأنا جالسة هنا، في قمة هذا الجبل... أنظر... إلى الأسفل، إلى الوادي والأخضر... إنه حقاً خصب وجميل... الجو بارد... أحب أن أكون هنا.

الدكتورة ف. — أود أن تخبريني بما ترتدين وماذا تعرفين عن نفسكِ. قولي اسمكِ.

ب. — كيم، يخطر ببالي... كيمبرلي بيورج. بشرة فاتحة. يبدو أنني أرتدي مئزراً أزرق... مئزر أزرق مربعات. أنا جالسة تحت شجرة تفاح.

الدكتورة ف. — لماذا أنتِ هنا يا كيم؟

ب. — لأنه هادئ وأنا أستمتع بيوم ربيعي. [تبتسم.] الجو جميل جداً في الخارج.

الدكتورة ف. — أين تعيشين يا كيم؟

ب. — هناك في الأعلى... في قمة التل.

الدكتورة ف. — من هي عائلتكِ؟

ب. — الأم والأب و... جورج.

الدكتورة ف. — من هو جورج؟

ب. — ... أخي.

الدكتورة ف. — هل هو أكبر أو أصغر منكِ؟

ب. — أكبر مني.

الدكتورة ف. — في أي بلد تعيشين؟

ب. — السويد؟... السويد.

الدكتورة ف. — ما اسم مدينتكِ؟ هل تعيشين بالقرب من المدينة؟

ب. ــــ لا. نحن نعيش... نعيش في الريف.

الدكتورة ف. ــــ هل تعيشين بالقرب من أي مدينة؟

ب. ــــ همم... ليست قريبة جداً... يخطر ببالي... نايتس تاون.

الدكتورة ف. ــــ هل يمكنكِ وصفها لي؟ هل يمكنكِ رؤيتها من حيث تجلسين؟

ب. ــــ لا، إنها بعيدة جداً.

الدكتورة ف. ــــ ما هي السنة يا كيمبرلي؟

ب. ــــ همم.

الدكتورة ف. ــــ سيخطر لكِ ذلك عندما أعد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ــــ ألف وثمانمائة ونيف... ألف وثمانمائة وخمسة وعشرون، خطر ببالي.

الدكتورة ف. ــــ سأطلب من لاوعيكِ أن يتقدم إلى لحظة بالغة الأهمية. شيء مهم يجب أن تعرفيه. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ــــ إنه جورج. إنه يتسلق التل. [صوتها متحمس جداً.]

الدكتورة ف. ــــ هل ما زلتِ جالسة تحت شجرة التفاح؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ كيف تشعرين عندما ترينه يقترب؟

ب. ــــ شعور سيئ. هو يريد... يريد أن... يلعب تلك الألعاب مرة أخرى وأنا... لا أحبها على الإطلاق، ولكنه... هو يحبها، كما تعلمين... هو يحبها.

الدكتورة ف. ــــ هل يمكنكِ أن تخبريني عن هذه الألعاب؟

ب. [بخجل.] ــــ أوه، لا.

الدكتورة ف. ـــ هل تفضلين عدم القيام بذلك؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ أنتِ تعرفين أنني طبيبة، أنا لا أخبر أحداً بما تقولينه لي، ولن أحكم عليكِ. ربما بمعرفة هذا يكون أسهل أن تخبريني.

ب. ـــ ولكن... همم.

الدكتورة ف. ـــ تبدين خجولة بسبب ذلك. هل هذا صحيح؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل يريد لعب هذه الألعاب معكِ منذ فترة طويلة؟

ب. ـــ أوه... يبدو كذلك.

الدكتورة ف. ـــ كم كان عمركِ عندما بدأت؟

ب. ـــ عشر سنوات.

الدكتورة ف. ـــ صفي ما يحدث عندما يقترب جورج.

ب. ـــ أوه... هو يأتي صاعداً التل ويسألني إذا كنت أريد اللعب، أقول «لا»... ولكنا نلعب على أي حال.

الدكتورة ف. ـــ هل يمكنكِ أن تخبريني المزيد عن ذلك الآن؟

ب. ـــ أوه، نحن نلمس بعضنا البعض ويُصدر هو أصواتاً غريبة و... أنا... أنا... أنا أستمتع، ولكن... ولكن... ولكني أعتقد أنه لا يجب عليّ ذلك. [تخفض صوتها إلى همس.]

الدكتورة ف. ـــ ما الذي يجعلكِ تظنين أنه لا يجب عليكِ فعل ذلك؟

ب. ـــ حسناً، نحن... نحن إخوة. يبدو لي أنه لا يجب علينا فعل مثل هذه الأشياء، لبعضنا البعض.

الدكتورة ف. — هل أخبركِ أحد بذلك؟

ب. — أنا... سمعت. أعرف.

الدكتورة ف. — عندما يلمسكِ، بماذا تشعرين؟

ب. — أوه... أشعر... إنه شعور جيد جداً، ولكن... بعد ذلك أشعر بالسوء.

الدكتورة ف. — هل تشعرين بسوء شديد بعد ذلك؟

ب. — أنا أعرف... هو يقنعني بفعل هذا، ولكني أعرف أنه لا يجب علينا فعله.

الدكتورة ف. — عندما تفعلان ذلك هل تكونان عاريين؟

ب. — لا، لا!

الدكتورة ف. — هل تفعلان أي شيء آخر، بخلاف لمس بعضكما البعض؟

ب. — هذا هو... هذا هو... هذا كل شيء.

الدكتورة ف. — هل سبق أن اقترح عليكِ فعل أي شيء آخر، بخلاف لمس بعضكما البعض؟

ب. — لا.

الدكتورة ف. — حسناً، دعي تلك الذكرى تختفي وصفي ما يحدث وحسب.

ب. — أوه، هو... هو يغادر، يذهب وهو يضحك وأنا هنا... وأفكر أنني لست ذكية جداً... لا أشعر بالرضا التام.

الدكتورة ف. — عندما تقولين إنك لا تشعرين بالرضا التام، هل يمكنكِ أن تشرحي لي ماذا يعني هذا بالنسبة لكِ؟

ب. — في داخلي... لست راضية عن نفسي.

الدكتورة ف. ــــ الآن، دعي تلك الذكرى تختفي وركّزي مرة أخرى على تنفسكِ. سأطلب من لاوعيكِ أن يأخذكِ إلى حدث آخر بالغ الأهمية. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ــــ جورج سيتزوج. الآن لن نلعب تلك الألعاب مرة أخرى... وأنا أشعر بالسوء، ولكني سأفتقدها. أشعر بالغيرة من زوجته تقريباً.

الدكتورة ف. ــــ هل انتهى بكِ الأمر إلى قبول تلك الألعاب والاستمتاع بها؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ كم عمركِ الآن؟

ب. ــــ خمسة عشر عاماً.

الدكتورة ف. ــــ كم عمر جورج؟

ب. ــــ عشرون عاماً.

الدكتورة ف. ــــ أخبريني عما حدث في تلك السنوات الثلاث، منذ أن كان عمركِ اثنتي عشرة سنة وكنتِ جالسة تحت شجرة التفاح حتى الآن، فيما يتعلق بتلك الألعاب.

ب. ــــ حسناً، فعلنا المزيد... المزيد من الأشياء بخلاف لمس بعضنا البعض.

الدكتورة ف. ــــ أنتِ تعضين شفتكِ. لماذا تفعلين ذلك؟

ب. ــــ لأنني لا أريد أن أخبركِ.

الدكتورة ف. ــــ لن أخبر أحداً. أنا طبيبة ولن أحكم عليكِ. أنا هنا فقط لمساعدتكِ؛ لذا، أخبريني بكل ما تستطيعين فعله، عن ما فعلتِه؛ أخرجي مشاعركِ. هذا سيساعدكِ كثيراً.

ب. [صمت.] أوه... هو... يحب... التجربة.

الدكتورة ف. ــــ التجربة؟

ب. ــــ الملاطفة.

الدكتورة ف. [تتذكر أن باتريشيا كانت تتجنب الجنس خلال أيام الأسبوع.] ــــ هل تفعلان الملاطفة كل يوم؟

ب. ــــ لا.

الدكتورة ف. ــــ هل هناك أيام معينة لا تفعلان فيها ذلك؟

ب. ــــ هو يغادر... آه... يومين.

الدكتورة ف. ــــ إلى أين يذهب؟

ب. ــــ إلى القرية.

الدكتورة ف. ــــ ماذا يفعل في القرية؟

ب. ــــ يجلب الطعام، ويرى أصدقاءه ويقطع الخشب.

الدكتورة ف. ــــ هل يقطع الخشب في القرية؟

ب. ــــ أظن أنه... يجلب الخشب. يجلب الخشب إلى هنا في الأعلى.

الدكتورة ف. ــــ هل القرية بعيدة جداً، هل يستغرق وقتاً طويلاً للوصول إلى هناك؟

ب. ــــ ساعات.

الدكتورة ف. ــــ إذن، عندما يذهب إلى الأسفل، في عطلات نهاية الأسبوع، هل يقضي الليل هناك؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ كيف يفعل ذلك عادة؟ متى يغادر عادة؟

ب. ــــ أوه... صباح السبت، في وقت مبكر جداً.

الدكتورة ف. ــــ ومتى يعود؟

ب. ـــ مساء الأحد.

الدكتورة ف. ـــ كيف تشعرين عندما يغادر؟

ب. ـــ أوه... أفتقده... ولكني بطريقة ما أشعر بالارتياح، على ما أعتقد.

الدكتورة ف. ـــ أنا أعرف أن الناس يمكن أن ينجذبوا ويحبوا بعضهم البعض، حتى لو كانوا إخوة وأخوات.

ب. ـــ ولكن هذا ليس صحيحاً.

الدكتورة ف. ـــ أجسادنا لا تعرف ذلك، عقلنا فقط، لأنه هكذا تعلمنا، هكذا يفكر مجتمعنا. هل تفهمين ما أقول؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ إذن، هل ستخبرينني المزيد عما فعلتماه معاً؟

ب. ـــ نحن... همم... نحن... أقمنا علاقة جنسية.

الدكتورة ف. ـــ كيف كان هذا بالنسبة لكِ؟ كيف شعرتِ؟

ب. ـــ همم... كان جيداً. [تخفض صوتها.]

الدكتورة ف. ـــ هل حدث هذا كثيراً؟

ب. ـــ نعم... باستثناء يومي السبت والأحد.

الدكتورة ف. ـــ عندما كنتِ تقيمين علاقة هل كنتِ تشعرين بالإثارة، هل شعرتِ بشيء مشابه للنشوة؟

ب. [صمت.]

الدكتورة ف. ـــ هل تعرفين ما أعنيه بهذه الكلمة؟

ب. ـــ نعم... لا، لا أعتقد ذلك.

الدكتورة ف. ـــ ولكنكِ استمتعتِ بذلك؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ متى كانت آخر مرة أقمتما فيها علاقة؟

ب. ـــ أوه، منذ حوالي... منذ أسبوع، وبعد ذلك، قال إنه لا يمكننا فعل ذلك بعد الآن، لأنه سيتزوج.

الدكتورة ف. ـــ بماذا أجبتِه؟

ب. ـــ قلت «حسناً». ماذا يمكنني أن أقول؟

الدكتورة ف. ـــ هل اكتشف أحد ألعابكما؟

ب. ـــ لا... لا، على حد علمي.

الدكتورة ف. ـــ هل تعرفين كيف يتم إنجاب الأطفال؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل تشعرين بالقلق حيال ذلك؟

ب. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ الآن أود أن تدعي تلك الذكرى تتلاشى وأن تركّزي على تنفسكِ؛ أريد أن أطلب من لاوعيكِ أن يتقدم إلى الحدث الهام التالي، شيء تحتاجين إلى معرفته. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. [صمت.]

الدكتورة ف. ـــ ماذا يحدث يا كيم؟

ب. ـــ حسناً، لا يمكنني البقاء هنا. [كان صوتها متثاقلاً ومستسلماً.]

الدكتورة ف. ـــ أين أنتِ؟

ب. ـــ في قمة الجبل.

الدكتورة ف. ـــ لماذا لا يمكنكِ البقاء هناك؟

ب. ـــ لأنه لا يمكنني البقاء هنا وإنجاب هذا الطفل. أظن... أظن أنني سأقفز، لأنه لا يمكنني... لا يمكنني إنجاب هذا الطفل! [صوت مرعوب.]

الدكتورة ف. ـــ من أين ستقفزين؟

ب. ـــ من الجبل؛ بعد ذلك... بعد ذلك سيتم حل كل شيء.

الدكتورة ف. ـــ هل فكرتِ كثيراً في هذا؟

ب. ـــ لا، ولكنه يجب أن يحدث... أنا أكره نفسي لما فعلت... ولا أريد الطفل. لا يبدو لي أنه حقيقي. لا... لا يمكنني مواجهة جورج. لا يمكنني مواجهة الأم والأب... يجب أن أفعل شيئاً. أشعر بسوء شديد... سوء شديد وسأفعل... سيكون أفضل. على الأقل لن أضطر... لن أضطر إلى شرح ذلك لهم.

الدكتورة ف. ـــ صفي ما تفعلينه بعد ذلك.

ب. [صمت.]

الدكتورة ف. ـــ أخبريني بما يحدث.

ب. [صمت.]

الدكتورة ف. ـــ أخبريني بما ترين أو تشعرين.

ب. ـــ قفزت... ولكني ما زلت... ما زلت على قيد الحياة. أشعر بأنني أسقط. لا... همم.

الدكتورة ف. ـــ أين أنتِ الآن؟

ب. [صمت.]

الدكتورة ف. ـــ بماذا تشعرين الآن؟

ب. ـــ لا شيء. أشعر بأنني أطفو. أنا سعيدة لأن كل شيء قد انتهى.

أعدت باتريشيا إلى الحاضر، وتحت التنويم المغناطيسي، شرحت لها أن هناك احتمالاً بأن يكون انجذابها الجنسي لأخيها قد وصل إلى وعيها، بسبب كونها أميرة هاواي في التجسد السابق (التجسد الذي ربما انتهى قبل حياتها كـ كيم بوقت قصير). كان مسموحاً لأفراد العائلة المالكة بإقامة علاقات جنسية، بعضهم مع بعض؛ ربما تكون قد حملت درجة معينة من هذا الإذن إلى الحياة التالية، مما سمح لها بتجاوز المحظور ضد سفاح القربى.

وافقت بسرعة واسترخى وجهها وجسدها ـــ دل تعبيرها على ارتياح هائل. قررت أن أسألها عما إذا كان جورج شخصاً تعرفه في هذه الحياة. أجابت، ببطء، أنه مارك.

في جلستنا التالية، كانت باتريشيا تبتسم بانتصار وهي تدخل مكتبي. بمجرد أن خلعت معطفها واستقرت في الكرسي، قالت: «أنا ومارك نستمتع حقاً برفقة بعضنا البعض.» بوابل من الكلمات، هتفت: «لأول مرة أقمنا علاقة جنسية خلال الأسبوع ـــ واستمتعت!» بنبرة مذهولة، قالت: «أشعر بإثارة متزايدة، عندما نمارس الحب.» سألتها: «هل ما زلتِ تشعرين بالذنب الذي تحدثتِ عنه في المرة الأخيرة؟» أجابت، بابتسامة كبيرة: «لقد اختفى. لا أشعر بالذنب. أشعر بمتعة خالصة وبسيطة».

بما أنها لم تكن تشعر بالنشوة بعد، وضعتها في غيبوبة وسألت لاوعيها عما إذا كان هناك أي شيء يمنعها من الاستمتاع الكامل بالجنس. ارتفع إصبعها الدال على «نعم». أشار لاوعيها مرة أخرى إلى أننا بحاجة إلى التحقيق في حياة سابقة. اقترحت أن آخذها إلى «حدث، من المهم جداً أن تفهميه ـــ ومرتبط بحياتك الجنسية».

بعد أن عددت حتى عشرة، وجدت نفسها، «بنظرة تائهة، وشعور بالإحباط»، واقفة، في طريق ترابي، في لارزو، وهي مدينة بالقرب من برشلونة. كانت السنة هي 1901م.

ب. ـــ لا يوجد... لا يوجد جنس، لشخص مثلي... لا أحد يريدني. [صوتها يرتجف بالعاطفة.]

الدكتورة ف. ـــ لماذا تقولين ذلك؟

ب. — انظري. [تومئ.] أنا سمينة. من يريد كل هذا؟ لدي الكثير من اللفائف.

الدكتورة ف. — منذ متى وأنتِ سمينة؟

ب. — لا أتذكر أنني كنت نحيفة.

الدكتورة ف. — ما هو اسمكِ؟

ب. — تيا.

الدكتورة ف. — لماذا يسمونكِ تيا؟ [أتذكر من دروسي في الإسبانية أن «تيا» هي الكلمة الإسبانية لـ «العمة».]

ب. — هكذا... هكذا يناديني ابن أخي. أوه، كان الأمر مضحكاً و... علق.

الدكتورة ف. — ما هو اسمكِ الحقيقي؟

ب. — مارجريتا.

الدكتورة ف. — كم عمركِ؟

ب. — عمري ثلاثون عاماً.

الدكتورة ف. — هل أنتِ متزوجة؟

ب. — لا.

الدكتورة ف. — هل تعرفين لماذا تأكلين كثيراً؟

ب. — هكذا هو الأمر أكثر أماناً.

الدكتورة ف. — ماذا تقصدين بـ «آمن»؟

ب. — عندما أكون سمينة، لا يمكنهم إيذائي.

الدكتورة ف. ــــ ماذا تقصدين بذلك؟

ب. ــــ حسناً، لن يفكر أحد في... لن يفكر أي رجل في أن يحبني، بهذه الطريقة أنا لست... بكوني على ما أنا عليه، أنا لست متاحة، أي أنا سمينة، لا يمكن لأحد أن... لا أحد يحاول... الاقتراب مني... وبالتالي، بما أن الجميع يفكر بالطريقة ذاتها، فإنني لا أعاني.

الدكتورة ف. ــــ هل سبق أن جعلكِ أحد تعانين؟

ب. ــــ لا.

الدكتورة ف. ــــ ما الذي يجعلكِ تخافين من المعاناة إلى هذا الحد؟

ب. ــــ أوه... رأيت أناساً آخرين.

الدكتورة ف. ــــ من؟

ب. ــــ حسناً... أمي.

الدكتورة ف. ــــ ماذا حدث لوالدتكِ؟

ب. ــــ تركها والدي بسبب... بسبب امرأة أخرى كانت أصغر وأجمل وضحك عليها، قال لها إنها سمينة وقبيحة وإنه لم يعد يريدها.

الدكتورة ف. ــــ هل شهدتِ ذلك؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ كم كان عمركِ، عندما حدث ذلك؟

ب. ــــ سبع سنوات.

الدكتورة ف. ــــ بماذا شعرتِ؟

ب. ــــ شعرت بالخجل، بسببها.

الدكتورة ف. ـــ بماذا شعرتِ تجاه نفسكِ؟

ب. ـــ شعرت أنني لن أسمح أبداً بحدوث ذلك لي.

أطلقت باتريشيا من الغيبوبة، وهزت رأسها، مندهشة. سألت: «آه! هل كنت أنا أيضاً؟». «شعرت أنه لا أحد يريدها ـــ كانت خائفة جداً من المعاناة.» اعترفت بأنها، في أعماقها، كانت لديها الكثير من تلك المخاوف، ولكن، لحسن الحظ لم تكن بهذه الحدة.

في الأسبوع التالي، أعلنت باتريشيا: «عندما أنا ومارك نقيم علاقة، أشعر بمتعة متزايدة. أنا أكثر استرخاءً و، في بعض الأحيان، أجد نفسي راغبة في ممارسة الحب. لم أكن أشعر بالرغبة من قبل أبداً.» عندما استفسرت أكثر كشفت، بنبرة مذهولة ومحبطة: «أنا أدرك الآن أنني أتوتر. أشعر بقلق شديد، في اللحظة التي يبدأ فيها مارك بالولوج.» وأضافت بسرعة: «لكني سعيدة حقاً، لأن الجنس أصبح ممتعاً. يا له من تغيير!»

خطرت في بالي صورة البصلة ـــ بمجرد أن نزيل قشرة، نجد أخرى على الفور!

تماماً كما توقعنا، تحت التنويم المغناطيسي، أشار لاوعي باتريشيا إلى أن هناك تجربة أخرى، في حياة سابقة، كانت تعيق التعبير الحر عن حياتها الجنسية. جعلتها تعود بالزمن إلى الوراء؛ وببطء وحزن، قالت:

ب. ـــ أنا جالسة على مقعد... أنظر إلى الشارع.

الدكتورة ف. ـــ كيف يبدو الشارع؟

ب. ـــ إنه أبيض... المباني بيضاء... كل شيء أبيض.

الدكتورة ف. ـــ ماذا تفعلين على المقعد؟ لماذا أنتِ جالسة هناك؟

ب. ـــ أنتظر الحافلة.

الدكتورة ف. ـــ أين أنتِ؟

ب. ـــ في مصر.

الدكتورة ف. ـــ واصلي وصف ما يحدث، مع مرور الوقت.

ب. [ذقنها يرتجف.] ــــ همم... أنا متوترة لسبب ما.

الدكتورة ف. ــــ سأعد حتى ثلاثة، وعندما أصل إلى ثلاثة، ستعرفين لماذا أنتِ متوترة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ــــ أنا ذاهبة... أنا ذاهبة إلى مكان جديد... لا يمكنني البقاء هنا بعد الآن. [باستياء.]

الدكتورة ف. ــــ لماذا؟

ب. ــــ ... أنا... أنا في السن وعليّ أن أغادر.

الدكتورة ف. ــــ إلى أين أنتِ ذاهبة؟

ب. ــــ إلى مدينة أخرى.

الدكتورة ف. ــــ هل أنتِ بمفردكِ؟

ب. ــــ أنا جالسة على المقعد، بمفردي...

الدكتورة ف. ــــ جيد جداً، الآن أود أن تتقدمي في الزمن، إلى وقت يحدث فيه شيء مهم، بعد أن أعد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. بماذا تشعرين الآن؟

ب. ــــ لا أريد أن أذهب.

الدكتورة ف. ــــ لماذا؟

ب. ــــ أنا خائفة. [صوتها يرتجف.]

الدكتورة ف. ــــ مم تخافين؟

ب. ــــ لا أعرف... ما سأجده في المدينة الجديدة.

الدكتورة ف. ــــ هل ستقيمين مع أشخاص تعرفينهم؟

ب. ــــ لا.

الدكتورة ف. ــــ أين ستقيمين؟

ب. ــــ لا أعرف.

الدكتورة ف. ــــ هل تقصدين أنكِ ستذهبين إلى تلك المدينة وعندما تصلين إلى هناك سيتعين عليكِ تدبر أموركِ بمفردكِ؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ كم عمركِ؟

ب. ــــ أوه... همم... ستة عشر عاماً.

الدكتورة ف. ــــ ما هو اسمكِ؟

ب. ــــ همم...

الدكتورة ف. ــــ قولي ما يخطر ببالكِ.

ب. [صمت.]

الدكتورة ف. ــــ هل خطر لكِ شيء؟

ب. ــــ لا.

الدكتورة ف. ــــ سأطلب منكِ التقدم في الزمن، إلى وقت وصولكِ إلى تلك المدينة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ــــ أنا... أنا في المدينة الجديدة. أشعر... بالوحدة التامة. لا أعرف إلى أين أذهب... أنا... تائهة. [بحزن.]

الدكتورة ف. ــــ إذن، هل تشعرين بالوحدة التامة؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ ماذا ستفعلين؟

ب. ـــ لا أعرف.

الدكتورة ف. ـــ هل لديكِ مال؟

ب. ـــ همم... لدي بعض المال.

الدكتورة ف. ـــ ماذا ستفعلين؟

ب. ـــ كنت... كنت خادمة... آه... ولكني الآن لا أعرف... ماذا سأفعل.

الدكتورة ف. ـــ لماذا طُردتِ؟ قلتِ إنه لا يمكنكِ البقاء بسبب السن. هل من المعتاد طرد الناس؟

ب. ـــ ولكن هذا ما قيل لي.

الدكتورة ف. ـــ من قال لكِ ذلك؟

ب. ـــ أمي؟... أمي هي التي قالت لي.

الدكتورة ف. ـــ لماذا طردكِ والداكِ؟

ب. ـــ أظن أن أبي كان يحبني أكثر من اللازم وأمي... أمي طردتني بسبب ذلك.

الدكتورة ف. ـــ تقولين إن والدكِ كان يحبكِ أكثر من اللازم. هل يمكنكِ أن تخبريني المزيد عن ذلك؟

ب. ـــ كانت علاقة صداقة مبالغ فيها. أمي شعرت بالغيرة الشديدة.

الدكتورة ف. ـــ هل أدركتِ ذلك؟

ب. ـــ حسناً، أنا أحب أبي... لم أفكر في أي شيء خاص، ولكن أمي فكرت.

الدكتورة ف. ـــ ماذا قالت لكِ أمكِ؟

ب. ـــ قالت إنني كنت... كنت جميلة جداً... وإن أبي كان يحبني أكثر منها وإنه يجب عليّ المغادرة.

الدكتورة ف. ـــ ما رأيكِ في موقف والدتكِ؟

ب. ـــ أظن أنها لم تكن محقة، ولكنه كان يجب عليّ أن أطيعها.

الدكتورة ف. ـــ ما اسم المدينة التي أنتِ فيها؟

ب. ـــ زات.

الدكتورة ف. ـــ ما هي السنة؟

ب. ـــ ما هي «سنة»؟

الدكتورة ف. ـــ لا. ما هي السنة؟ ما هو التاريخ؟

ب. [صمت.]

الدكتورة ف. ـــ إذا كنتِ لا تعرفين فلا بأس. قولي لي ما ترتدين.

ب. ـــ إنه... قماش... أزرق... ملفوف حولي.

الدكتورة ف. ـــ هل هو قماش ثقيل أم خفيف؟

ب. ـــ إنه خفيف جداً.

الدكتورة ف. ـــ ما هي درجة اللون الأزرق؟

ب. ـــ أوه... مثل السماء. إنه فستان جميل. إنه أفضل ما لدي.

الدكتورة ف. ـــ ماذا ترتدين في قدميكِ؟

ب. ـــ لا شيء.

الدكتورة ف. ـــ هل لديكِ أي شيء على رأسكِ؟

ب. ـــ لدي نقطة زرقاء.

الدكتورة ف. ـــ ماذا؟

ب. ـــ نقطة زرقاء.

الدكتورة ف. ـــ ما هذا؟

ب. ـــ إنه... صبغ جميل، وضعته على جبهتي.

الدكتورة ف. ـــ في أي مكان من الجبهة؟

ب. ـــ في المنتصف.

الدكتورة ف. ـــ إنه...

ب. ـــ إنه هنا في الأعلى، على جبهتي.

الدكتورة ف. ـــ هل هي عادة؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل تضعين أي مساحيق تجميل أخرى؟

ب. ـــ لا، غير مسموح بذلك.

الدكتورة ف. ـــ هل تعتبر هذه النقطة الزرقاء من مساحيق التجميل؟

ب. ـــ إنها زينة أكثر. إنها... لا، ليست مساحيق تجميل.

الدكتورة ف. ـــ متى تضعينها؟ كل يوم؟

ب. ـــ كل يوم.

الدكتورة ف. — صفي لي مظهركِ.

ب. — أنا... قصيرة، نحيفة... وشعري أسود وطويل.

الدكتورة ف. — كيف تصففينه؟

ب. — مربوط على شكل كعكة خلف الرأس.

الدكتورة ف. — كيف ينادونكِ؟ ما هو اسمكِ؟

ب. — ميتيوس.

الدكتورة ف. — هل لديكِ اسم آخر؟

ب. — سيت... إنه اسم والدي.

الدكتورة ف. — حسناً، الآن، عندما أعد حتى ثلاثة، تقدمي في الزمن، إلى حدث مهم. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. — وجدت مكاناً للإقامة.

الدكتورة ف. — كيف هو؟

ب. — إنه... يبدو كفندق. إنه أبيض... الأرضية بيضاء. الغرفة بسيطة.

الدكتورة ف. — ماذا يوجد في الغرفة؟

ب. — أريكة... و... أظن أن هناك كرسياً.

الدكتورة ف. — هل هناك لوحات على الجدار؟

ب. — لا، إنه فارغ، بلا لوحات.

الدكتورة ف. — هل نمتِ فيه بالفعل؟

ب. ـــ لا، إنه اليوم الأول.

الدكتورة ف. ـــ ما الذي تنوين فعله الآن؟

ب. ـــ البحث عن شيء أفعله. ليس لدي مال كافٍ للبقاء هنا وقتاً طويلاً. يجب أن أجمع المزيد من المال.

الدكتورة ف. ـــ هل هذه هي المرة الأولى التي تغادرين فيها المنزل؟

ب. ـــ نعم، هي كذلك. [بدأت تشعر بالخوف.]

الدكتورة ف. ـــ كيف كانت رحلة الحافلة؟

ب. ـــ أنا... لا أعرف. أنا... عقلي كان مشغولاً، بـ... الخوف من... «ماذا سأفعل».

الدكتورة ف. ـــ هل كانت رحلة طويلة؟

ب. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ كم تبعد عن منزلكِ؟

ب. ـــ أوه... بضع ساعات فقط.

الدكتورة ف. ـــ حسناً، عندما أعد حتى ثلاثة، دعي الوقت يتقدم إلى حدث مهم آخر. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ـــ همم... هناك... رجل عند بابي. [جسدها كله يرتجف.]

الدكتورة ف. ـــ أين أنتِ؟

ب. ـــ أنا في غرفتي.

الدكتورة ف. ـــ ماذا يفعل عند بابكِ؟

ب. ـــ لا أعرف.

الدكتورة ف. — هل يطرق الباب، أو الباب مفتوح؟

ب. — همم... إنه هناك.

الدكتورة ف. — كيف يبدو؟

ب. — أظن أنه ضخم، لا أعرف. لا يمكنني رؤيته.

الدكتورة ف. — لماذا؟

ب. — لأن الباب مغلق.

الدكتورة ف. — كيف تعرفين أنه هناك؟

ب. — أسمعه.

الدكتورة ف. — ماذا يفعل؟

ب. — أظن أنه ينتظرني أن أفتح الباب.

الدكتورة ف. — هل نادى عليكِ؟ هل طرق الباب؟

ب. — همم... قال شيئاً ما.

الدكتورة ف. — هل تتذكرين ما قاله؟

ب. — يريدني أن أفتح الباب.

الدكتورة ف. — بماذا تشعرين؟

ب. — لا أريد أن أفتح الباب. [قالتها بتصميم ثابت.]

الدكتورة ف. — لماذا؟

ب. — لأنني لا أعرفه.

الدكتورة ف. ـــ ما الذي يحدث بعد ذلك؟

ب. ـــ يذهب بعيداً.

الدكتورة ف. ـــ هل الباب لديه قفل؟

ب. ـــ نعم. وإلا لكان دخل.

الدكتورة ف. ـــ هل حاول فتح الباب؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ كيف تشعرين؟

ب. ـــ أشعر أنني لا أريد أن أكون هنا.

الدكتورة ف. ـــ أين تريدين أن تكوني؟

ب. ـــ في المنزل.

الدكتورة ف. ـــ تقدمي في الزمن إلى الحدث الهام التالي، عندما أصل إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ـــ أجد صعوبة في... إيجاد شيء لأفعله.

الدكتورة ف. ـــ هل ما زلتِ بلا عمل؟

ب. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ ما الذي حاولتِه حتى الآن؟

ب. ـــ فقط ما أعرف كيف أفعله. همم... أن أكون... همم... خادمة، في مطعم... صغير.

الدكتورة ف. ـــ وهل هم لا يحتاجون إلى مساعدة؟

ب. — لا.

الدكتورة ف. — ماذا ستفعلين؟

ب. — لا أعرف.

الدكتورة ف. — تقدمي إلى الحدث المهم التالي، بعد العد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. — أنا في غرفتي مرة أخرى و... شعور الوحدة... وهو عند بابي مرة أخرى.

الدكتورة ف. — هل تعرفين من هو؟ هل رأيتِه؟

ب. — أظن أنه صاحب الفندق.

الدكتورة ف. — ماذا يفعل عند بابكِ؟

ب. — يريد الدخول.

الدكتورة ف. — ماذا يريد؟

ب. — أوه... الجنس.

الدكتورة ف. — كيف تعرفين ذلك؟

ب. — أعرف.

الدكتورة ف. — ما رأيكِ في ذلك؟

ب. — أظن أنني لا أريد ذلك.

الدكتورة ف. — هل سبق أن أقمتِ علاقة جنسية مع أي شخص؟

ب. — لا.

الدكتورة ف. ـــ كيف هو، صاحب الفندق؟

ب. ـــ إنه ضخم... وقبيح.

الدكتورة ف. ـــ هل يعيش في الفندق؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ ماذا يحدث الآن؟

ب. ـــ همم... دخل غرفتي. [بدأت تشعر بالرعب.]

الدكتورة ف. ـــ هل هو في غرفتكِ، الآن؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ كيف حدث ذلك؟

ب. ـــ دخل. لا أعرف. [في حالة ذعر الآن.]

الدكتورة ف. ـــ أين أنتِ؟

ب. ـــ همم... نحن على السرير، على الأريكة.

الدكتورة ف. ـــ ماذا يحدث؟

ب. ـــ هو... يجبرني... على إقامة علاقة معه. [تتنفس بصعوبة.]

الدكتورة ف. ـــ كيف تشعرين؟

ب. ـــ باليأس... والخوف.

الدكتورة ف. ـــ ماذا يفعل في هذه اللحظة؟

ب. ـــ أوه، إنه... يقبلني ويسحبني و... إنه قبيح. [قالتها باشمئزاز.]

الدكتورة ف. ـــ حسناً، تقدمي إلى الحدث المهم التالي. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ـــ يا للإحباط!

الدكتورة ف. ـــ ما الذي حدث؟

ب. ـــ أوه، هو... بعد أن انتهى، ضحك علي. [ضحكة قصيرة].

الدكتورة ف. ـــ ضحك عليكِ؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل قال شيئاً؟

ب. ـــ قال إنني... كنت عذراء.

الدكتورة ف. ـــ كيف شعرتِ؟

ب. ـــ باليأس.

الدكتورة ف. ـــ ما هو الشعور الذي شعرتِ به أثناء الفعل الجنسي؟

ب. [ضحكة قصيرة.] ـــ فظيع.

الدكتورة ف. ـــ بأي معنى؟

ب. ـــ هو كان... كان... ضخماً جداً... وأنا صغيرة جداً... وآلمني. [ترتجف.]

الدكتورة ف. ـــ آلمكِ؟

ب. ـــ نعم. أنا... شعرت... أنني أريد قتله!

الدكتورة ف. ـــ حافظي على هدوئكِ واسترخائكِ ودعي لاوعيكِ يأخذكِ الآن إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. ماذا يحدث الآن؟

ب. ــــ أوه، لقد عاد مرة أخرى. [باكتئاب.]

الدكتورة ف. ــــ متى عاد؟

ب. ــــ في الصباح.

الدكتورة ف. ــــ هل هو هناك الآن؟

ب. ــــ نعم. [ترتجف.]

الدكتورة ف. ــــ ماذا يحدث؟

ب. ــــ الشيء ذاته.

الدكتورة ف. ــــ ماذا فعلتِ أنتِ؟

ب. ــــ ماذا يمكنني أن أفعل؟ [قالتها باستسلام وغضب.]

الدكتورة ف. ــــ كيف كان الأمر، هذه المرة؟

ب. ــــ مماثل.

الدكتورة ف. ــــ هل تقاومينه؟

ب. ــــ أحاول، ولكنه... هو ضخم جداً... إنه حصان! [تتلوى.]

الدكتورة ف. ــــ هل تبكين؟

ب. ــــ نعم وأقاوم و... ولكن لا يحدث أدنى تأثير.

في اليوم ذاته غادرت ميتيوس الفندق، وبحسن حظ وجدت عملاً، كخادمة في منزل زوجين مسنين. وصفت واجباتها في العمل المنزلي، وكان أحدها جلب الماء، في مناسبات خاصة، من نبع في الصحراء، راكبة على «حيوانات» كانت «خرقاء ولكنها محبوبة» (جمال؟). تزوجت وماتت في سن السادسة والعشرين، أثناء ولادة طفلها الأول، كانت ولادة صعبة، بمساعدة زوجها فقط. بعد ولادة طفلها، رأت نفسها «تتجه بعيداً أكثر فأكثر، بعيداً أكثر، وهي تشعر بالسلام، لأول مرة منذ سنوات عديدة».

تحررت من الغيبوبة، وهزت رأسها بحزن، وهي تتمتم: «يا إلهي، كان الأمر فظيعاً أن أُغتصب!» سالت الدموع على وجهها. بكت بهدوء، لبضع دقائق. عندما استعادت رباطة جأشها، سألتها عن الأشخاص الآخرين في التراجع. قالت: «شعرت أن والدي في تلك الحياة كان مارك؛ والرجل الذي اغتصبني كان حماي. لم أشعر بالارتياح أبداً بالقرب منه.» على الرغم من أن كل هذه الأحاسيس كانت قوية جداً، قالت: «أنا لست مقتنعة تماماً بأن هذا قد حدث؛ لماذا سأختلق مثل هذه القصة؟»

في الأسبوع التالي، كانت باتريشيا تشع سعادة عندما أعلنت: «في الجانب الجنسي، الأمور أفضل من أي وقت مضى. أشعر بشغف كبير. لم أكن أعتقد أبداً أنه يمكن أن يوجد هذا القدر من الشغف.» بجدية، أضافت: «أنا متأكدة من أنني كنت قريبة من النشوة، لكني لم أتمكن من الوصول إليها بعد.»

بعد بضع دقائق، بعد أن انغمست في غيبوبة عميقة، كشف لاوعيها أنه لا تزال هناك حياة أخرى نحتاج إلى تحليلها. كانت الخامسة، في خمس جلسات! هل ستكون هذه هي العقبة الأخيرة؟

بعد بضع دقائق، تغير صوت باتريشيا تماماً وبدأت «فتاة صغيرة»، بخجل، في سرد قصتها:

ب. ــــ أرى... كوخاً خشبياً قديماً. إنه متعفن ومتآكل.

الدكتورة ف. ــــ بالإضافة إلى ذلك، ماذا يمكنكِ أن تري؟

ب. ــــ أرى رجلاً عجوزاً، بلحية طويلة... نحيفاً.

الدكتورة ف. ــــ ماذا يفعل؟

ب. — إنه... همم... إنه واقف عند الباب.

الدكتورة ف. — من هو؟

ب. — إنه والدي.

الدكتورة ف. — أين أنتِ؟

ب. — أنا في الخارج.

الدكتورة ف. — حدثيني عن نفسكِ.

ب. — عمري خمس سنوات.

الدكتورة ف. — هل عمركِ خمس سنوات؟ هل أنتِ فتاة أم فتى؟

ب. — فتاة.

الدكتورة ف. — ما هو اسمكِ؟

ب. — بيكي. [بشكل خجول.]

الدكتورة ف. — أين أنتِ؟

ب. — أريزونا.

الدكتورة ف. — ماذا تفعلين؟

ب. — أنا واقفة... لا أفعل شيئاً.

الدكتورة ف. — الآن سأطلب من لاوعيكِ أن يجعلكِ تتقدمين في الزمن حتى وقوع حدث مهم، شيء من المهم أن تعرفيه. واحد... اثنان... ثلاثة. ماذا يحدث؟

ب. — يأتي شخص راكباً على حصان... هو طويل وشعره داكن.

الدكتورة ف. ــــ هل هو رجل أصغر سناً من والدكِ؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ هل هو شخص معروف؟

ب. ــــ لا... لا أعرف.

الدكتورة ف. ــــ كم عمركِ الآن؟

ب. ــــ ما زال... ما زال عمري خمس سنوات.

الدكتورة ف. ــــ وماذا يحدث الآن؟

ب. ــــ هو... يسير في اتجاهي. أشعر... أشعر... بالضعف.

الدكتورة ف. ــــ هل أنتِ ضعيفة؟

ب. ــــ أنا جائعة جداً.

الدكتورة ف. ــــ لماذا؟

ب. ــــ لم آكل.

الدكتورة ف. ــــ منذ متى لم تأكلي؟

ب. ــــ يومين.

الدكتورة ف. ــــ لماذا؟

ب. ــــ نحن... ليس لدينا طعام.

الدكتورة ف. ــــ مع من تعيشين؟

ب. ــــ والدي.

الدكتورة ف. — مع والدكِ فقط؟

ب. — نعم.

الدكتورة ف. — بماذا تشعرين، عندما يتجه هذا الرجل نحوكِ؟

ب. — أنا فقط... فقط أنظر إليه. لا أشعر بشيء.

الدكتورة ف. — هل تعرفينه؟

ب. — رأيته من قبل.

الدكتورة ف. — والآن، ماذا يحدث؟

ب. — هو يحملني... و... يمسك بي. لا أعرف لماذا يفعل هذا. [بصوت مذهول.] أنا لا... لا أحبه على الإطلاق، كما تعلمين؟

الدكتورة ف. — والآن، ماذا يحدث؟

ب. — إنه يخلع ملابسي. [خائفة.]

الدكتورة ف. — أين يحدث كل هذا؟

ب. — خارج المنزل.

الدكتورة ف. — هل هناك أي شخص آخر هناك؟

ب. — والدي في الداخل.

الدكتورة ف. — بماذا تشعرين، عندما يخلع ملابسكِ؟

ب. — بالارتباك. لماذا... لماذا يفعل هذا؟... لا أحب ذلك. [تغطي عينيها بيديها الاثنتين.]

الدكتورة ف. — والآن، ماذا يفعل؟

ب. [تهمس.] ـــ إنه... إنه يلمسني.

الدكتورة ف. ـــ بماذا تشعرين؟

ب. ـــ أنا أقاوم... أنا... لا أحب ما يفعله بي. [بنبرة مضطربة.]

الدكتورة ف. ـــ والآن؟

ب. ـــ يضعني على الأرض و... يبقى يحدق بي وبعد ذلك... يذهب ليتحدث مع والدي.

الدكتورة ف. ـــ هل ترتدين أي قطعة من الملابس على جسدكِ في هذه اللحظة؟

ب. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ كيف تشعرين؟

ب. ـــ بشعور سيئ جداً. [بصوت منخفض وخافت.]

الدكتورة ف. ـــ هل تبكين؟

ب. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ هل تقولين له شيئاً؟

ب. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ تقدمي قليلاً في الزمن. ماذا يحدث الآن؟

ب. ـــ هو يغادر.

الدكتورة ف. ـــ هل يغادر بمفرده؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ وأين أنتِ؟

ب. ـــ أنا واقفة، بجانب المنزل. لا أريده أن يراني. [تهمس.]

الدكتورة ف. ـــ هل ارتديتِ ملابسكِ؟

ب. ـــ نعم... هو سيغادر.

الدكتورة ف. ـــ والآن، ماذا تفعلين؟

ب. ـــ أذهب إلى المنزل لأبحث عن والدي.

الدكتورة ف. ـــ ماذا يحدث؟

ب. ـــ ينظر إليّ ولا يقول شيئاً. أظن أنه يعرف، ولكنه لا يفعل شيئاً، ولا يقول شيئاً.

الدكتورة ف. ـــ ما رأيكِ في ذلك؟

ب. [صمت.] ـــ أظن... أنه... لا يوجد شيء يمكن فعله.

الدكتورة ف. ـــ الآن أود أن تتقدمي في الزمن، إلى الحدث الهام التالي، شيء تحتاجين إلى معرفته. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ـــ الرجل يعود. إنه يعطي المال لوالدي [ضحكة قصيرة] من أجلي.

الدكتورة ف. ـــ كيف تعرفين ذلك؟

ب. ـــ لأنه... هو يحملني، ويضعني على حصانه وسنغادر.

الدكتورة ف. ـــ كيف تشعرين؟

ب. ـــ بالخوف. [تسيل دمعة على وجهها.]

الدكتورة ف. ـــ ماذا تفترضين أنه يحدث؟

ب. ـــ سيأخذني.

الدكتورة ف. ـــ متى تظنين أنكِ ستعودين؟

ب. ـــ لا أظن أنني سأعود.

الدكتورة ف. ـــ هل يقول لكِ شيئاً؟

ب. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ تقدمي في الزمن، حتى تصلي إلى منزله. ماذا يحدث؟

ب. ـــ لديه... منزل جميل، أفضل بكثير من منزلنا. إنه نظيف. لديه طعام و، همم، أنا جائعة جداً.

الدكتورة ف. ـــ ماذا يفعل، عندما يصل إلى المنزل؟

ب. ـــ هو... يسمح لي بتناول الطعام.

الدكتورة ف. ـــ ماذا تأكلين؟

ب. ـــ فاصولياء، خبز.

الدكتورة ف. ـــ هل هناك أي شخص آخر في المنزل؟

ب. ـــ أظن ذلك... أظن أن هناك فتاة. هي أكبر مني.

الدكتورة ف. ـــ وماذا يحدث بعد ذلك؟

ب. ـــ هو... يقول لي إنني هنا للعمل... إنني... يجب أن أطعم الدجاج وأنظف المنزل مع... مع الفتاة الأخرى.

الدكتورة ف. ـــ ما هي مشاعركِ تجاه الفتاة الأخرى؟

ب. ـــ لا أعرفها. تبدو لطيفة.

الدكتورة ف. ــــ حسناً، تقدمي إلى الحدث الهام التالي، عندما أعد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ــــ هي تخبرني بما يحدث هناك، في ذلك المكان.

الدكتورة ف. ــــ ماذا تقول؟

ب. ــــ تقول إنه يستغل فتياته ولكنه يطعمهن أيضاً، حتى لا يشعرن بالجوع... تقول إنني لن أجوع.

الدكتورة ف. ــــ بأي طريقة يستغلهن؟

ب. ــــ هو... يفعل معهن ما فعله معي.

الدكتورة ف. ــــ هل هناك فتيات أخريات هنا، غير هذه؟

ب. ــــ همم... أظن أننا نحن الاثنتان فقط.

الدكتورة ف. ــــ الآن، يا بيكي، تقدمي إلى الحدث الهام التالي، عندما أصل إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ــــ أسمعها تصرخ. هي... معه، الآن. لا أعرف لماذا تصرخ. [تصبح خائفة أكثر فأكثر.]

الدكتورة ف. ــــ أين هما؟

ب. ــــ إنهما في غرفته.

الدكتورة ف. ــــ ماذا يبدو لكِ أنه يحدث؟

ب. ــــ أظن أنه يحدث... أنا... أظن أنه... يفعل لها ما فعله بي.

الدكتورة ف. ــــ هل يحدق بها ويلمسها؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ بماذا تشعرين، عندما تسمعينها تصرخ؟

ب. ـــ أنا... أنا أيضاً خائفة جداً من المغادرة.

الدكتورة ف. ـــ لماذا؟

ب. ـــ لا أريد أن أجوع.

الدكتورة ف. ـــ حسناً، تقدمي في الزمن إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ـــ أنا أهرب. أنا أركض عبر الصحراء... ليس

لدي أحذية، أشعر بالصبار في قدمي. [بنبرة مرعوبة.]

الدكتورة ف. ـــ متى تهربين؟ في اليوم ذاته الذي وصلتِ فيه؟

ب. ـــ لا، في وقت لاحق.

الدكتورة ف. ـــ كم من الوقت بقيتِ مع ذلك الرجل؟

ب. ـــ ليس طويلاً. يومين أو... سرقت طعاماً. أنا أهرب... أنا...

الدكتورة ف. ـــ ما هو وقت اليوم؟

ب. ـــ حار... حرارة، وقت حار.

الدكتورة ف. ـــ لماذا تهربين يا بيكي؟

ب. ـــ لا أريد... لا أريد أن أشعر بما شعرت به مع... لا أريده أن يفعل بي ذلك.

الدكتورة ف. ـــ هل فعل بكِ أي شيء بينما كنتِ في منزله؟ يمكنكِ أن تخبريني.

ب. ـــ هو... نظر إليّ... هو لمسني واستخدم... إصبعه.

الدكتورة ف. ــــ كيف شعرتِ، عندما فعل ذلك؟

ب. ــــ أوه... شعرت بالخوف... أردت فقط أن أهرب.

الدكتورة ف. ــــ حسناً، الآن أود أن تتقدمي في الزمن، إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. ــــ أشعر بالتعب الشديد، حرارة.

الدكتورة ف. ــــ أين أنتِ؟

ب. ــــ لا أعرف.

الدكتورة ف. ــــ هل ما زلتِ في الصحراء؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ هل هو اليوم ذاته الذي بدأتِ فيه الهروب؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ ماذا يحدث؟

ب. ــــ أشعر... بالانتفاخ كله... أشعر بالانتفاخ وحسب.

الدكتورة ف. ــــ انظري إلى نفسكِ. هل مظهركِ مختلف؟

ب. ــــ أنا... سمينة. أنا... لا أستطيع الحركة. [قالتها بذهول تام.]

الدكتورة ف. ــــ لا تستطيعين الحركة؟

ب. ــــ لا، أنا... سمينة جداً لدرجة لا أستطيع الحركة. [أصبحت قلقة.]

الدكتورة ف. ــــ ماذا تفعلين؟

ب. — أنا مستلقية.

الدكتورة ف. — ما هو السبب الذي تفترضين أنه سبب ذلك؟

ب. — شيء ما عضني.

الدكتورة ف. — متى؟

ب. — أوه... منذ فترة، عندما كنت أركض.

الدكتورة ف. — هل رأيتِ ما هو؟

ب. — أظن أنها كانت... أفعى، عضتني. حاولت أن أتفادى، ولكن...

الدكتورة ف. — هل أنتِ واعية بأي شيء آخر يا بيكي؟

ب. — الشمس، حارة جداً... أشعر بالضعف أكثر مما كنت عندما كنت جائعة... أنا منتفخة جداً! أشعر وكأنني سأنفجر. [صوتها أضعف.]

الدكتورة ف. — هل تشعرين بأي ألم؟

ب. — أشعر فقط بجلدي مشدود.

الدكتورة ف. — اذهبي إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. — أسمع شخصاً يقترب، ولكني أشعر بالضعف الشديد...

الدكتورة ف. — ماذا تفعلين يا بيكي؟

ب. — أنا فقط... مستلقية هناك وحسب. لا يمكنني فعل أي شيء، لا يمكنني الحركة.

الدكتورة ف. — كيف تشعرين؟

ب. — أشعر... لا أشعر بشيء.

الدكتورة ف. ــــ هل ما زلتِ تشعرين بالانتفاخ؟

ب. ــــ جداً.

الدكتورة ف. ــــ شاهدي ما يحدث وحسب. من هذا القادم؟

ب. ــــ أظن أنها... هي الفتاة.

الدكتورة ف. ــــ هل تأتي مشياً على الأقدام؟

ب. ــــ لا، هي راكبة.

الدكتورة ف. ــــ على حصان؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ هل تراها؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ ماذا تفعل؟

ب. ــــ تحملني.

الدكتورة ف. ــــ والآن؟

ب. ــــ نعود إلى ذلك المكان. أنا... لا أريد الذهاب، ولكني لا أملك القوة.

الدكتورة ف. ــــ هل أنتِ راكبة؟

ب. ــــ هي... تمسك بي.

الدكتورة ف. ــــ بعد أن أعد حتى ثلاثة، تقدمي إلى الحدث الهام التالي. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. — لم أعد أشعر بالانتفاخ.

الدكتورة ف. — ماذا حدث؟ هل يعتني بكِ أحد؟

ب. — الفتاة.

الدكتورة ف. — ماذا فعلت؟

ب. — هي... أعطتني شيئاً لأشربه جعل الانتفاخ يزول.

الدكتورة ف. — هل كان دواءً؟

ب. — كان شيئاً وجدته في الصحراء.

الدكتورة ف. — نوع من الأعشاب أو النباتات؟

ب. — نعم.

الدكتورة ف. — كم من الوقت مر، منذ أن عدتِ إلى المنزل؟

ب. — لا أعرف.

الدكتورة ف. — هل رأيتِ الرجل؟

ب. — إنه في الخارج.

الدكتورة ف. — الآن تقدمي إلى الحدث الهام التالي، عندما أصل إلى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ب. [صمت طويل.]

الدكتورة ف. — هل تدركين أي شيء؟

ب. — همم... شيء رائحته طيبة... همم... أنا مستلقية، و... ذراعي... ذراعاي متقاطعتان.

الدكتورة ف. ــــ أين هما؟

ب. ــــ إنهما متقاطعتان على... على صدري. أنا... مستلقية في صندوق. أحضرت الفتاة زهوراً.

الدكتورة ف. ــــ ماذا تفعلين في الصندوق؟

ب. ــــ أنا... لم أعد... في جسدي.

الدكتورة ف. ــــ أين أنتِ؟

ب. ــــ أنا... في مكان ما، ولكني أستطيع أن أرى نفسي مستلقية هناك. إنها أنا.

الدكتورة ف. ــــ هل تنظرين إلى نفسكِ؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ وهل تشعرين برائحة عطر؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ من يوجد هناك، غير الفتاة؟

ب. ــــ الفتاة موجودة هناك.

الدكتورة ف. ــــ هل هناك أي شخص آخر؟

ب. ــــ لا.

الدكتورة ف. ــــ أين الصندوق؟

ب. ــــ إنه... إنه في الصحراء.

الدكتورة ف. ــــ هل هو مغطى؟

ب. — لا، هي تنظر إليّ.

الدكتورة ف. — هل هي بمفردها؟

ب. — نعم.

الدكتورة ف. — والآن، ماذا تفعل؟

ب. — تذهب بعيداً.

الدكتورة ف. — وأنتِ، ماذا تفعلين؟

ب. — أنا... فقط... مستلقية في الصندوق.

الدكتورة ف. — هل تشعرين بأنكِ عدتِ إلى جسدكِ مرة أخرى؟

ب. — لا.

الدكتورة ف. — أين أنتِ؟

ب. — أنا أطفو.

الدكتورة ف. — هل أنتِ بمفردكِ؟

ب. — لا أشعر بالوحدة. [صوتها أقوى الآن.] لا أشعر بشيء. لا أشعر بالحرارة.

الدكتورة ف. — هل أنتِ لستِ منتفخة؟

ب. — لا.

الدكتورة ف. — ما هي المشاعر التي تشعرين بها، في هذه اللحظة؟

ب. — همم. أنا راضية. أنا... لا... أنا... أشعر... [صمت طويل.] أنا لا أشعر... بالفرح... إنه سلام، أنا لا... لا أخاف... همم... أنا معلقة.

الدكتورة ف. — وعندما تنظرين إلى الوراء، إلى حياة بيكي، هل يمكنكِ أن تخبريني في أي حقبة عاشت؟

ب. — كان وقت الجفاف... ألف وثمانمائة وتسعة وأربعين؟

الدكتورة ف. — بمراجعة حياة بيكي، هل يمكنكِ أن تخبريني ما إذا حدث لها أي شيء آخر جنسياً، بخلاف لمس الرجل لها؟

ب. — نعم. هي لم تقل شيئاً.

الدكتورة ف. — وأنتِ تقولين؟ يمكنكِ أن تخبريني، أنا هنا للمساعدة.

ب. — أوه، هو حاول إدخال... قضيبه، داخلها، ولكنه لم يستطع.

الدكتورة ف. — لماذا؟

ب. — كانت صغيرة جداً.

الدكتورة ف. — هل كان بعد ذلك قررت الهروب؟

ب. — نعم.

بعد أن خرجت من الغيبوبة، كان مظهر باتريشيا حزيناً جداً. قالت: «بيكي جربت كل المشاعر: الغضب، الإذلال، الخوف وبعض الأحاسيس الجنسية التي شعرت بها أنا أيضاً والتي كانت مربكة.» نظرت إليّ في عينيّ وأدركت شفقتها العميقة على كل ما تحملته كـ بيكي. كانت عيناها مليئتين بالدموع. غرقت في صمت تأملي.

هذه المرة لم يكن مارك متورطاً في تجربتها السابقة. بينما كانت تتأمل، كان مظهرها متعباً، وفي الوقت ذاته مذهولاً: «هل هذا هو؟ هل سنحتاج إلى المرور بحياة أخرى؟» هززت كتفي. لاوعيها فقط يمكنه إعطاء الإجابة.

الحقيقة هي أن لاوعيها استجاب بسرعة لأسئلتي، في الجلسة التالية. لا يزال لدينا حياة واحدة للاستكشاف.

تحت التنويم المغناطيسي تراجعت بسهولة عبر السنوات، إلى حدث كان مرتبطاً بمشكلتها في عدم التمكن من الحصول على متعة جنسية كاملة.

الدكتورة ف. ــــ بماذا تشعرين؟

ب. ــــ هناك الكثير من الأوراق الشجرية... إنه... إنه كثيف وخضراء جداً.

الدكتورة ف. ــــ هل أنتِ في العراء؟

ب. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ بالإضافة إلى ذلك، ماذا يمكنكِ أن تدركي؟

ب. ــــ أنا واقفة، في سهل، أنظر إلى... أنظر إلى نهر.

الدكتورة ف. ــــ ماذا ترتدين؟

ب. ــــ همم... إنه... إنه فراء... فراء حيوان. اسمه... اسمه، همم... توبا.

الدكتورة ف. ــــ توبا؟

ب. ــــ نعم. هذا ما... ما ترتديه النساء.

الدكتورة ف. ــــ حدثيني أكثر عن نفسكِ. كيف يبدو مظهركِ؟

ب. ــــ لا... لا أستطيع أن أرى نفسي.

الدكتورة ف. ــــ هل تقومين بأي شيء آخر، غير النظر إلى النهر؟

ب. ــــ أصطاد السمك.

الدكتورة ف. ــــ أخبريني المزيد.

ب. ــــ أنا أصطاد السمك... لأجل... وجبتنا المسائية.

الدكتورة ف. ـــ ماذا تستخدمين لصيد السمك؟

ب. ـــ عصا مدببة. يجب عليّ... يجب أن أكون سريعة، باستثناء الأسماك الكبيرة، فهي بطيئة. من السهل الإمساك بها، لكن طعمها ليس لذيذاً.

الدكتورة ف. ـــ كم مرة تصطادين؟

ب. ـــ كل يوم. يجب عليّ... يجب أن أكون يقظة. أنا على الجانب الآخر من النهر، وبعض... شيء ما يمكن أن يمسك بي. يجب عليّ... يجب أن أنتبه.

الدكتورة ف. ـــ ممن تخافين أن يتم الإمساك بكِ؟

ب. ـــ القطط الكبيرة أو... قبيلة أخرى.

الدكتورة ف. ـــ ما هو اسم قومكِ؟

ب. ـــ شولو.

الدكتورة ف. ـــ شولو؟ في أي بلد أنتم؟

ب. [صمت.]

الدكتورة ف. ـــ هل تعرفين؟

ب. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ حدثيني عن نفسكِ. هل لديكِ أطفال؟ هل أنتِ متزوجة؟

ب. ـــ لديّ... لديّ رجل. ليس لدي أطفال... بعد.

الدكتورة ف. ـــ بماذا تشعرين تجاه رجلكِ؟

ب. ـــ هو يجبرني... على القيام بالعمل. [تجعد وجهها.]

الدكتورة ف. ـــ هل هذه هي عادة قومكِ، أم أنه يجعلكِ تعملين أكثر من النساء الأخريات؟

ب. — أكثر. هو يجلس دائماً تقريباً يصنع الرماح. لا يريد الخروج للصيد، مع الآخرين. الناس الآخرون في القبيلة... يضحكون علينا، لأنه... هو لا يذهب. هو... أظن أنه خائف. [كان صوتها مليئاً بالازدراء.]

الدكتورة ف. — هل يتعرض الناس للأذى في رحلات الصيد هذه؟

ب. — نعم.

الدكتورة ف. — هل يمكنكِ أن تخبريني شيئاً آخر عن ذلك؟

ب. — نحن... أقوياء. ولكن، في بعض الأحيان، تتحدانا القبائل الأخرى، بسبب وضعنا. لقد فزنا، ولكن لن يستمر الأمر كذلك دائماً.

الدكتورة ف. — عندما يتحدونكم، هل يدخلون قريتكم؟

ب. — نعم. عادة في الليل.

الدكتورة ف. — ماذا يفعلون؟

ب. — يحاولون... قتل رجالنا و... لكنهم لم يتمكنوا من ذلك. لا أعرف ماذا يفعلون غير ذلك. أنا لا... لا أحب ذلك.

الدكتورة ف. — بالإضافة إلى صيد السمك، ماذا تفعلين؟ هل لديكِ واجبات أخرى، أو أشياء أخرى تحبين القيام بها؟

ب. — أجمع الفاكهة.

الدكتورة ف. — أي نوع من الفاكهة؟

ب. — في... في الشجيرات. إنها... إنها توت.

الدكتورة ف. — جيد. قلتِ إنكِ على الجانب الآخر من النهر ويجب عليكِ أن تظلي يقظة. هل أنتِ بمفردكِ؟

ب. — نعم.

الدكتورة ف. ـــ لماذا ذهبتِ إلى الجانب الآخر من النهر؟

ب. ـــ لأنه هناك... هناك يمكنني صيد السمك.

الدكتورة ف. ـــ كيف تعبرين النهر؟

ب. ـــ صنعنا... وضعنا ألواحاً... أشجاراً... يمكننا... العبور دون السقوط في الماء.

الدكتورة ف. ـــ هل ما زلتِ في ذلك السهل، تنظرين إلى النهر؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ حسناً. الآن أود أن تتقدمي في الزمن، إلى الحدث الهام التالي، عندما أعد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ب. ـــ عدت إلى كوخي. هو ما زال هناك. لا نتحدث. هو يعلم... أنني أشعر بالخجل بسببه. هو لا يبالي. [تعض شفتها.]

الدكتورة ف. ـــ منذ متى وأنتما معاً؟

ب. ـــ همم.

الدكتورة ف. ـــ إذا كنتِ لا تعرفين، فلا يهم. ربما ستعرفين لاحقاً. استمري وانظري ما يحدث وأنتِ في المنزل.

ب. ـــ يجب عليّ... تنظيف السمك. يجب عليّ... أنا... يجب أن أنظفها... أن أقطع رؤوس الأسماك بأسناني.

الدكتورة ف. ـــ هل تقطعين الرؤوس بأسنانكِ؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ ما رأيكِ في ذلك؟

ب. — إنه شيء يجب القيام به، وبعد ذلك يمكنني إدخال عصا مدببة وتمزيق الأحشاء. بعد ذلك يمكنني تنظيفها وطبخها.

الدكتورة ف. — الآن تقدمي في الزمن إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى خمسة. واحد... اثنان... ركزي فقط على تنفسكِ ودعي تلك الذكرى تختفي بينما تبدأ الذكرى الجديدة في الظهور... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ب. — همم... إنه الليل. هذا هو الوقت الذي أكرهه أكثر. هذا هو الوقت الذي ينهض فيه... [صوت مليء بالغضب والاستسلام.]

الدكتورة ف. — ماذا تقصدين بـ "ينهض"؟

ب. — هو... يأتي إلى السرير... ويريد... أن يحاول... آه... إنجاب أطفال. أريد أطفالاً، ولكن... لا... أحب أن أكون معه.

الدكتورة ف. — لا تحبين أن تكوني معه؟

ب. — لا. هو ليس محارباً.

الدكتورة ف. — هل تشعرين بالخجل من أن تكوني معه؟

ب. — نعم. إذا أنجبنا أطفالاً، آمل ألا يكونوا... ضعفاء، مثله.

الدكتورة ف. — إذن أنتِ لا تريدين أن تكوني معه بتلك الطريقة؟

ب. — لا. لا أحبه... لكنه رجلي. إذا كنت أريد أطفالاً... يجب أن نفعل هذا... لذلك، نفعله.

الدكتورة ف. — كيف هو هذا الفعل بالنسبة لكِ؟

ب. — لا شيء.

الدكتورة ف. — كم مرة يحدث ذلك؟

ب. ـــ كل ليلة... حتى... حتى أحمل بطفل وبعد ذلك... فقط بعد... أن يولد. يمكنني... يمكنني أن أفعل ذلك.

الدكتورة ف. ـــ يمكنكِ أن تفعلي ذلك؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ لماذا تريدين إنجاب أطفال؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل تشعرين بأي متعة؟

ب. ـــ لا! [تتمتم.]

الدكتورة ف. ـــ والنساء الأخريات في قبيلتكِ؟ هل يتحدثن عما يشعرن به عند القيام بذلك؟

ب. ـــ بعضهن يعجبهن. بعضهن لديهن... لديهن رجال طيبون ويخبرنني بأشياء أستطيع أن أصدقها.

الدكتورة ف. ـــ ماذا، على سبيل المثال؟

ب. ـــ أن ذلك... يمنحهن متعة، أحاسيس... مثل... مثل الشمس، متعة فقط. أنا... لا أعرف.

الدكتورة ف. ـــ الآن أود أن يأخذكِ لاوعيكِ إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ب. [وجهها يضيء بابتسامة.] ـــ أنا... أنا حامل بطفل. سأنجب... طفلاً.

الدكتورة ف. ـــ بماذا تشعرين، تجاه ذلك؟

ب. ـــ أوه... بخير.

الدكتورة ف. ـــ وهل ما زال رجلكِ يأتي إليكِ، كل ليلة؟

ب. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ هل هذه هي عادة قومكِ؟

ب. ـــ نعم، ما لم تكن المرأة لا تزال تريد... وأنا لا أريد.

الدكتورة ف. ـــ كيف يتفاعل مع رفضكِ؟

ب. ـــ هو لا يبالي. [تعقد وجهها مرة أخرى.] هو... مثل الصخرة. هو لا... لا يبالي... ليس لديه... ليس لديه شمس... ليس لديه شمس داخلية... هو... هو... هو مثل... مثل الصخرة.

الدكتورة ف. ـــ الآن أود أن تتقدمي، حوالي خمس سنوات. اذهبي إلى حدث مهم، بعد العد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ب. ـــ ها هو ولدي. [بصوت مليء بالفخر.] لقد جلب لي الكثير من السعادة. أنا لست... لم أعد أشعر بالخجل بالكامل. [صوتها أصبح أحلى الآن.] سيكون... سيكون محارباً جيداً. الرجال... الرجال الآخرون يدربونه بالفعل. هو... لقد قتل بالفعل... قرداً، قرداً كبيراً وهو ما زال صغيراً. [كان فخرها الأمومي واضحاً جداً.]

الدكتورة ف. ـــ إذن، هل تشعرين بالفخر؟

ب. ـــ أوه، نعم. هو... سيكون جيداً جداً.

الدكتورة ف. ـــ ما اسم ابنكِ؟

ب. ـــ شيتو.

الدكتورة ف. ـــ ما هو اسمكِ؟

ب. ـــ زاون.

الدكتورة ف. ـــ هل تعرفين اسم البلد الذي تعيشون فيه؟ ما اسم المكان الذي تعيشون فيه؟

ب. ـــ أنا... سمعت بعض القوارب... البحارة يتحدثون. قالوا إنه كان... المكان المظلم... كبير... لا أعرف.

الدكتورة ف. ـــ جيد. أود أن تتقدمي إلى اليوم الأخير من حياتكِ، بعد العد حتى خمسة، مع الحفاظ على هدوئكِ واسترخائكِ. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ب. ـــ همم... ولدي هنا ينظر إليّ. هو يقف، فوقي. [الصوت أضعف.] أشعر بفخر كبير به. لا يهمني أن أغادر.

الدكتورة ف. ـــ ما هو تعبير وجهه؟

ب. ـــ همم... حزن.

الدكتورة ف. ـــ هل رجلكِ هنا أيضاً؟

ب. ـــ همم... لا. هو... هو ليس هنا.

الدكتورة ف. ـــ أين هو؟

ب. ـــ هو... ميت.

الدكتورة ف. ـــ هل لديكِ أطفال آخرون؟

ب. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ هل أنتِ عجوز؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ كيف تعرفين أنكِ ستغادرين؟

ب. ـــ أوه... أشعر بـ... قيل لي إنني مريضة جداً وإنني سأغادر قريباً وأشعر بضعف شديد.

الدكتورة ف. ـــ ما هو مرضكِ؟

ب. ـــ أنا فقط... عجوز.

الدكتورة ف. ـــ ماذا تفترضين أنه سيحدث لكِ بعد أن تموتي، بعد أن تغادري؟ ما هي معتقداتكِ؟

ب. ـــ شمسي الداخلية... تخرج من جسدي وأمتزج بالآخر... الآخرين الذين غادروا بالفعل. إنه... إذا كانت حياتكِ في سلام، فستكون شمسكِ كذلك.

الدكتورة ف. ـــ هل تشعرين أن حياتكِ كانت في سلام؟

ب. ـــ نعم، كان لدي ولدي. [تضحك.] إنه فخري.

الدكتورة ف. ـــ هل تظنين أن شمسكِ تعود، في جسد آخر، في زمن آخر؟

ب. ـــ أنا... لا... أعرف.

الدكتورة ف. ـــ الآن أود أن تذهبي إلى اللحظة المحددة لموتكِ وتخبريني بما يحدث، وماذا تفعلين وماذا يفعل ابنكِ.

ب. ـــ هو يضع الرماد على جسدي ويردد ترانيم.

الدكتورة ف. ـــ هل هناك أي شخص آخر معكِ؟

ب. ـــ هناك بعض الأشخاص.

الدكتورة ف. ـــ هل غادرتِ بالفعل؟ هل شمسكِ الداخلية غادرت بالفعل؟

ب. ـــ همم... لا.

الدكتورة ف. ـــ بماذا تشعرين؟

ب. ـــ يبدو أنني لست في جسدي. أنا لست... حيث يجب أن أكون.

الدكتورة ف. ـــ حدثيني أكثر عن ذلك.

ب. ـــ أشعر أنني في المنتصف... لم أعد جزءاً من الحياة. أنا لست جزءاً من وجود آخر، أنا... وفي الوقت ذاته، لست كذلك.

الدكتورة ف. ـــ هل أنتِ وحيدة؟

ب. ـــ أشعر بالوحدة. [يظهر على وجهها تعبير هادئ.]

الدكتورة ف. ـــ عندما تنظرين إلى الوراء، إلى حياتكِ، هل تعرفين أين ومتى حدثت؟

ب. ـــ كانت في إفريقيا... لا أستطيع أن أقول متى.

الدكتورة ف. ـــ هل تبدو لكِ تلك الحياة حديثة أم بعيدة؟

ب. ـــ تبدو لي حديثة. أشعر بالقرب.

الدكتورة ف. ـــ هل يمكنكِ أن تصفي لي كيف كان مظهركِ عندما كنتِ شابة؟ ما هو لون بشرتكِ، كيف كان شعركِ، قامتكِ وكل شيء آخر؟

ب. ـــ كنت سمراء جداً... أغمق من معظم الآخرين. كان شعري أملساً؛ كان... شعراً أملساً وخشناً.

الدكتورة ف. ـــ ما هو طوله؟ كيف كنتِ تصففينه؟

ب. ـــ كنت أصففه بطول كتفي. كنت آخذ عصا وأصنع خطاً... أصنع هذا الخط من الجلد وأسرح الشعر مستقيماً، إلى الأسفل.

الدكتورة ف. ـــ هل كنتِ تضعين أي زينة على جسدكِ؟

ب. ـــ كنت أرتدي... قواقع، مكسرات، أسنان ومخالب.

الدكتورة ف. ـــ هل كنتِ ترتدينها حول عنقكِ؟

ب. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل كان لديكِ زينة أخرى أو هل كنتِ تفعلين أي شيء لجسدكِ لتزيينه؟

ب. ــــ كان لدي... ثقب في أذني وكنت أضع... عظمة قرد في أذني، لأظهر فخري بابني، عندما كان صغيراً.

الدكتورة ف. ــــ هل كانت عظمة من أول قرد قتله؟

ب. ــــ نعم.

طلبت من باتريشيا أن تعود إلى الحاضر وتعود إلى نفسها - ثم حررتها من الغيبوبة. قالت: «كان هذا التراجع هو الأكثر حيوية على الإطلاق وبدا لي حديثاً جداً.» سألت. «هل كان رجلكِ شخصاً تعرفينه في هذه الحياة؟» قالت: «نعم.» «لطالما كان لدي شعور بأنه مارك.»

بعد أن نهضت للمغادرة، استدارت وعلقت: «آمل أن ننتهي قريباً من عملنا»، وأضافت مبتسمة: «ما شعرت به للتو يفسر لي الكثير. لقد غفوت كثيراً هذا الأسبوع - أكثر مما أرغب. أتساءل عما إذا كان هذا التراجع سيحسن علاقتي بمارك.»

بمجرد أن أغلق الباب خلفها، جلست، وتواصلت ذهنياً مرة أخرى مع جميع الجوانب التي وجدتها باتريشيا، في غضون بضعة أشهر: ألينا المتعجرفة، أميرة كاواي؛ كيم المسكينة، التي كرهت نفسها لدرجة أنها ألقت بنفسها إلى الموت؛ تيا السمينة، والخائفة من المعاناة؛ ميتيوس الوحيدة، التي تعرضت للاغتصاب بوحشية؛ بيكي الصغيرة، التي تعرضت للإيذاء بالمثل؛ والآن زاون، التي كانت فرحتها الوحيدة هي ابنها. يا لها من مجموعة رائعة من الشخصيات - كلها مختلفة جداً عن بعضها البعض، وكل واحدة قدمت مساهمة جوهرية في المشكلة الأولية البارزة لباتريشيا. بالنظر إلى التقدم الهائل الذي تم إحرازه حتى الآن، ربما لن يكون هناك المزيد - على الأقل ليس الكثير. أم سيكون هناك؟

خلال الجلسة التالية، تحت التنويم المغناطيسي، توصلنا إلى استنتاج مفاده أنه لا توجد المزيد من الحيوات التي تتداخل مع مشاكل باتريشيا الجنسية! في الواقع، لم تعد هناك مشاكل تقريباً، في هذا الصدد. كان تقريرها عن علاقاتها العاطفية رائعاً. كل أسبوع كنت أتوقع رؤيتها تأتي بالخبر السار، قائلة إنها وصلت إلى النشوة. ولكن بما أنها لم تصل إليها بعد، واستناداً إلى وصفها لكيفية ممارستهما الحب، شعرت أنهما بحاجة فقط إلى تطوير طريقة مختلفة قليلاً في التقنية الجنسية. طلبت منهما أن يأتيا معاً.

في الأسبوع التالي ناقشنا التقدم الذي أحرزوه. لاحظ مارك أن لديهما بالفعل علاقة دافئة ومتناغمة وحميمة. كانا يستمتعان حقاً بالقيام بالعديد من الأشياء معاً. الخلافات أصبحت شيئاً من الماضي تقريباً. الآن يجد صعوبة في اكتشاف متى تبدأ فترات باتريشيا الشهرية - وهو ما اعتبره معجزة حقيقية. أضافت باتريشيا أنها، في الحفلات الأخيرة التي شاركتا فيها، لم تشعر بأي غيرة وكانت مرتاحة حتى مع النساء الأخريات.

خلال هذه الأشهر اكتسب كلاهما هوايات مستوعبة. حتى أن باتريشيا اتخذت قراراً بترك العمل والعودة إلى الجامعة. شعرت بالسعادة لسماع دعمهما الكبير لبعضهما البعض - ووصفهما لمهارات ومواهب بعضهما البعض الطبيعية. الحب الذي كانا يشعران به تجاه بعضهما البعض أضاء وجهيهما.

قدمت لهما بعض التوجيهات حول التقنيات الجنسية وكنت متأكدة من أنها ستكون مسألة أسابيع فقط لأتمكن من توديع باتريشيا ومارك، كمرضى.

بعد ثلاثة أسابيع جاءا معاً - بشكل غير متوقع لموعد باتريشيا. بابتسامات عريضة، قدما لي باقة زهور رائعة أخرى. شعرت بسعادة غامرة لهذين الشخصين المحبين والعطوفين، اللذين انتهى بهما المطاف إلى أن يصبحا صديقين لي. شعرت، في داخلي، بشعور عميق وجيد - شعرت أننا تشاركنا العديد من التجارب الغنية وأننا أصبحنا قريبين جداً. عندما غادرا، وعيونهما مليئة بالدموع، شعرت بالحزن والسعادة، في الوقت ذاته.

الفصل السابع - «خوف، خوف و... رعب!»

«حتى زوجتي لا تعرف. أستخدم كل أنواع الأعذار، باستثناء الحقيقة»، كشف مايك، وشعور الذنب واضح على وجهه. ما هي مشكلته؟ خوف غير مبرر من المرتفعات. وصف القلق الذي يشعر به في الأماكن العالية والذي يتحول أحياناً إلى رعب. كان جالساً أمامي محام يبلغ من العمر حوالي خمسة وأربعين عاماً، طويل القامة، أنيق، أسمر وبلحية مهذبة جيداً. كان ينقر بأصابعه على ذراع الكرسي، بعصبية، ويتجنب النظر إليّ مباشرة، بينما كان يواصل شرح سبب بحثه عن المساعدة. وصف نفسه بأنه سيد في التهرب، شخص يتجنب اللقاءات الاجتماعية والتجارية التي تتطلب منه السفر بالسيارة فوق جسر أو في مناطق جبلية. كانت الأضرار التي لحقت بحياته المهنية، بسبب هذه القيود، لا تُحصى. ومع ذلك، فقد نجح مالياً. هز رأسه بضيق، عندما ذكر ما يمكنه فعله إذا كان لديه الحرية في ركوب سيارته والذهاب إلى أي مكان، أو ركوب طائرة، وهو ما كان مستبعداً تماماً بالنسبة له. أعرب عن أسفه لكونه يضطر لحرمان زوجته ونفسه من متعة الزيارات العائلية أو جولة في أوروبا. كان مايك فخوراً. خوفه لا يتناسب مع صورته الذاتية؛ لذلك، أخفاه عن الجميع - العائلة والأصدقاء ومعارف العمل. لسنوات كان يفضفض لمجموعة من المعالجين - محلل فرويدي من نيويورك، وآخر كان ينظم لقاءات جماعية ماراثونية خلال عطلات نهاية الأسبوع، وثالث متخصص في الرهاب، وطبيب معروف بمنهجه "المواجهة والقهر". على الرغم من جهود كل هؤلاء الأشخاص المشاركين في علاجه، استمر رهابه، بلا هوادة.

كان مايك متطوراً نفسياً. كان يخضع للعلاج لسنوات عديدة لدرجة أنه «عرف» أسباب خوفه.

خلص إلى أنه لديه خوف هائل من الموت، يقترن بشكل متناقض بميل قوي لتدمير الذات. كان مقتنعاً بأن مشكلته كانت، في الواقع، رعباً حقيقياً من فقدان السيطرة وإيذاء نفسه أو الآخرين. ومع ذلك، فإن هذا لم يتناسب مع بقية حياته. كان لديه زواج ناجح، وكان على علاقة جيدة مع أطفاله وكانت حياته المهنية جيدة بشكل استثنائي. كان محبوباً ولديه العديد من الأصدقاء المقربين. كان يستمتع أيضاً بالرياضة وكان مهتماً جداً بالموسيقى. اعترف بأن لديه شغفاً كبيراً بالأوبرا. كما قال بنفسه: «أشعر بمتعة كبيرة في العيش!»

كان مايك جالساً في عيادتي لأنه استمع إلى الجزء الأخير من برنامج إذاعي؛ سمع ما يكفي لمعرفة عملي مع الحيوات السابقة. أثار فضوله - وكان يشعر باليأس. كان يخشى ألا يتمكن من التنويم المغناطيسي. نعم، لقد حاول ذلك أيضاً! لكنه اقتصر على استشارة واحدة فقط، في عيادة تنويم مغناطيسي.

في هذه الجلسة الأولى، كان لدينا ساعتان، لأنه جاء من أجل التراجع إلى حيوات سابقة. بعد مقابلته، علمته التنويم المغناطيسي الذاتي، وبعد ذلك، قادته إلى الماضي البعيد. سقط في غيبوبة عميقة وتمكن من رؤية مشاهد مفصلة بسهولة. لكن كل ما حصلنا عليه كان صوراً متغيرة - مشاهد بدت وكأنها نشأت من العديد من التجارب المختلفة. "سلسلة" واحدة برزت عن الأخرى. وصف سقف مبنى قوطي، كبير جداً. في المشهد التالي ظهر تابوت. تبع ذلك لمحات من مشاهد الموت. وصل وقتنا إلى حده وما زال لدينا الكثير من العمل للقيام به. قررنا تحديد مواعيد أسبوعية.

خلال الأسابيع التي تلت ذلك، قادنا لاوعي مايك عبر متاهة. رأينا العديد من أحداث الماضي - بعضها من هذه الحياة وبعضها من حيوات سابقة. كل شيء أشار إلى أنه كان لديه مشاكل أخرى وأنه كان يتجنب الأحداث التي أدت إلى رهابه المؤلم.

في أحد الأيام ظهر سعيداً. في الأسبوع السابق، قدمت له اقتراحاً ما بعد التنويم المغناطيسي، لكي يعد لاوعيه لرؤية المادة التي نحتاج إلى فهمها ولكي يتلقى رؤى، من خلال الأحلام أو الرؤى، خلال النهار. أخبرني بقطعة حلم، كانت حية جداً - ومخيفة - وكان لها تأثير تحريري هائل عليه. رأى جسد رجل، رأسه مغروس في هيكل خشبي. كان الوجه مشوهاً من شدة الألم. كان الجسد وكل ما حوله مغطى بالدم. رأى كل ذلك، بطريقة واقعية جداً، بالألوان الكاملة. نظر بسرعة، مرتين، إلى المشهد، فقط ليتأكد من أن الرجل ميت. كان هذا كل ما يمكن أن يتحمله. كرر عدة مرات أنه «لم ير شيئاً كهذا قط». على الرغم من أن الحلم كان سريعاً جداً، «فقد كان مرعباً بشكل لا يصدق». لكن في اللحظات التالية شعر بموجة كبيرة من الثقة بالنفس وشعور بالأمان، استمر لعدة أيام. كان متحمساً لهذا التغيير، لأنه رآه كخطوة أولى إلى الأمام، نحو هدفه المتمثل في الحرية.

استند على كرسيه، حريصاً على أن يتم تنويمه مغناطيسياً. عندما أصبح في غيبوبة عميقة، طلبت من لاوعيه أن يأخذه إلى الحياة، التي حلم بها قبل أيام قليلة فقط. تحركت عيناه تحت جفونه المغلقة. هز رأسه من جانب إلى آخر، كما لو كان ينظر حوله إلى شيء ما. بتردد، بصوت ناعم وغير واثق، بدأ في وصف ما رآه:

م. ــــ آه... أناس... أنا... أرى الشخص الذي أظن أنه أنا.

الدكتورة ف. ــــ صف لي هذا الشخص، من فضلك.

م. ــــ شجاع.

الدكتورة ف. ـــ هل يمكنكِ أن تخبريني شيئاً آخر عنه؟

م. ـــ شعر داكن... و آه... لحية... مبتسم.

الدكتورة ف. ـــ ماذا يفعل؟

م. ـــ يبدو أنه يتحدث مع مجموعة من الناس على... على ممشى أو رصيف. لست متأكداً ما إذا كان ممشى أو شارعاً.

الدكتورة ف. ـــ كيف يرتدي ملابسه؟

م. ـــ لديه حقيبة على ذراعه... على كتفه... معلقة... بها بعض الأدوات.

الدكتورة ف. ـــ هل يحمل أدوات؟

م. ـــ نعم، يبدو كذلك... ملابس عمل، معطف أو شيء من هذا القبيل. يبدو أنه يتحدث إلى شخص ما، في الشارع.

الدكتورة ف. ـــ صف لي المشهد.

م. ـــ أوه، إنه لطيف. السماء زرقاء... وهناك العديد من الأسطح، مغطاة بالبلاط. [يهمهم.]

الدكتورة ف. ـــ أي نوع من الأسطح؟

م. ـــ إنها من البلاط... أحمر وبعضها وردي... بلاط برتقالي.

الدكتورة ف. ـــ ما هو لون المباني؟

م. ـــ تبدو من... الجير. جص أو جير.

الدكتورة ف. ـــ ستدرك موضوع المحادثة، بعد العد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

م. ـــ حسناً، أول شيء أسمعه هو الكلمات "بلاط مكسور".

الدكتورة ف. ــــ "بلاط مكسور"؟

م. ــــ حسناً، ظهرت لي هذه الكلمات. أفترض أن النقاش كان حول ذلك... والأدوات في الحقيبة، من أجل... و... لا أعرف، كنت في الخارج، أمام تلك... المباني... وأحدها بدا عالياً جداً، بطابقين، كما تعلمين.

الدكتورة ف. ــــ أي نوع من المباني كان؟

م. ــــ لا أستطيع رؤية... لا أستطيع اكتشاف ذلك.

الدكتورة ف. ــــ سيصبح الأمر أكثر وضوحاً. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

م. ــــ يبدو وكأنه كنيسة كبيرة... كنيسة قديمة ضخمة.

الدكتورة ف. ــــ أي نوع من الكنائس ذكرت؟ [أتذكر الحلم، فكرت فيما إذا كان بإمكاننا أخيراً حل اللغز.]

م. ــــ ضخمة... كنيسة قوطية... على الأقل، يبدو كذلك.

الدكتورة ف. ــــ هل يمكنكِ أن تخبرني شيئاً آخر عن ما يحيط بكِ وعن ما يمكنكِ أن تدركه؟

م. ــــ هناك بعض الأشخاص، سيدات مسنات. أنا أتجه نحو المذبح... يبدو أنني أبحث عن شيء ما.

الدكتورة ف. ــــ ستدرك ما تبحث عنه، بعد العد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

م. [تنهيدة كبيرة.] ــــ أنا أبحث عن كاهن، أو شخص من هناك... راهب أو شخص ما...

الدكتورة ف. ــــ لماذا تبحث عن كاهن؟

م. ــــ لا أعرف ما هي العلاقة بين كل هذا.

الدكتورة ف. ــــ هل ما زلت تحمل الحقيبة التي تحتوي على الأدوات معك؟

م. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ بعد العد حتى ثلاثة ستعرف لماذا تبحث عن كاهن. ابقَ هادئاً ومسترخياً. واحد... اثنان... ثلاثة. قل ما يتبادر إلى ذهنك.

م. [يتنفس بصعوبة.] ــــ حسناً، أراه يرفع يده أو... إلى السقف.

الدكتورة ف. ــــ إلى السقف؟

م. ــــ لست متأكداً من هو؛ سواء كان كاهناً أو...

الدكتورة ف. ــــ هل ترى شخصاً يرفع يده إلى السقف؟

م. ــــ نعم، يبدو أنه يعطي فكرة عامة... يشير إلى الخلف، باتجاه... ذلك الجانب، الجانب الأيمن.

الدكتورة ف. ــــ وماذا يقول؟ بعد العد حتى ثلاثة ستكون لديك فكرة عامة عما يقوله. واحد... اثنان... ثلاثة.

م. ــــ ليس لدي... أظن أن الشيء الوحيد... أرى نفسي في مشهد آخر، أخرج زاحفاً من فجوة في جانب السقف... إنها نافذة، دائرية أو على شكل مثمن... وهناك سلم حتى هناك... وأنا في الخارج، على السقف. يبدو عالياً جداً... بلاط، مرة أخرى. أظن أن هناك شخصاً آخر هناك. هذا هو... جناح... جناح من تلك الأجنحة... الكنائس القديمة كانت مصممة على شكل صليب... كان لديها مدخل طويل حتى المنتصف وبعد ذلك جداران جانبيان... شيئان جانبيان... ويبدو لي أنني زحفت عبر أحد الجوانب اليسرى، للوصول إلى الجانب الأيمن. لماذا، لا أعرف.

الدكتورة ف. ــــ قلت إن هناك شخصاً آخر في الأعلى؟

م. [يمسح يديه على بنطاله.] ــــ نعم. لا أعرف لماذا يدي تتعرقان.

الدكتورة ف. ــــ ابقَ هادئاً ومسترخياً. ماذا يحدث الآن؟ ماذا تفعل الآن؟

م. ــــ أنا فقط أعمل على البلاط... بالأشياء التي أخرجتها من حقيبتي.

الدكتورة ف. ــــ اشرح كيف تعمل. ما نوع الأدوات التي تستخدمها؟ ماذا تفعل بها؟

م. ــــ إنها أدوات حديدية. آه... أدوات معدنية، مع نوع من العتلة لرفع البلاط واستبدال الخشب المتعفن والأسطح التحتية المتضررة، حيث تسرب الماء وللصق؛ لدي مطرقة صغيرة و... نوع من... مطرقة من جانب وأداة للقطع أو النقر من الجانب الآخر.

الدكتورة ف. ــــ هل هذا هو تخصصك: إصلاح الأسطح، البلاط المكسور؟

م. ــــ لا أعرف. يبدو أن هناك شخصاً ما يوجه... ويبدو أن هناك شخصاً آخر يتحدث معي، لكني لا أعرف... أظن أن الأمر يتعلق بالعمل، لكني لا أعرف ما الذي يقولونه.

الدكتورة ف. ــــ سأعد من واحد إلى ثلاثة، وبعد ذلك ستعرف. واحد... اثنان... ثلاثة. قل ما يتبادر إلى ذهنك.

م. ــــ عندما أنتهي من ذلك الجانب، أذهب إلى الجانب الأيمن.

الدكتورة ف. ــــ لماذا؟ هل هناك شيء على الجانب الآخر؟

م. ــــ نعم. لأنني لا أعمل على ذلك الجانب، أنا أعمل على... الجانب الأيسر، لمن هو متوجه إلى الأمام.

الدكتورة ف. ــــ وكيف تشعر، وأنت تعمل في الأعلى؟

م. ــــ حسناً، يبدو أنه عالٍ وعلى درجات وتقريباً... أنا لا... كان لدي شعور، بمجرد أن عرفت أن هذا عالٍ... يجب أن أنظر جيداً أين أضع قدمي. [وجهه يغطى فجأة بقطرات من العرق.]

الدكتورة ف. ــــ ماذا ترتدي في قدميك؟

م. ــــ يبدو أنهما مربوطتان. هناك شيء يمنعهما من الانزلاق، لكني لا أستطيع فهم ما هو.

الدكتورة ف. ــــ هل ترتدي نوعاً من الصندل مربوطاً بساقك؟

م. ــــ نعم، جلد ناعم، لـ... ستحتاج إلى الذهاب إلى هناك... و... بدون السقوط... يبدو أنه أصبح رطباً قليلاً.

الدكتورة ف. — لماذا أصبح رطباً؟

م. — لابد أنها تمطر.

الدكتورة ف. — انظر ما إذا كنت تدرك ما يحدث. بماذا تشعر؟

م. [يتنفس بسرعة الآن.] — حسناً، في المرة الأولى التي ذهبت فيها إلى الأعلى... إنها ألوان لا أراها هنا كثيراً... إنها... مختلفة، تبدو كجنوب أوروبا... بهذا النوع من الارتفاعات... وهذه الكنيسة تبدو وكأنها على ارتفاع. هناك تلال أخرى وأماكن بها منازل، وما إلى ذلك، من الجص... ضباب، ضباب أزرق وضباب خفيف و...

الدكتورة ف. — كم من الوقت كنت تعمل على السطح، قبل أن تبدأ بالهطول؟

م. — لا أعرف. لا أستطيع... فقط... لا أعرف كم من الوقت مر. كنت فقط أعمل على هذا الجانب وفي المزاريب، أرى مزاريب نحاسية خضراء...

الدكتورة ف. — أخبرني المزيد. ماذا يمكنك أن تدرك؟

م. — أوه، كنت فقط أنظر إلى المزاريب وحولها، إلى الكورنيشات على الكنيسة، وشعرت ببعض القلق.

الدكتورة ف. — لماذا؟

م. — عند النظر إلى الأسفل. عند النظر إلى الأسفل، لأنه عالٍ جداً.

الدكتورة ف. — هل تمطر بغزارة؟

م. — لا... لا. أنا فقط أدرك... أن السبب هو المطر أو الضباب، أو أي شيء؛ لكنها مبتلة. البلاطات مبتلة. وأنا حذر بشكل خاص. ولكنه عملي... ويبدو أنني أعرف... كيف أتجول هنا.

الدكتورة ف. — ماذا تفعل الآن؟

م. — أنا أقف وأعبر إلى الجانب الآخر، أقوم بتفحص سريع لـ... لـ، آه... يبدو أن هذا الكاهن يرتدي قلنسوة ورداء.

الدكتورة ف. ـــ هل الكاهن أيضاً على السطح؟

م. ـــ نعم... هو الذي يوجهني.

الدكتورة ف. ـــ ماذا تدرك الآن؟

م. ـــ أنا فقط أنظر إلى الأسفل، إلى... يبدو أنني أحاول العثور على المنطقة. هو يقف على حافة السطح، أو إلى اليسار قليلاً، ينظر إليّ. وأنا مدرك للارتفاع. [يصبح قلقاً بشكل واضح.]

الدكتورة ف. ـــ كيف تشعر؟ ألاحظ أنك تقبض على قبضتيك وتفرك يديك.

م. ـــ آه، فقط بعض... الرطوبة... إذا كان ذلك بسبب التمسك...

الدكتورة ف. ـــ ماذا تدرك الآن؟

م. ـــ أدرك أنني فقدت بعض الأدوات، تدحرجت إلى الجانب و... أنا مستلقٍ، ممدد... لا أعرف ما إذا كنت أحاول استعادتها أم لا.

الدكتورة ف. ـــ انتبه لما يحدث. أخبرني فقط بما يلي. ماذا يمكنك أن تدرك؟

م. ـــ حسناً، على أي حال، هناك بعض البلاطات المفكوكة، وهذا يدخل في هذا. أين يذهب بحق الجحيم أنا... أنا لا أعرف، يبدو أنه هذا الجزء فقط... فقدان الأدوات هو شيء ما، السقوط والوصول إليها... الاستسلام و... التعلق، أرجوحة في المزراب والبلاطات و... إنها... وتبدو وكأنها ثلاثة طوابق ارتفاعاً... إنها عالية جداً حقاً!

الدكتورة ف. ـــ أين أنت الآن؟

م. ـــ أنا... أنا معلق على هذا اللعين، آه...

الدكتورة ف. ـــ أين؟

م. ـــ أنا معلق على هذا... المزراب وأنا متمسك ببعض تلك البلاطات، التي هي مفكوكة ومكسورة، لكنها لا تساعد كثيراً وهي تتساقط.

الدكتورة ف. — أين جسدك؟

م. — أنا في الخارج، معلق... فقط... يبدو لي أن ذراعي على المزراب أو... يد على المزراب والذراع الأخرى على قمة... لكني أبقى هناك بالفعل. لا يبدو أنني سأسقط... [الوجه مغطى بالعرق.]

الدكتورة ف. — أين الكاهن؟ هل هو هناك؟

م. — لا... لقد ذهب.

الدكتورة ف. — بماذا تشعر؟ تواصل مع مشاعرك.

م. [صمت طويل.]

الدكتورة ف. — ماذا تدرك؟ ما هي الأفكار التي تمر في ذهنك؟

م. — حسناً، أنا... أنا لا... أنا... أنا... أشعر بالقلق، ولكن ليس رعب السقوط. ليس لدي... لا أرى هذا... يبدو أنني توقفت هناك. أنا لا... أنا مدرك للمباني.

الدكتورة ف. — ما هي المباني التي تدركها؟

م. — المبنى الذي أنا فيه... الكنيسة و... أين أنا، في أي وضع وفي أي مكان، و... أنا لا... أتجاوز ذلك.

الدكتورة ف. — هل ما زلت تتأرجح؟ هل أنت معلق في المزراب، جسدك يتأرجح وإحدى ذراعيك تمسك بالبلاط، في الأعلى؟

م. [يهز رأسه، دلالة على الإيجاب.]

الدكتورة ف. — سأطلب منك أن تركز على تنفسك. سأعد من واحد إلى ثلاثة، وستصبح أكثر استرخاءً وهدوءاً وسيدعك لاوعيك تستمر، خطوة بخطوة، حتى تتمكن من رؤية ما يحدث لك. واحد... تصبح أكثر استرخاءً عندما تدرك ما يحدث... اثنان... ثلاثة. ماذا تدرك؟

م. ـــ هناك بعض الأشخاص يحاولون المساعدة... يقفون على الجانب الآخر ويسقطون شيئاً، حبلاً أو شيئاً من هذا القبيل.

الدكتورة ف. ـــ والآن؟ هل يقولون لك شيئاً؟

م. ـــ أنا... أؤمن جزئياً بهذا الحبل... وأنا متمسك بالمزراب، البلاط... وأتأرجح من جانب إلى آخر.

الدكتورة ف. ـــ بماذا تشعر؟

م. ـــ أشعر بالتأرجح وال... الوضع غير المستقر الذي أنا فيه. [يتلوى.]

الدكتورة ف. ـــ ما هي المشاعر التي تشعر بها؟

م. ـــ خوف، خوف و... رعب! أي أنني أحاول التمسك بأقصى ما أستطيع... [يغطي وجهه بيديه.] أحدهم ينزلق وفقدت...

الدكتورة ف. ـــ هل ينزلق أحد الأشخاص؟

م. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ وبعد ذلك، ماذا يحدث؟

م. ـــ ذهب كل وزني إلى المزراب وانكسر.

الدكتورة ف. ـــ استمر. ماذا يحدث؟ هل انكسر المزراب؟

م. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ أخبرني بما تشعر به.

م. ـــ كل ذلك... المزراب بأكمله يسقط، مع البلاط والشظايا.

الدكتورة ف. ـــ ماذا تدرك؟

م. ـــ حسناً، أرى نفسي فقط أسقط. في البداية كنت أنا، ثم... ابتعدت ورأيت شخصاً يسقط.

الدكتورة ف. ـــ هل يمكنك أن ترى وجه هذا الشخص، هل يمكنك أن ترى جسده، أثناء السقوط؟

م. ـــ مقلوب... رأساً على عقب.

الدكتورة ف. ـــ يسقط بظهره نحو الأرض؟

م. ـــ صحيح.

الدكتورة ف. ـــ الرأس في الأمام؟

م. ـــ لا، الجسد... الظهر والأمام، أولاً... ظهره والأمام أولاً ويداه في الهواء، تماماً كما كانتا عندما كانتا متمسكتين بـ... ومفتوحتان، متباعدتان. [يقوم بالتمثيل، بذراعيه ممدودتين.]

الدكتورة ف. ـــ ماذا فعل أثناء السقوط؟

م. ـــ فقط...

الدكتورة ف. ـــ هل تسمع شيئاً؟

م. ـــ فقط في البعيد. فقط في البعيد.

الدكتورة ف. ـــ ستسمع.

م. ـــ حسناً، نوع من الصرخة... أسمع صرخة، لا أعرف ما إذا كانت منه أم لا. آه...

الدكتورة ف. ـــ بماذا تشعر الآن؟

م. ـــ حسناً، أنا... «يا إلهي!»... إنه...

الدكتورة ف. ـــ هل يقول «يا إلهي!»؟

م. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ والآن، ماذا يحدث؟

م. ــــ يبدو أن هذا كل ما يمكنني... إنه مظلم جداً، في الأسفل، حيث يسقط... يسقط. اعتقدت أنه كان بين مبنيين، لكن... ربما يكون... ربما يكون جداراً... جداراً... ما يجعل الأمر مظلماً، في الأسفل. لكن لا يمكنني رؤية الجسد... في الأسفل.

الدكتورة ف. ــــ استرخِ. الآن سأعد من واحد إلى ثلاثة وسترى الجسد. واحد... اثنان... ثلاثة. ماذا ترى؟

م. ــــ أرى الوجه مغروساً. حسناً، أرى تعبيراً عن الألم، أنا فقط... عن الموت في شكله الكامل. هو على هذه... السقالات... الخشبية... اخترقته، بالكامل تقريباً، أي أنني... كان... الجزء المروع من كل ذلك... يبدو وكأنه كان... كان... مُجبراً، كما تعلم... على السقوط على هذا أو... لا أعرف، لا أعرف. ما أعنيه هو أن هذا هو... [يتنفس بسرعة.] يمكنني النظر إلى الأعلى.

الدكتورة ف. ــــ ماذا يتبادر إلى ذهنك؟ ماذا يحدث لك الآن؟

م. ــــ أنا فقط أراقب المبنى. أريد أن أرى المبنى بأكمله... أرى المزراب المكسور، أرى كل... ما هو فوقي والسماء. يبدو أنها أصبحت بيضاء الآن.

الدكتورة ف. ــــ أين أنت الآن؟

م. ــــ في الأسفل، أنظر إلى الأعلى.

الدكتورة ف. ــــ هل أنت على الأرض؟

م. ــــ على الأرض، ممدد.

الدكتورة ف. ــــ والآن، ماذا تدرك؟ ما هي أفكارك، وأنت هناك، على الأرض؟

م. ــــ أظن أنني لا أدرك أي شيء من ذلك. أرى فقط... أناس حولي و... شخص يحاول مساعدتي... شخص يرفع رأسي.

الدكتورة ف. ـــ والآن، ماذا يحدث؟

م. ـــ حسناً، يبدو أنه يصبح أكثر قتامة وأكثر قتامة... يبدو أن الشمس مغطاة... أظن أنني... لست قادراً على الرؤية... ولكن لدي شعور بما يحدث حولي... الناس يبدون خائفين و... أرى بشكل أساسي نفس المجموعة التي رأيتها من قبل.

الدكتورة ف. ـــ حدثني عنها مرة أخرى. من كانت؟

م. ـــ في ذلك الحلم... ليس في نفس الوضع، ولكنه مستلقٍ، ممدد...

الدكتورة ف. ـــ هل كان الوجه هو نفسه؟

م. ـــ مشابه جداً... ليس واقعياً جداً... مجرد... كانت تلك مجرد... رؤية عمياء. هذا الشيء... ظهر واختفى... لم يكن هذا. هذا هو... هذه هي المجموعة التي رأيتها أمام ذلك، يبدو لي أن تلك كانت الكنيسة، المباني. عيون زرقاء، ودودة.

عندما خرج من الغيبوبة، ابتسم مايك لي ابتسامة خفيفة. كان من الواضح أنه كان مرهقاً عاطفياً، بسبب الصدمة التي عاشها للتو. مسح العرق عن وجهه ويديه، مرر أصابعه في شعره ووقف فجأة. أراد الهروب من المشهد، الذي تسبب له بالكثير من الألم النفسي. لقد تجاوزنا وقتنا؛ لذلك، غادر، مؤكداً موعده للأسبوع التالي.

بعد مغادرته، غرقت في كرسائي. كان تراجعه مرهقاً لي أيضاً. كنت أراجع ذهنياً، متذكراً ردود أفعاله، وخاصة القلق الذي اختبره بوضوح. تذكرت أنه استبدل موقعه كمشارك بموقع مراقب-راوٍ. حاول التهرب من الذعر والألم، متجنباً باستمرار مواجهة الموقف. هذا قد وجد صعوبة بالغة في الاقتراب من نتيجة السقوط. شعرت بأنني قد أشرت إلى الحدث المسؤول عن خوفه من المرتفعات، ولكنه كان بحاجة إلى اختبار الشعور الحقيقي، ليتمكن من الحصول على الراحة التي كان يبحث عنها ويحتاج إليها. وضعت نفسي مكانه وشعرت بالأسف لأجله. سيكون الأمر قاسياً للغاية أن يمر بكل ذلك مرة أخرى!

الفصل الثامن - «مجرد الإصغاء... والمراقبة»

عندما جاء جو طلباً للمساعدة، كان يائساً. كان عليه أن يحل مشكلته: الأرق الشديد. في معظم الليالي، لم يكن يستطيع النوم إلا في الساعات الأولى من الصباح، ما لم يتناول أربعة من الحبوب المنومة ـــ كلها في الوقت ذاته. كان يدفع ثمن هذا السلوك دائماً، بالنوم لمدة اثنتي عشرة ساعة والشعور بتأثير الحبوب لساعات أطول بكثير. ليلة بعد ليلة، كان يظل مستيقظاً، يقاوم الحبوب. ودون استثناء، كان عقله يغرق في سيل من الأفكار غير المتجانسة. وكما يحدث غالباً مع جميع الأعراض، كان أرق جو يسبب له مشاكل أخرى. كان من المستحيل عليه التركيز. وكان في أمس الحاجة إلى التركيز، لأنه كان يستعد لاختبار في قانون الملكية. كان من الضروري أن يحفظ صفحات وصفحات من الحقائق والقوانين. وبدون نوم، كان يقلق بشأن اجتياز الاختبار ـــ مما جعل التوفيق بين النوم أكثر صعوبة، في الليل. كانت حلقة مفرغة.

كان جو رجلاً أنيق المظهر، في حوالي الخامسة والثلاثين من عمره. متوسط القامة، ولم يكن لديه أي وزن زائد. كان يرتدي ملابس خالية من العيوب، بقمصان لافتة، وسراويل مصممة جيداً وأحذية رعاة بقر مصقولة جيداً. كان مظهره يوحي تلقائياً: «أنا شخص فرداني».

كان الدافع وراء زيارته الأولى هو إدمانه على تدخين ثلاثة علب سجائر يومياً. ولكن، هذه المرة، جاء بسبب محاضرة ألقيتها في كلية في الضواحي. عندما ربطت أسباب العديد من حالات اضطرابات النوم بالحيوات الماضية، أثار اهتمامه. حجز موعداً في اليوم التالي مباشرة.

تحت التنويم المغناطيسي، ومن خلال إشارات الأصابع، أشار لاوعي جو إلى أن مشكلته مرتبطة بحدثين من حياة سابقة. قدمت إيحاءات للاوعيه لتحضيره، على هذا المستوى، ليتمكن في الجلسة التالية، من النظر إلى تلك الحياة. وعندما كان على وشك المغادرة، توقف عند الباب. «فكرة الوجود السابق تثير فضولي.» ضحك. «ليس لدي أدنى فكرة عمن كنت يمكن أن أكون.»

عاد في الأسبوع التالي. بعد خمس دقائق بدأت في تحفيز التنويم المغناطيسي — أردت أن أخصص كل الوقت الممكن لتراجعه إلى الحياة الماضية. أكدت إشارات إصبعه ورأيت أن لاوعيه قد قام بتحضيره. واصلت التراجع، عادّاً تنازلياً إلى «مكان آخر، زمن آخر» وانتظرت... انتظرت. لم يظهر شيء. لم يكن يشعر بأي شيء. دهشت. كان لدي إحساس بأنه يقاوم وأنه ربما يحتاج إلى مزيد من التحضير. قدمت له، مرة أخرى، إيحاءات تنويمية، لتحضيره لتراجع إلى الحياة الماضية، خلال ذلك الأسبوع، وحررته من الغيبوبة. عندما ناقشنا ما حدث، كشف أنه رأى «متجراً ومشهد شارع، بوضوح كبير» — حتى أنه رأى أخاديد في الشارع المتسخ وأرصفة خشبية مهترئة. لكنه لم يذكر شيئاً، لأنه ظن أن «كل شيء كان مجرد اختراع». وبينما كان يستعد للمغادرة، قال: «الآن أفهم. في المرة القادمة سأثق بوعيي الباطن وسأروي كل ما يظهر لي، سواء كان منطقياً أم لا!»

عند دخوله إلى عيادتي، اعترف بأنه شعر بخوف شديد في الأسبوع السابق، عندما جاء إلى الموعد — في الواقع، كاد أن يصاب بقشعريرة. أكد لي أنه مستعد هذه المرة. كررت له التعليمات بأن يروي كل شيء. سقط بسرعة كبيرة في غيبوبة عميقة. بعد أن تراجع إلى حدث ممتع أو محايد، حدث في طفولة الحياة المسؤولة عن مشكلة نومه، قال:

ج. — أنا في الفناء... ألعب.

الدكتورة ف. — أخبرني المزيد.

ج. — إنه أمام المنزل. أنا فقط ألعب بالكرة.

الدكتورة ف. — كم عمرك؟

ج. — عشر سنوات.

الدكتورة ف. — وما هو اسمك؟

ج. [يتردد] — لا أستطيع...

الدكتورة ف. — سأعد حتى ثلاثة، وعندما أصل إليها، سيظهر لك اسمك. واحد... اثنان... ثلاثة.

ج. — ديل.

الدكتورة ف. — ديل؟ ما هو اسم العائلة؟

ج. — شورت.

الدكتورة ف. — حدثني عن نفسك يا ديل. مع من تعيش؟

ج. — مع أمي وأختي الصغيرة.

الدكتورة ف. — أين؟

ج. — كنتاكي.

الدكتورة ف. — ماذا يعمل والدك؟

ج. — هو قائد الشرطة.

الدكتورة ف. — ما رأيك في كونه قائد الشرطة؟

ج. — أنا فخور به. [يبتسم.]

الدكتورة ف. — الآن ركز على تنفسك وسينقلك لاوعيك إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ج. — والدي مات.

الدكتورة ف. — مات؟

ج. — قُتل.

الدكتورة ف. — كيف قُتل يا ديل؟

ج. — بالرصاص.

الدكتورة ف. — هل اكتشفت ذلك للتو؟

ج. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ من أطلق النار عليه؟

ج. ـــ رجل مسلح.

الدكتورة ف. ـــ حدثني أكثر عن ذلك.

ج. ـــ أشعر بالسوء، بسبب أمي وأختي الصغيرة... لم أفكر أبداً أن... آه... يمكن لأحد أن يتغلب عليه.

الدكتورة ف. ـــ أنت مندهش حقاً.

ج. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل كان رامياً جيداً؟

ج. ـــ نعم. كان سريعاً جداً. [ذقنه يرتجف؛ تتكون الدموع.]

الدكتورة ف. ـــ أنا آسفة جداً... ماذا ستفعل العائلة؟

ج. ـــ أمي تخيط الفساتين... أنا لن أبقى.

الدكتورة ف. ـــ إلى أين ستذهب؟

ج. ـــ سأذهب غرباً.

الدكتورة ف. ـــ كم عمرك الآن يا ديل؟

ج. ـــ سبعة عشر عاماً.

الدكتورة ف. ـــ ضع جانباً، في الوقت الحالي، تلك المشاعر والذكريات. ركز على تنفسك بينما أعد حتى خمسة. ابقَ هادئاً ومسترخياً. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. بماذا تشعر الآن يا ديل؟

ج. — بجوار نار مخيم. الكثير من الناس.

الدكتورة ف. — ماذا يحدث؟

ج. — إنها قافلة.

الدكتورة ف. — هل هو الليل؟

ج. — نعم.

الدكتورة ف. — كم عمرك الآن؟

ج. — عشرون عاماً.

الدكتورة ف. — هل كنت تسافر لفترة طويلة؟

ج. — منذ حوالي خمسة أشهر.

الدكتورة ف. — وأين أنت الآن؟

ج. — بالقرب من جبال روكي.

الدكتورة ف. — ما هو موسم السنة؟

ج. — إنه الربيع، أو الصيف.

الدكتورة ف. — يبدو لي أنه وقت جيد لعبور جبال روكي.

ج. — وإنه حار.

الدكتورة ف. — حدثني أكثر عن تلك الليلة.

ج. — أنا مستند على عربة.

الدكتورة ف. — كيف تشعر؟

ج. — مصمم على الانضمام إلى هؤلاء الناس...

الدكتورة ف. — ألم تنضم إلى الآخرين؟

ج. — لا.

الدكتورة ف. — لماذا؟

ج. — هم يعرفون فقط كيف يعتنون بالأرض و... يذهبون إلى الغرب للحصول على أرض و... ليسوا مستعدين. [بغطرسة.]

الدكتورة ف. — ماذا تقصد بذلك؟

ج. — لا يمكنهم الدفاع عن أنفسهم.

الدكتورة ف. — وأنت، هل تشعر أنك مستعد؟

ج. — نعم. ليس من جميع النواحي... ولكن في معظمها.

الدكتورة ف. — كيف ستدافع عن نفسك؟

ج. — بمسدس فقط.

الدكتورة ف. — هل أنت رامٍ جيد؟ كيف تعلمت؟

ج. — علمني والدي.

الدكتورة ف. — لقد كان رامياً جيداً، أليس كذلك؟

ج. — نعم.

الدكتورة ف. — إذن أنت جالس ومستند... هل أنت مستند على عربتك؟

ج. — لدي حصان واحد فقط.

الدكتورة ف. ــــ إذن أنت مستند على إحدى العربات... كنت تسافر لمدة خمسة أشهر. متى تتوقع الوصول إلى وجهتك؟

ج. ــــ ربما في غضون بضعة أشهر.

الدكتورة ف. ــــ ما هي وجهتك؟

ج. ــــ كاليفورنيا. ليس مكاناً محدداً.

الدكتورة ف. ــــ ماذا تريد أن تفعل، عندما تصل إلى هناك؟

ج. ــــ ربما أكون حارساً لعربة بريد أو... بنك، أو أي شيء آخر.

الدكتورة ف. ــــ الآن دع بعض الوقت يمر وانظر ما سيحدث؛ انظر ما إذا كان هناك شيء مهم سيحدث خلال هذه الفترة. سأعد من واحد إلى خمسة، وعندما أصل إلى خمسة، ستخبرني بما يحدث. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ماذا يحدث الآن يا ديل؟

ج. ــــ نصب لنا الهنود كميناً. [يتنفس بصعوبة.]

الدكتورة ف. ــــ حدثني أكثر عن ذلك.

ج. ــــ كنا نسير... نقترب من وادٍ وكان الهنود... كانوا مختبئين على جانبي الوادي وبدأوا بإطلاق النار علينا.

الدكتورة ف. ــــ ما هي الأسلحة التي كانت لديهم؟

ج. ــــ بعض البنادق... أقواس وسهام.

الدكتورة ف. ــــ نتيجة لذلك، ماذا حدث؟

ج. ــــ كان علينا أن نترك... نترك العربات لأن... لم نتمكن من تجميع العربات... إنه ليس موقعاً دفاعياً جيداً.

الدكتورة ف. ــــ ترك الجميع العربات؛ وماذا فعلوا بعد ذلك؟

ج. ــــ ركضنا نحو الأشجار.

الدكتورة ف. ــــ أين أنت الآن؟

ج. ــــ في وسط بعض الأشجار.

الدكتورة ف. ــــ أخبرني بما تراه.

ج. ــــ هناك هنود، في الأعلى، أيضاً. على ظهور الخيل. [ينظر إلى الأعلى، جسده متوتر.]

الدكتورة ف. ــــ في الأعلى، أين؟

ج. ــــ بين الأشجار.

الدكتورة ف. ــــ بماذا تشعر؟

ج. ــــ أشعر بالأسف على هؤلاء الناس... نصفهم من النساء... يسحبونهن إلى خيولهم ويغادرون بهن... هؤلاء الناس لا يستطيعون إصابة أي شيء، بأسلحتهم. [بانزعاج.]

الدكتورة ف. ــــ إنهم أهداف سهلة، أليس كذلك؟ هل قُتل أي أحد بالفعل؟

ج. ــــ بعض الهنود... أطلقت النار على بعضهم.

الدكتورة ف. ــــ أطلقت النار على بعضهم؟

ج. ــــ نعم... أطلقت النار على امرأة... لم أستطع إصابة الهندي فقط.

الدكتورة ف. ــــ هل أصبت المرأة بطريق الخطأ؟

ج. ــــ عمداً.

الدكتورة ف. ــــ هل سيكون ذلك أكثر رحمة من تركها تذهب؟

ج. ــــ سيكون أفضل. [تظهر الدموع في عينيه.]

الدكتورة ف. ــــ ابقَ هادئاً ومسترخياً. كان لديك إحساس بأن شيئاً من هذا القبيل سيحدث، أليس كذلك؟

ج. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ دع تلك الذكريات تتلاشى وتقدم إلى الحدث الهام التالي. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ماذا يحدث الآن يا ديل؟

ج. ــــ أنا في المدينة... في التلال... الجبال... إنها مدينة تعدين، مناجم ذهب.

الدكتورة ف. ــــ ماذا تفعل في هذه اللحظة؟

ج. ــــ أنا أسير في الشارع، على الرصيف... عمال مناجم، الكثير من الناس، رجال.

الدكتورة ف. ــــ أين أنت؟ في أي ولاية أنت؟

ج. ــــ كاليفورنيا.

الدكتورة ف. ــــ هل كنت هنا لفترة طويلة؟

ج. ــــ لا. أنا هنا لمدة أسبوع فقط، تقريباً.

الدكتورة ف. ــــ بالعودة إلى هجوم الهنود، هل يمكنك أن تخبرني ما كانت النتيجة؟

ج. [صمت طويل.] ــــ صمدنا حتى تلك الليلة... لم يتبق الكثيرون... أخبرتهم أن ينشروا الخبر وأن يحاول كل واحد الهروب بمفرده... ألا يتجمعوا، لأن الهنود يمكن أن يدركوا ذلك و... سيكون الأمر أفضل بمفردهم. غادرت بمفردي.

الدكتورة ف. ــــ هل غادرت أثناء الليل؟

ج. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ هل كنت متعباً في ذلك الوقت؟

ج. ــــ لا.

الدكتورة ف. ـــ كيف تمكنت من رؤية الطريق؟

ج. ـــ فقط... فقط بضوء القمر و... ربما تتبع الهنود آثارنا، في الصباح التالي... لا أعتقد... [تنهيدة عميقة]... أن الآخرين كانوا محظوظين.

الدكتورة ف. ـــ تظن أن الآخرين ليس لديهم فرصة، لكنك تعرف جيداً ما تفعله، أليس كذلك؟

ج. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل تمكنت من النوم في تلك الليلة؟

ج. ـــ لا. كان الهنود يتجولون... حولنا... طعنت بعضهم بسكيني، في تلك الليلة.

الدكتورة ف. ـــ بسكينك؟ كانت معركة يدوية، أليس كذلك؟

ج. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل كان الجميع يحاولون النوم في ذلك الوقت؟

ج. ـــ لا!

الدكتورة ف. ـــ لم تجرؤ على المخاطرة بذلك، أليس كذلك؟ تقريباً، في أي وقت من الليل حدث ذلك؟

ج. ـــ كان طوال الليل.

الدكتورة ف. ـــ في أي ساعة غادرت، بمفردك؟

ج. ـــ حوالي ثلاث ساعات قبل الفجر.

الدكتورة ف. ـــ إذن، طوال الليل، كنت في ذلك النوع من المخيم، مع الآخرين؟ أو كنت فقط في منطقة ما، مع الآخرين؟

ج. ـــ في الغابة.

الدكتورة ف. ــــ وكان عليك أن تكون متيقظاً جداً، لأن الهنود يمكن أن يظهروا في أي لحظة. كانوا يحاصرونكم.

ج. ــــ كنا... الآخرون وأنا كنا قريبين جداً من بعضنا البعض.

الدكتورة ف. ــــ لكن كان عليك أن تكون متيقظاً، أليس كذلك؟

ج. ــــ نعم. كنت أسمع الناس يصرخون، من حين لآخر، لأن... [يتنهد بعمق]... الهنود أمسكوا بهم بفأس أو سكين.

الدكتورة ف. ــــ لابد أنها كانت ليلة مروعة بالنسبة لك.

ج. ــــ لم أكن خائفاً. [يقول الحقيقة.]

الدكتورة ف. ــــ كيف أمضيت الوقت، خلال تلك الليلة، قبل أن تغادر؟

ج. ــــ فقط أستمع... أراقب. على الرغم من أنه لا يمكن رؤية أي شيء تقريباً. الأشجار فقط، لم يدخل ضوء القمر إلى هناك... مقاتلون جيدون.

الدكتورة ف. ــــ من كانوا؟

ج. ــــ الغربان (كروز).

الدكتورة ف. ــــ كيف تعرف ذلك؟

ج. ــــ كنت أعرف أن هناك الغربان في تلك المنطقة... الغربان هم الوحيدون المعادون. القبائل الأخرى مسالمة.

الدكتورة ف. ــــ قلت إنك كنت هناك في الغابة. كنت تسمع الصراخ من حين لآخر، لكنك لم تكن خائفاً. كنت متيقظاً جداً فقط.

ج. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ كنت تعرف أنه إذا لم تنتبه، يمكن أن يموت الجميع، أليس كذلك؟

ج. ــــ حسناً، كنت أفكر فقط في حماية نفسي. لم يكن لدي أي فرصة لحماية المجموعة. [كان صوته مكتئباً.]

الدكتورة ف. ــــ والآن، ها أنت ذا، في مدينة التعدين هذه. أين أنت؟

ج. ــــ أنا في الشارع.

الدكتورة ف. ــــ ماذا تفعل يا ديل؟

ج. ــــ أنا أذهب إلى الحانات وصالونات الخمور.

الدكتورة ف. ــــ ماذا تفعل؟

ج. ــــ لا أفعل شيئاً بعد. لا... لا أعتقد أنني سأبقى هنا. أنا فقط أرى كيف هو الحال هنا.

الدكتورة ف. ــــ سأطلب منك التقدم إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى

خمسة. دع تلك الذكريات تختفي. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ماذا يحدث حولك؟

ج. ــــ أنا في المكسيك.

الدكتورة ف. ــــ حدثني أكثر عن ذلك.

ج. ــــ أنا أشرب وأرقص مع الفتيات.

الدكتورة ف. ــــ لماذا أنت في المكسيك يا ديل؟

ج. [يخفض صوته.] ــــ إنه مجرد نوع من... مخبأ.

الدكتورة ف. ــــ مخبأ؟

ج. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ لماذا تختبئ؟

ج. [يهمس.] ــــ سرقت عربة بريد... للحصول على المال.

الدكتورة ف. ــــ هل تمكنت من الحصول على أي مال بهذه الطريقة؟

ج. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ هل يمكنك أن تخبرني أكثر عن ذلك؟

ج. ــــ تعلمين، نفد مني المال و... كنت أعمل معظم الوقت في المزارع و... لا أحب هذا النوع من العمل. رأيت عربة البريد هذه، فسرقتها... نصبت لها كميناً فقط. لم أقتل أحداً.

الدكتورة ف. ــــ هل اتخذت هذا القرار لحظياً، أم كنت قد خططت لذلك؟

ج. ــــ كنت أشعر بالفضول لمعرفة كيف سيكون الأمر.

الدكتورة ف. ــــ وكيف كان؟

ج. ــــ لم يعجبني لأنني فكرت... أن بعض الأشخاص يمكن أن يحاولوا... إطلاق النار علي وسيتعين علي قتلهم.

الدكتورة ف. ــــ لكنك تمكنت من تجنب ذلك بطريقة ما؟

ج. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ كم كان المبلغ الذي حصلت عليه؟

ج. ــــ حوالي ألف وخمسمائة دولار... بالذهب!

الدكتورة ف. ــــ متى حدث ذلك؟

ج. ــــ ربما قبل شهر.

الدكتورة ف. ــــ والآن أنت في المكسيك، مختبئ، لبعض الوقت.

ج. — أنا... سأبقى هنا لبعض الوقت ثم أعود عبر تكساس. يجب أن أكون مطلوباً في كاليفورنيا.

الدكتورة ف. — جيد. الآن سأعد من واحد إلى خمسة، وعندما أصل إلى خمسة، أود منك التقدم إلى الحدث الهام التالي. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. أين أنت الآن يا ديل؟

ج. — أنا في حانة. لديهم، آه... طاولات قمار، فتيات يرقصن... أنا أحافظ على الهدوء هنا... أنا الحارس.

الدكتورة ف. — ماذا تفعل؟

ج. — أنا هنا لمنع السرقة.

الدكتورة ف. — لمنع سرقة الحانة، أليس كذلك؟

ج. — نعم. هناك الكثير من المال هنا.

الدكتورة ف. — هل تحب عملك؟

ج. — بصراحة، لا.

الدكتورة ف. — منذ متى وأنت تفعل ذلك؟

ج. — ثلاثة أشهر.

الدكتورة ف. — أين أنت الآن؟

ج. — في تكساس.

الدكتورة ف. — كم عمرك يا ديل؟

ج. — عمري سبعة وعشرون عاماً.

الدكتورة ف. — هل شعرت برغبة في الزواج؟

ج. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ هل أنت شخص انطوائي؟

ج. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ الآن دع هذه الذكريات تتلاشى وتقدم إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ج. ـــ أنا في عربة بريد... كحارس... إنه عمل سهل.

الدكتورة ف. ـــ إلى أين تذهب عربة البريد؟

ج. ـــ إلى ويتشيتا.

الدكتورة ف. ـــ إنها مسافة كبيرة، أليس كذلك؟

ج. ـــ لا.

الدكتورة ف. ـــ هل تحب عملك؟

ج. ـــ ليس كثيراً. أفضل من العمل في المزرعة... رعاية الماشية.

الدكتورة ف. ـــ والآن سأطلب منك أن تدع تلك الذكرى تختفي وتتقدم إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. قل ما يتبادر إلى ذهنك.

ج. ـــ أنا الشريف.

الدكتورة ف. ـــ في أي ولاية أنت الآن يا ديل؟

ج. ـــ ما زلت في كانساس.

الدكتورة ف. ـــ هل تحب هذا العمل؟

ج. — أحبه، أحبه. [يبتسم.]

الدكتورة ف. — هل تحب هذا أكثر من كونك حارساً؟

ج. — نعم.

الدكتورة ف. — منذ متى وأنت شريف؟

ج. — سنتان.

الدكتورة ف. — إذن استقريت في هذه المدينة، أليس كذلك؟

ج. — نعم. [بفخر.] الناس هنا يحترمونني.

الدكتورة ف. — ما اسم المدينة؟

ج. — بيتسبرغ.

الدكتورة ف. — بيتسبرغ؟ وماذا تفعل في هذه اللحظة؟

ج. — أنا أسير في الشارع... على الرصيف... أقول «مرحباً» للناس. ليس هناك الكثير لأفعله خلال النهار.

الدكتورة ف. — هل لديك المزيد من العمل في الليل؟

ج. — نعم.

الدكتورة ف. — ما نوع المدينة هي؟

ج. — متاجر... و... حانة، إنهم يسكرون باستمرار ويطلقون النار على بعضهم البعض. [بنفاذ صبر.]

الدكتورة ف. — هل تزوجت يا ديل؟

ج. — لا.

الدكتورة ف. ـــ كم عمرك الآن؟

ج. ـــ تسعة وعشرون عاماً.

الدكتورة ف. ـــ هل لديك صديقة؟

ج. ـــ لا. لست مستعداً للاستقرار بعد.

الدكتورة ف. ـــ أين تعيش؟

ج. ـــ لدي منزل صغير تمنحني إياه المدينة، إنه جزء من العمل.

الدكتورة ف. ـــ وأنت تتجول في الشارع؛ أنت فقط تتفقد الأمور، أليس كذلك؟

ج. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ كيف هي المدينة؟ هل هي مدينة مزدهرة؟ مدينة صغيرة؟

ج. ـــ إنها مدينة صغيرة... آه... يأتي إليها الكثير من الناس من المزارع... رعاة ماشية وأصحاب مزارع، مزارعون... ليس هناك الكثير من الناس يعيشون في المدينة... أصحاب المتاجر.

الدكتورة ف. ـــ هل المدينة مزدهرة؟

ج. ـــ لقد نمت... ليس هناك الكثير من الجرائم هنا.

الدكتورة ف. ـــ هل تنوي البقاء في تلك المدينة؟

ج. ـــ لا أعتقد ذلك. لا... لا يوجد ما يكفي من الحركة... رعاة الماشية يسكرون، يبدأون بإطلاق النار على بعضهم البعض... وعادة ما يصيبون شخصاً لم يكن هو الهدف. ثم يظنون أنهم جيدون و... إذا لم تكن معركة عادلة، فإنهم يريدون تبادل إطلاق النار معي. إنهم مجرد أطفال.

الدكتورة ف. ـــ ماذا تفعل، عندما يريدون تبادل إطلاق النار معك؟

ج. ـــ عادة لا يكونون سريعين على الإطلاق، وإذا كنت قريباً، أصيب ركبتهم... هذا يسقطهم أرضاً. عادة لا يخرجون مسدساتهم من الجراب حتى. إذا أخطأت في المرة الأولى... فعندئذ أقتلهم. لا يستحق الأمر أن يقتلوني لمحاولة إنقاذ حياتهم. [صوته يتثاقل باشمئزاز.]

الدكتورة ف. ـــ الآن دع تلك الذكريات تتلاشى وتقدم إلى الحدث الهام التالي. سأعد من واحد إلى خمسة، وبعد العد، اذهب إلى الحدث أو الأحداث المسؤولة عن مشكلة نومك. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ج. [صمت طويل. يقطب جبينه وهو يبحث في ذاكرته.] ـــ إنها مدينة أكبر... أنا قائد الشرطة ولست الشريف. إنها كولورادو. هناك الكثير من صالونات الخمور في المدينة... المزيد من المسلحين... والمتشردين... هنا، الناس يعرفون كيفية التعامل مع أسلحتهم بشكل أفضل. إنهم ليسوا مثل أصحاب المتاجر أو رعاة الماشية. لكني أحب ذلك.

الدكتورة ف. ـــ هل تحب ذلك؟

ج. ـــ نعم. [وجهه يصبح حيوياً.] إنه أمر مثير.

الدكتورة ف. ـــ كم عمرك الآن؟

ج. ـــ اثنان وثلاثون عاماً.

الدكتورة ف. ـــ قل لي كيف هو مظهرك.

ج. ـــ أنا أسمر... شعري داكن... وأنا مفتول العضلات... خصر ضيق، حزام... أحذية سوداء طويلة.

الدكتورة ف. ـــ سأطلب من لاوعيك أن يأخذك إلى الحدث الهام التالي. بعد العد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ج. ـــ البنك سُرق.

الدكتورة ف. ـــ حدثني أكثر عن ذلك.

ج. ــــ سرقه ثلاثة رجال... وهربوا.

الدكتورة ف. ــــ هل شاهدت السرقة؟

ج. ــــ لا.

الدكتورة ف. ــــ متى حدث ذلك؟ في أي وقت من اليوم؟

ج. ــــ كان حوالي الظهر. جاء شخص إلى مكتبي ليخبرني.

الدكتورة ف. ــــ وماذا تفعل الآن؟

ج. ــــ أنا أجمع مجموعة من رجال الشرطة والمساعدين.

الدكتورة ف. ــــ كم رجلاً تمكنت من جمع؟

ج. ــــ ستة أو سبعة.

الدكتورة ف. ــــ هل تعتقد أن لديك فرصة للإمساك بهؤلاء اللصوص الثلاثة؟

ج. ــــ ليس لديهم تقدم كبير. ليس لديهم الكثير من الأماكن للهروب إليها.

الدكتورة ف. ــــ هل تعرف الطريق الذي سلكوه، عندما غادروا المدينة؟

ج. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ بماذا تشعر، وأنت تجمع هؤلاء الرجال؟

ج. ــــ واثق... إنهم... ليسوا شيئاً مميزاً.

الدكتورة ف. ــــ هل تعتقد أنك ستمسك بلصوص البنك؟

ج. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ تقدم وانظر.

ج. ـــ شنقناهم. [بلامبالاة.]

الدكتورة ف. ـــ سأطلب من لاوعيك أن يتقدم بك إلى حدث بالغ الأهمية، بعد العد حتى خمسة؛ دع تلك الذكريات تتلاشى. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ج. ـــ أنا ألعب البلياردو... إنه الليل. المدينة هادئة جداً... هناك مساعدان... يتفقدان المتاجر... يعتنيان بـ صالونات الخمور... لذا أنا ألعب مع بعض الأشخاص، ألعب البلياردو.

الدكتورة ف. ـــ هل تستمتع؟

ج. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ هل أنت جيد في البلياردو؟

ج. ـــ نعم... وهؤلاء الناس لطفاء، مصرفي... رئيس بلدية. جميعهم لديهم طاولات بلياردو في المنزل.

الدكتورة ف. ـــ هل أنت في منزل شخص ما؟

ج. ـــ لا... هذا... هو صالون البلياردو في المدينة.

الدكتورة ف. ـــ وأنت تلعب مع المصرفي ورئيس البلدية. أنتم الثلاثة فقط؟

ج. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ والآن، إذا حدث أي شيء خلال تلك الليلة، سيأخذك لاوعيك إلى تلك اللحظة، بعد العد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

ج. [يتراجع بعنف.] أحدهم أطلق النار عليّ.

الدكتورة ف. ـــ أطلق أحدهم النار عليك؟

ج. ـــ نعم. من النافذة المفتوحة. في صالون البلياردو.

الدكتورة ف. ــــ أين أصابوك؟

ج. ــــ كانت بندقية صيد... اخترقت صدري ومعدتي. [يلهث.]

الدكتورة ف. ــــ أين أنت، في هذه اللحظة؟

ج. [وجهه مشوه بالألم.] ــــ أنا على الأرض.

الدكتورة ف. ــــ قل لي ماذا تشعر.

ج. ــــ أنا مندهش قبل كل شيء. إنه يؤلم ولكن ليس، ليس كثيراً. أنا فقط مندهش لأنني سمحت بحدوث ذلك.

الدكتورة ف. ــــ ماذا تقصد؟

ج. ــــ أنني لم أكن... أنني لن أُقبض عليّ بهذه السهولة... بمجرد نصب كمين لي. [غضب في صوته وعلى وجهه.]

الدكتورة ف. ــــ هل أنت مندهش لأنك لم تكن حذراً بما فيه الكفاية؟

ج. ــــ نعم.

الدكتورة ف. ــــ هل هكذا تكون عادة؟

ج. ــــ أمشي على الجانب المظلم من الشارع... أنظر حول الزوايا، قبل التقدم... كان هذا في الشارع الرئيسي حقاً.

الدكتورة ف. ــــ إذن أنت لم تعد في صالون البلياردو؟ هل غادرت من هناك؟

ج. ــــ لا، صالون البلياردو يطل على الشارع الرئيسي.

الدكتورة ف. ــــ هل كنت تلعب البلياردو، عندما حدث هذا؟

ج. ــــ نعم.

الدكتورة ف. — وفي هذه اللحظة، ماذا تدرك؟

ج. — أخذوني إلى السرير... في الطابق العلوي... طبيب... معدتي تؤلمني. [تظهر قطرات العرق على وجهه.]

الدكتورة ف. — هل تفقد الكثير من الدم؟

ج. — نعم.

الدكتورة ف. — هل أنت واع وترى ما يحدث؟

ج. — نعم.

الدكتورة ف. — قل لي المزيد. ماذا يحدث؟

ج. — هذا هو الطبيب... وامرأة تساعده... المصرفي ورئيس البلدية... أحد المساعدين...

الدكتورة ف. — إذن، هل تعتقد أنك ستنجو؟

ج. — ليس ممكناً!

الدكتورة ف. — لماذا تقول ذلك يا ديل؟

ج. — ببندقية صيد... [ضحكة قصيرة]... الكثير على المعدة.

الدكتورة ف. — ما هي أفكارك حول هذا؟ ماذا تفكر في الموت؟

ج. — هذا لا... لا يزعجني كثيراً. أنا فقط... غاضب... سمحت لهم بالإمساك بي هكذا!

الدكتورة ف. — كيف سمحت لهم بالإمساك بك؟ هل كنت غافلاً أم ماذا حدث؟

ج. — فقط لم أكن أتوقع هذا.

الدكتورة ف. — وبما أنك لم تكن تتوقع ذلك، فقد تشتت انتباهك؛ هل هذا صحيح؟

ج. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ إذا كنت تتوقع هذا، فماذا كنت ستفعل؟ ما هو الموقف الذي كنت ستتخذه؟

ج. ـــ لن أكون في غرفة مضاءة، مع ستائر مفتوحة... كنت سأبقى متيقظاً. كنت سأبقى خارج المباني. يطلقون النار، عندما نخرج من الباب. يكون الضوء خلف ظهورنا.

الدكتورة ف. ـــ هل حدث ذلك بهذه الطريقة؟ في اللحظة التي كنت على وشك الخروج من الباب؟

ج. ـــ كنت في صالون البلياردو. أطلق النار عبر النافذة. لم يكن ليخطئ.

الدكتورة ف. ـــ حسناً، الآن تقدم بضع دقائق وانظر ما يحدث. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. في أي وضع أنت؟

ج. ـــ الطبيب يضع الملاءة... على وجهي.

الدكتورة ف. ـــ أين أنت، عندما يحدث هذا؟

ج. ـــ ما زلت في السرير.

الدكتورة ف. ـــ وبماذا تشعر؟

ج. ـــ كنت أعرف أن هذا سيحدث... لا أشعر بشيء.

الدكتورة ف. ـــ ماذا يمكنك أن ترى، من المكان الذي أنت فيه؟

ج. ـــ أرى الطبيب... ممرضته، تنظف... أغراضها، أدواتها. المصرفي ورئيس البلدية... يقولان إنهما آسفان جداً على كل هذا.

الدكتورة ف. ـــ بالإضافة إلى ذلك ماذا ترى؟ ماذا ترى على السرير؟

ج. ـــ مجرد ملاءة ملطخة بالدماء... وأنا. [بلامبالاة.]

الدكتورة ف. ـــ هل أنت مغطى بالملاءة؟

ج. ـــ نعم.

الدكتورة ف. ـــ أين تشعر أنك، عندما تلاحظ هذا؟

ج. ـــ لا أعرف. [يبدو مندهشاً جداً.]

الدكتورة ف. ـــ سيصبح هذا أكثر وضوحاً. سأعد من واحد إلى ثلاثة، وعندما أصل إلى ثلاثة، سيكون واضحاً جداً لك المكان الذي أنت فيه. واحد... اثنان... ثلاثة.

ج. [صمت طويل.] ـــ كأنني أنظر عبر السقف.

الدكتورة ف. ـــ من أين؟

ج. ـــ من السماء.

الدكتورة ف. ـــ من السماء؟ هل تنظر داخل المنزل، عبر الأسطح؟

ج. [يهز رأسه، دلالة على الإيجاب.]

الدكتورة ف. ـــ هل تشعر أنه يمكنك رؤية تعابير الناس وسماع ما يقولونه؟

ج. [يهز رأسه مرة أخرى.]

الدكتورة ف. ـــ هل أنت وحيد هناك؟

ج. ـــ لا، هناك شخصان.

الدكتورة ف. ـــ ومن هما؟ هل يبدوان مألوفين لك؟

ج. ـــ لا. إحداهما امرأة.

الدكتورة ف. ـــ هل هي شخص تعرفه؟

ج. ـــ لا.

الدكتورة ف. — ماذا ترتدي؟ كيف هو مظهرها؟

ج. — لديها نوع من... قميص نوم.

الدكتورة ف. — هل تقول لك شيئاً؟

ج. [يبدو مندهشاً.] — لا.

الدكتورة ف. — كيف هو الشخص الآخر؟

ج. — يرتدي نوعاً من البدلة، بمظهر مميز جداً. لا أعرفه.

الدكتورة ف. — هل هما معك؟

ج. — نعم.

الدكتورة ف. — انظر ما إذا كنت تتلقى أي رسالة أو فكرة منهما.

ج. — هو أمسك بذراعي... لكنه لا يتحدث معي.

الدكتورة ف. — هل ينظر إليك؟

ج. — نعم.

الدكتورة ف. — وإلى أين يذهبان؟

ج. — هما... يقوداني وكأنهما يواسياني، ولكن... ليس بالكلمات. لكنني أعرف ما يقصدانه.

الدكتورة ف. — كيف تشعر داخلياً، الآن؟

ج. — أشعر أنني بخير. أشعر بـ... غياب الغضب.

الدكتورة ف. — هل تدرك أنك كنت تشعر بالغضب سابقاً؛ هل هذا ما تقصده؟

جـ. - نعم. طوال حياتي كنتُ مستاءً من الناس.

الدكتورة ف. - وأنت في هذه الحالة الروحية، أخبرني لِمَ كنتَ دائمًا مستاءً من الناس. سأطلب منك الإجابة بعد العدّ حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يتبادر إلى ذهنك؟

جـ. - إنهم يمرّون بالحياة وهم غير مستعدين على الإطلاق. إنهم ضعفاء جدًّا. [ضحكة قصيرة.] وقد قُتِلتُ أنا!

الدكتورة ف. - ما هي الأحداث التي سببت مشكلة نومك خلال حياتك تلك كـ"جو"؟ ما هي الأحداث الهامة التي ساهمت في ذلك أو سبّبته؟ قل ما يتبادر إلى ذهنك.

جـ. [صمت طويل.] - كان لا بد لي من القيام بمعظم نشاطي ليلًا، في حالة تأهب... كان هناك دائمًا شخص مستعد ليحقق لنفسه اسمًا.

الدكتورة ف. - بأي طريقة؟

جـ. - هم... لو تمكنوا من القول إنهم اغتالوني.

الدكتورة ف. - كان عليك أن تكون متيقظًا طوال الليل؟

جـ. - نعم.

الدكتورة ف. - هل تعتقد أن هجوم الهنود كان له علاقة بمشكلة نومك؟

جـ. - نعم، كان كذلك... لاحقوني لأيام... لم أستطع النوم ليلًا.

الدكتورة ف. - هل كنت تنام نهارًا؟

جـ. - لا.

الدكتورة ف. - ببساطة لم تكن تنام، أليس كذلك؟

جـ. - كنت أغفو، ولكن... ولكن فقط عندما كانوا بعيدين جدًّا عني. عندما كنت أصل إلى مكان مرتفع.

★ [انتقال من حالة التنويم - جو]

تحرّر "جو" من التنويم المغناطيسي، فبقي مذهولًا للحظات. ثم ابتسم ببطء قائلًا: «هناك بالفعل الكثير من أوجه التشابه!». انحنى من كرسيه نحوي، وشرح بلهفة: «لم أخبرك بهذا، ولكن الرماية... كانت، منذ طفولتي... رياضتي المفضلة». وأضاف مبتسمًا: «وأنا جيد جدًّا فيها!». عاد إلى مظهر جادّ، وشبك يديه أصبعًا بأصبع، ونظر إليهما في تأمل عميق. «أنا في الأساس شخص انطوائي. لا أسمح للناس بالاقتراب. أنا و"ديل" لدينا هذا الشيء المشترك. أعني، عندما كنت "ديل"، كنتُ كما أنا الآن». بدا خجولًا قليلًا عندما اعترف: «أنا بارع في اكتشاف نقاط ضعف الآخرين - يمكنني حتى تحديدها».

ابتسمتُ، عندما تذكرت أنه لفت انتباهي إلى خطأ - زلة لسان - كنت قد ارتكبتها خلال المحاضرة التي حضرها. أومأتُ موافقةً على أنه يبدو أنه يلتقط الأخطاء و"نقاط الضعف". قلت له: «كواجب منزلي، يا جو، دوِّنْ نقاط الضعف التي تراها في الآخرين. اكتشفت أنه بهذه الطريقة، يمكننا أن نتعلم الكثير عن ما نعتبره نقاط ضعف في أنفسنا». انتشرت على وجهه ابتسامة شبه مذنبة. «همم، ربما تكونين على حق».

عندما وقف للمغادرة، ألقى عليّ ابتسامة عريضة، وفي الوقت نفسه، هزّ رأسه ببطء، شبه مصدّق. «إذا كان كل هذا صحيحًا، فهو يفسّر حقًّا لِمَ أنا في حالة تأهب شديد كل ليلة. آمل أن يتغير هذا». رددت قائلة: «آمل ذلك أيضًا». بدا متحمّسًا.

بعد أسابيع قليلة، أخبرني "جو" عبر الهاتف بنتائج تراجعه إلى الحياة الماضية. في الليلة التي تلت جلستنا، غطّ في النوم على الفور ونام بعمق حتى الصباح. في الليلة التالية، روى لعائلته «القصة كاملة»، بكل التفاصيل المخيفة لحياته كـ"ديل شورت". عندما ذهب إلى الفراش، استعرض كل شيء في ذهنه وشعر بالفضول الشديد تجاه التفاصيل لدرجة أنه لم يستطع الاسترخاء بما يكفي لينام جيدًا. لكن، منذ ذلك الحين، كان ينام بعمق كل ليلة - دون حبوب.

كان مبتهجًا أيضًا لإخباري بأنه نجح في امتحان قانون الملكية الخاص به!

★ الفصل التاسع - «يُسمُّون ذلك تقبيلًا!»

لم يكن صوت الطفلة يتناسب مع وجهها المكسيكي الجميل ولكن الحزين. سيطرت عيناها السوداوان الضخمتان على وجهها. لم تضع أي مساحيق تجميل. كان شعرها الأسود، المموج جدًّا، مفروقًا من المنتصف ومربوطًا عند رقبتها برباط مطاطي. كانت تزيد ثلاثة عشر كيلوغرامًا عن وزنها وكانت ترتدي ملابس داكنة لإخفاء شكلها.

تنهدت "ماريا" البالغة من العمر ستة وأربعين عامًا: «انظري إليّ! أنا سمينة جدًّا لدرجة أنني لا أحتمل نفسي. أغضب من نفسي أكثر فأكثر. حياتي فوضى. تعلمين، لا يوجد شيء واحد فيّ أو في حياتي أحبه». قالت والدموع تملأ عينيها: «ليس لدي أحد. لم يكن لدي أحد قط. كنت متزوجة لسنوات - لكن ذلك لم يكن كافيًا. أطفالي جميلون. لكن ليس هذا ما أعنيه. لِمَ لا أستطيع أن أحب رجلًا؟ لقد استسلمت في النهاية». في هذه اللحظة، كانت قد غطت عينيها بيديها. بعد لحظات، استعادت رباطة جأشها قليلًا. حاولت مسح الدموع التي استمرت في السقوط، ثم تابعت: «منذ طفولتي كان الأمر هو نفسه دائمًا. اعتدت أن تكون لديّ مشاعر قوية. ثم أشعر بخيبة أمل، لسبب أو لآخر. أحيانًا أعتقد أنني أختلق الأسباب. لم ينجح الأمر أبدًا».

رأيت "ماريا" لست جلسات. أصبح واضحًا جدًّا بالنسبة لي أنها كانت تعاني - تعاني أكثر مما اعترفت به هي نفسها. اعتقدت أن مشاكلها كانت بسبب حقيقة أنه «ليس لديها أحد - ولأنها 'وحش'». أظهر عملنا السبب الحقيقي، وهو إنكار كامل لجانبها الجنسي.

انتهت أهم علاقتين في حياتها، مع زوجها "روبرت"، ولاحقًا مع عشيقها "ألفونسو"، بسبب عدم الاهتمام. كانت لديها لقاءات جنسية قصيرة جدًّا ومحمومة، تركتها أكثر اكتئابًا من ذي قبل. «لم أشعر قط بالإشباع الجنسي. يمكنني أن أشعر ببعض الإثارة في بداية التجربة الجنسية، ولكن بعد فترة قصيرة، لا أشعر بشيء. لدي شعور هائل بالإحباط والاكتئاب». انتهى بها الأمر إلى رؤية صراعها على أنه تقارب ورفض. كانت تتجنب الجنس لأنه كان مؤلمًا جسديًّا ومُهينًا. «لطالما شعرت بأنهم يستغلونني. حتى مع ألفونسو، شعرت بأنه يستغلني. أعلم أن هذا لا معنى له، ولكن هكذا شعرت». احمرّ وجهها وخفضت صوتها. «الجزء المريض من كل هذا هو أنني إذا لم أشعر بأنهم يستغلونني، والأسوأ من ذلك، إذا لم أتأذَّ جسديًّا، أشعر بأنني قد خُدِعت. هكذا كان الأمر حتى الآن».

إن عدم قدرتها على الاستمتاع بالجنس أضعف، وفي النهاية، دمر ليس فقط علاقاتها ولكن أيضًا تقديرها لذاتها. لقد تفاجأت بنقص الدفء والتسليم لديها أثناء ممارسة الجنس، لأنه في جميع الجوانب الأخرى من حياتها، كانت هذه صفات بارزة. خلال فترة المراهقة، كانت تدرك تمامًا الجانب الجنسي. «كنت خائفة من الرجال حتى الموت. كنت أعتقد أنهم جميعًا مستعدون للانقضاض عليّ». اكتشفنا أن جذور بعض مواقفها تجاه الجنس ونفسها، كامرأة، كانت في طفولتها، عندما ربّتها جدتها، التي كانت تتحدث ضد كل ما يتعلق بالجنس ورفضت بنشاط الأنوثة. لكن هذا لم يلامس سوى سطح الفهم الكامل لمشكلتها الرئيسية.

خلال إحدى جلساتنا، تحدثت "ماريا" عن إحباطاتها. كان موضوع شائع في حديثها هو الشعور بأنها لا شيء - لا قيمة لها، وغير مهمة. «لم أشعر أبدًا بأن أحدًا يأخذني على محمل الجدّ. لا يستمع إليّ الناس، لأن صوتي صوت طفلة». ابتسمت قليلًا، وروت عدة حوادث توضح هذا القول. ذات مرة، عندما كانت ترسل برقية، هنأتها عاملة الهاتف «على أن فتاة صغيرة كهذه تدبّرت أمرها جيدًا». في عدة مناسبات، طلبت عاملة الهاتف التحدث إلى شخص بالغ، يمكنه تفويض مكالمة على حساب المستلم. على الرغم من ضحكها، عند تذكر هذه الأحداث، كان لضحكتها نبرة أسف - شعور بالدونية والإحباط.

مشكلة أخرى ظهرت خلال عملنا المشترك كانت تمرد "ماريا". أصبح هذا التمرد مرئيًا بشكل متزايد، وهي تكافح للالتزام ببرنامج الحمية والتأمل الذي وضعناه خلال جلستنا الأولى. بدا التمرد أيضًا غير متوافق مع شخصيتها. لم يتناسب مع المسؤولية التي أدّت بها عملها مع الناس - مع ذكائها ونضجها الفائقين. كما قالت: «كل شيء في صراع؛ الوزن الذي أريد الوصول إليه، المشكلة التي أريد حلها؛ الاسترخاء الذي أريد أن أتعلمه من خلال التأمل». فكرتُ في هذين التناقضين: صوت الطفلة وتمردها. اعتبرتهما شيئين يمكننا فهمهما من خلال عملنا بالتنويم المغناطيسي.

خلال إحدى جلساتنا، وتحت التنويم المغناطيسي، أشار العقل الباطن لـ"ماريا" إلى أن مشاكلها المتعلقة بالجنس نشأت من حدث في حياة سابقة. بدا الموقع هو الجزيرة العربية. أعدتها إلى ذلك الحدث.

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث لك؟

م. - [صمت. تهز رأسها بالنفي.]

الدكتورة ف. - هل تقولين «لا» برأسك؟

م. - لا أحب ما أراه. [يصبح صوتها أكثر طفولية.]

الدكتورة ف. - قولي ما يتبادر إلى ذهنك.

م. - أنا مملوكة لشخص ما.

الدكتورة ف. - نعم؟

م. - أحضروني إلى غرفة. كان هناك الكثير من الرجال. يا إلهي! لا أريد أن أفعل هذا! [بدأت الدموع تتشكل.]

الدكتورة ف. - هل تعرفين مَن أنت؟

م. [تبكي.] - كأنني لا أحد تقريبًا.

الدكتورة ف. - كم عمرك تقريبًا؟

م. - تسع سنوات.

الدكتورة ف. - ما اسمك؟

م. - فيليبا؟... نعم، فيليبا.

الدكتورة ف. - ما هو بلدك، يا فيليبا؟

م. - لا أفهم ما تقصدين بـ«بلد».

الدكتورة ف. - لا يهم. أخبريني ما الذي يحدث، يا فيليبا. مَن أحضرك إلى الغرفة؟

م. - أرسلوني إلى هناك.

الدكتورة ف. - هل ذهبتِ وحدك؟

م. [تهز رأسها بالإيجاب.]

الدكتورة ف. - مَن أرسلك؟

م. - الذي يملكني.

الدكتورة ف. - مَن هو؟

م. - رجل قبيح.

الدكتورة ف - هل الرجال الآخرون أصدقاؤه؟

م. - لا... لا! ليسوا أصدقاء. إنهم مجرد رجال. أعتقد أنهم تجار... هو تاجر ما. لا أعرف ما يفعله.

الدكتورة ف. - كم عددهم؟

م. [تنظر حولها.] - أحد عشر.

الدكتورة ف. - هل تعرفين ما سيحدث؟

م. - ليست هذه هي المرة الأولى. [تشعر بالقلق.]

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث؟

م. [صمت.]

الدكتورة ف. - أخبريني ما الذي يحدث.

م. [تتمتم.] - لا أريد أن أعرف.

الدكتورة ف. - كوني هادئة ومسترخية. سأعدّ حتى خمسة. بعد كل رقم، ستشعرين بمزيد من الاسترخاء. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

م. [صمت طويل.] - لديّ حدس... وأفكر في أشياء... لكن الجميع يتصرفون كما لو أنني لا أفعل ذلك، كما لو أنني لست... أنا فقط مملوكة لشخص ما... ويمكنهم أن يرسلوني إلى هنا، ويمكنهم أن يرسلوني إلى هناك، «افعلي هذا، افعلي ذاك»... لا يعتقدون أن لدي حقوقًا. لكنني أعتقد ذلك.

الدكتورة ف. - أنتِ تعلمين أن لديك حقوقًا، لكنهم لا يعلمون.

م. - يقولون إنني لا أملك.

الدكتورة ف. - مَن هم؟

م. - كل هؤلاء الناس. الذي يملكني والناس الذين جاؤوا... إنهم يتصرفون كما لو أنني غير موجودة - أنا مجرد شيء.

الدكتورة ف. - ما هي أنواع المهام التي عليك القيام بها؟ هل تقومين بالأعمال المنزلية وأشياء من هذا القبيل؟

م. - ليس ذلك. ليس هذا هو الشيء السيئ. الجزء الجنسي هو السيئ... يمكنني أن أموت ولن يهتموا.

الدكتورة ف. - ألا تمثلين شيئًا بالنسبة لهم؟

م. - أنا ولدت... لا يهتمون.

الدكتورة ف. - كيف تمكن هذا الرجل من أن يصبح مالكك؟ أين والداك؟

م. - لا أتذكر. أنا هنا.

الدكتورة ف. - إن الجزء الجنسي هو ما يزعجك حقًا وليس العمل المنزلي، أليس كذلك؟

م. - لا أقوم بالكثير من الأعمال المنزلية.

الدكتورة ف. - ما الذي تفعلينه عادة؟

م. - أستيقظ في الصباح وأذهب إلى الطابق السفلي لأجد شيئًا لآكله... لا يوجد تدفئة، المنزل بارد دائمًا، أرضية حجرية... لا يتوقعون مني أن أفعل أي شيء، يطلبون مني فقط الابتعاد عن طريقهم.

الدكتورة ف. - مَن يقول لك ذلك؟

م. - النساء اللاتي يطبخن.

الدكتورة ف. - هل يعلمن أنهم يستغلونك جنسيًّا؟

م. - نعم. هذا هو السبب في وجودي هناك.

الدكتورة ف. - هل هذا أمر شائع في قريتك؟

م. - لا أعرف ما تعنيه بـ«شائع».

الدكتورة ف. - منذ متى وهم يستغلونك بهذه الطريقة؟

م. - منذ فترة طويلة.

الدكتورة ف. - منذ سنوات عديدة؟

م. - لا أعرف ما هي «السنوات»، لكن منذ وقت طويل.

الدكتورة ف. - هل كنتِ هناك عندما كنتِ صغيرة؟

م. - لا أتذكر مكانًا آخر.

الدكتورة ف. - هل أنتِ الآن مستعدة للدخول إلى تلك الغرفة وإخباري بما يحدث؟

م. [صمت طويل.]

الدكتورة ف. - من المهم جدًّا أن تعيشي هذا الحدث مرة أخرى، على الرغم من أنه ليس ممتعًا. المعرفة ستحررك. والآن أريدك أن تدخلي الغرفة وتخبريني بما يحدث.

م. [صمت طويل.]

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث؟

م. - أعرف ما يجب أن أفعله.

الدكتورة ف. - وما هو؟

م. - هناك الكثير من المشاعر.

الدكتورة ف. - ما هي هذه المشاعر؟

م. - إنه... إنه مُثير... [يضيء وجهها]... ومؤلم... [تجهم]... لكنني أشعر بشيء، ولكن في الوقت نفسه يجعلني أشعر بالسوء... وهو أنني لست حقيقية بالنسبة لهم.

الدكتورة ف. - أخبريني المزيد.

م. - لا أفهم جيدًا... هل يجب أن أخبرك؟ [تبكي.]

الدكتورة ف. - أعتقد أن ذلك سيساعدك كثيرًا.

م. - إنه مروع!

الدكتورة ف. - أنا متأكدة من ذلك.

م. [تنتحب.] - لا أعتقد أنك تريدين أن تعرفي.

الدكتورة ف. - أريد أن أساعدك. أعتقد أن معرفة ذلك سيساعدك كثيرًا.

م. - سأخبرك إذن. [تحاول مسح الدموع.] أذهب إلى كل رجل على حدة، هذا ما علّموني إياه. [بدأت تنتحب مرة أخرى.]

الدكتورة ف. - علّموها الذهاب إلى كل رجل على حدة...

م. - إنها مثل التحية؛ وأنا أحييهم.

الدكتورة ف. - بأي طريقة؟

م. - يجدون ذلك مضحكًا جدًّا. [مع احتقار على وجهها.]

الدكتورة ف. - هل هم يرتدون ملابس؟

م. - نعم.

الدكتورة ف. - هل أنتِ أيضًا ترتدين ملابس؟

م. - لديّ سترة بيضاء أرتديها خصيصًا لهذا الغرض. لا أرتدي شيئًا تحتها. أذهب إلى كل رجل على حدة وأخلع ملابسهم، ليس بالكامل و... ثم... [خفض صوتها]... يسمون ذلك تقبيلًا! يجدونه مضحكًا جدًّا!

الدكتورة ف. - ما هي مشاعرك تجاه ما عليك القيام به؟

م. - لدي بعض المتعة في ذلك، ولكن ليس بالطريقة التي يجبرونني على فعلها.

الدكتورة ف. - ما الذي تقصدينه بذلك؟

م. - لا أمانع في فعل ذلك، لكنهم لا يرون أنني إنسان... لا يهتمون بما أشعر به. لذلك، بينما أنا... أنا خائفة... أنا غاضبة منهم، لكنني أشعر بالسوء. ما أشعر به هو الغضب أيضًا... [تبتهج]... تعلمين، أعتقد أنني أعلم أنه ليس من الضروري أن أفعل هذا. يطلبون مني أن أفعله، لكن ليس من الضروري أن أفعله، ولذا، فأنا أفعله لأنني أريد ذلك. [صوت مليء بالدهشة.]

الدكتورة ف. - لقد نشأتِ على هذا النحو وتم تدريبك على فعل هذا، أليس كذلك؟ هذه أيضًا طريقة لجذب انتباههم إليك. هل فكرتِ في هذا من قبل؟

م. - لا.

الدكتورة ف. - هل يلتفتون إليكِ في ظروف أخرى؟

م. - يطلبون مني فقط عدم إعاقة طريقهم... حتى يطلبوا حضوري.

الدكتورة ف. - هل مالكك موجود أيضًا هنا، مع الرجال الآخرين؟

م. - نعم. و، طوال الوقت الذي أفعل فيه هذا، أفكر فيهم... وأعتقد أنني أستمتع بهذا، وهم لا يعلمون أنني أستمتع، ولذلك... كأنني أخدعهم... لأنه لا ينبغي أن أشعر بأي شيء. يجب أن أكون مجرد شيء. ولذلك، أعتقد أنهم يعتقدون أنني لا شيء، لكنني أخدعهم!... هكذا أشعر أحيانًا، كأنني أستطيع أن أضحك عليهم. ولكن، مع ذلك، هذه المشاعر الغريبة... مثل الآن، كل ما أشعر به هو أنهم أغبياء!

الدكتورة ف. - أخبريني ما الذي يحدث أيضًا.

م. - تعلمين، أشعر بتحسن عندما أعتقد أنهم أغبياء. لأنه إذا لم أشعر بأنهم أغبياء... عندها، أشعر بأنني لا شيء... وأنهم يستغلونني.

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث بعد التحية؟

م. - هذه المرة لن أفعل ما يريدونه عادة. [بتحدّ.]

الدكتورة ف. - وما هو؟

م. - هذه المرة سأضحك عليهم. [تلقي الكلمات.] هذه المرة سأقول لهم إنهم أغبياء.

الدكتورة ف. - تابعي.

م. - هذه هي اللحظة التي أشعر فيها بالتحسن، لأنني أعلم أنه ليس عليّ أن أفعل هذا بعد الآن. لست مجبرة... والآن لا أريد... ولن أفعل. [تتمتم.]

الدكتورة ف. - كيف كانت ردود فعلهم؟

م. [تضحك.] - مالكي غاضب.

الدكتورة ف. - أنتِ تبتسمين.

م. - نعم. إنه غاضب، لأنه يبدو أحمق أمام... هؤلاء الرجال... وسأريه. وأعتقد أنني اكتفيت!

الدكتورة ف. - عادة، ما الذي يجبرونك على فعله؟

م. - يقومون بألعابهم، عندما يطلبون حضوري و... وأحيّيهم، وهو ما يسميه هؤلاء الأغبياء «تقبيل». أيها الخنازير العجوزة!... [يهتز صوتها بالعاطفة.] وبعد ذلك يضعونني على الطاولة، في منتصف الغرفة ويفعلون كل ما يريدون... واحدًا تلو الآخر... والآخرون يقفون حولهم... يشاهدون.

الدكتورة ف. - إذن، هذه المرة، لن تفعلي ذلك؟

م. - لا، لأنهم لا يستطيعون إجباري.

الدكتورة ف. - ما الذي يفعله أو يقوله مالكك؟

م. - إنه غاضب جدًّا... لا أهتم... أعتقد أنه سيقتلني... لكنني لا أهتم... أفضل ذلك. يجب أن أفعل ذلك.

الدكتورة ف. - ما الذي يجعلك تعتقدين أنه سيقتلك، أو أنه يعتزم قتلك؟

م. - أنا لا أفعل ما يريد، وهذا هو الشيء الوحيد الذي أفعله. أنا لا أفعل أي شيء آخر.

الدكتورة ف. - تبدين سعيدة وراضية جدًّا؟

م. - هكذا أشعر... ليس عليّ أن أفعل هذا. لا أريد، وأقصى ما يمكنه فعله هو قتلي. لا يمكنه إيذائي أكثر... أخبرني أنني لست شخصًا، أنني غير موجودة. هم لا... لم يقولوا ذلك، تعلمين، ولكن هذا ما... إنه في مواقفهم. ولذا، فأنا أقول فقط إن هذا ليس صحيحًا.

الدكتورة ف. - أخبريني بما تقولين له. قولي لي كلماتها بالضبط.

م. - أقف على الطاولة وأقول: «أنتم جميعًا أغبياء! تعتقدون أنني لا أملك مشاعر. تعتقدون أنني مجرد شيء، مثل الطاولة، وأن الأشخاص الوحيدين المهمين هم أنتم، وما تفكرون فيه وما تشعرون به... أنتم مهتمون بما يفكر فيكم الآخرون، الرجال الآخرون، أكثر مما تهتمون بما أفكر به أنا. وطوال الوقت، أنا أفكر؛ وأفكر في مدى غبائكم، ومدى حماقتكم، ومدى قبحكم؛ لأنني أنا التي أستغلكم، لا أعتقد أنكم تفكرون حتى». [خفض صوتها.] يعتقدون أنني جننت.

الدكتورة ف. - كيف تعرفين ذلك؟ ماذا يقولون؟

م. - يتحدثون عني.

الدكتورة ف. - ماذا يقولون عنك؟

م. - ينظرون إلى بعضهم البعض ويقولون: «لقد جُنّت!»

الدكتورة ف. - ماذا يقول مالكك؟

م. - قال فقط: «لا يهم. هناك غيرها». الآن لم أعد أشعر بالتحسن، لأن هناك غيرها... هذا يعني أن فتاة أخرى سيتعين عليها فعل هذا.

الدكتورة ف. - هل هذا ما يثير قلقك، أم يثير قلقك حقيقة أنك لست الوحيدة؟

م. [صوتها متردد بسبب الحزن.] - ربما. لقد طردوني للتو. إذن خسرت في النهاية. لا أهتم.

الدكتورة ف. - هل خسرتِ حقًّا؟ لقد دافعتِ عن حقوقكِ ولم تفعلي ما لم ترغبي في فعله، أليس كذلك؟ لا يبدو لي أن هذه هزيمة.

م. - نعم، ولكن، كما تعلمين، لا يهمهم ما إذا حصلوا على ذلك مني أو من شخص آخر. لم يستمعوا إلى ما قلته لهم... تعلمين، أعتقد أنني عجوز، لأنني أحيانًا أتساءل كيف فكرت بهذه الطريقة.

الدكتورة ف. - تشعرين بأنكِ عجوز بكل حكمتكِ؛ هل هذا ما تقصدينه؟

م. - كيف تمكنتُ من التفكير بهذه الطريقة؟ إنهم أكبر مني.

الدكتورة ف. - لكن، في الداخل، هل تشعرين بأنكِ أكبر منهم؟

م. [تهز رأسها بالإيجاب.]

الدكتورة ف. - ما الذي حدث بعد أن وقفتِ على الطاولة؟ هل نزلتِ إلى الأرض؟

م. - يقول الرجل العجوز: «اخرجي!» وأعتقد: «هل يمكن أن يكون الأمر بهذه البساطة؟» أعتقد أنهم خائفون مني. والآن أنا خائفة، لأن... ما الذي سأفعله الآن؟

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث بعد ذلك؟

م. - لا يسمحون لي بالبقاء في المنزل بعد الآن. [يبدأ جسدها كله في الارتجاف.]

الدكتورة ف. - مَن هم «هنّ»؟

م. - النساء.

م. - أعتقد أنهن خائفات. يعتقدن أنني مجنونة. ربما أنا كذلك.

الدكتورة ف. - لا تبدين لي مجنونة. تبدين لي فقط فتاة دافعت عن حقوقها ولم ترغب في أن تُعتبر صفرًا، شيئًا.

م. - ألا أبدو عجوزًا؟

الدكتورة ف. - تبدين كذلك. ربما لديك حكمة داخلية، لكن هذا لا يجعلك مجنونة. الآن أودّ منك أن تستمري، حتى الحدث الهام التالي. سأعدّ حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

م. [صمت طويل.]

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث؟

م. [تبتسم.] - أنا لست ميتة وأنا مندهشة.

الدكتورة ف. - أين أنتِ؟

م. - لا أعرف. لم أغادر المنزل أبدًا.

الدكتورة ف. - انظري حولك وصفي ما ترينه.

م. - أعتقد أنني خرجت وجلست على جدار أبيض. أنا جالسة هناك، ورأسي بين يديّ؛ أنا فقط جالسة هناك. اعتقدت أنهم سيقتلونني ولم يفعلوا... فقط جالسة و... و ما أفكر فيه الآن... [تتراجع]... شخص ما جاء من خلفي و... و قطع رأسي!

الدكتورة ف. - إذن لقد قُتلتِ في النهاية، لكنكِ لم تدركي ذلك؛ أليس كذلك؟

م. - أستطيع أن أشعر... [تضع يدها خلف عنقها.]

الدكتورة ف. - أخبريني بما رأيتِ.

م. - أنا جالسة هناك و... وفي الوقت نفسه أنا خارجة من هناك و... أستطيع أن أرى. الفتاة لم تعلم أبدًا، لكن شخصًا ما جاء من خلفها، وبسكين ضخمة، قطع رأسها. هي لم تعلم أبدًا... هي لا تزال تعتقد أنها تفكر.

الدكتورة ف. - أودّ أن تعودي إلى الحاضر، يا "ماريا"... مع البقاء مسترخية بعمق. عندما أصل إلى الصفر ستعودين إلى أيلول من عام 1976. عشرة... تسعة... ثمانية... سبعة... ستة... خمسة... أربعة... ثلاثة... اثنان... واحد. تحدثي معي عن الفتاة. كيف كانت حياتها؟

م. - حسنًا، لقد كانت حياة فارغة جدًّا. لم يكن هناك الكثير لتفعله. في الواقع، لم يكن لديها أي شيء لتفعله، لم تكن لديها مهام، تعلمين. لم يكونوا بحاجة إليها للخياطة أو لأي شيء آخر. كانت موجودة فحسب... كأنها... كدمية، أو قطة صغيرة، ليس لديها ما تفعله. كل عملها هو أن تكون موجودة، في حال أراد أحدهم اللعب معها. وهكذا كان الأمر. جميع النساء كنّ يطعمنها، لكنهن كنّ يقلن لها: «ابعدي عن طريقي!»

الدكتورة ف. - وماذا حدث لها في النهاية؟

م. - حسنًا، كانت تفكر في كيف تمكنت من الخروج من تلك الغرفة، لأنها كانت متأكدة من أنها ستُقتل... ثم خرجت، جلست وكانت تفكر، كان من المفترض أن أموت و... ثم، يمكنني تقريبًا رؤيتها، جالسة هناك، لا تزال تفكر؛ ثم ظهر شخص ما خلفها وقطع رأسها.

عندما خرجت من التنويم المغناطيسي، بدأت تبكي بهدوء. استغرقت بضع دقائق لتستعيد رباطة جأشها. بعد أن مسحت دموعها بمنديل ورقي، نظرت إليّ، وبصوت لا يزال متأثرًا، قالت: «يا له من شيء حزين كنتُ». واصلت، وهي ترتجف: «لقد كانوا رجالًا قبيحين جدًّا. لا عجب أنني لست منفتحة جدًّا». وقفت للمغادرة. ثم استدارت إليّ: «شكرًا لك على كل شيء. لم أكن لأعرف أبدًا. وأنا بحاجة إلى المعرفة».

عندما عادت "ماريا" إلى الجلسة التالية، بدت أخف وأكثر سعادة. ومع ذلك، تغير مزاجها بسرعة، عندما انغمست في التأمل. كانت تتذكر تراجعها إلى حياة "فيليبا". قالت: «ما زلت أشعر وكأنني تلك الفتاة. الآن، أعلم داخليًّا لِمَ قمعت كل حياتي الجنسية. لا عجب أنني لا أستطيع الاستسلام. أفهم لِمَ كنت أرى الرجال ككائنات شهوانية». عرفت الآن أيضًا لِمَ كانت بحاجة وتكره الألم في آن واحد، والاستغلال والإهانة. شعرت بتمرد "فيليبا"، وكان هذا هو الشعور نفسه الذي كان يصاحبها عندما كان عليها أن تفعل شيئًا ما. شعرنا كلتانا أن صوتها الطفولي كان بقايا لـ"فيليبا"، يرمز إلى التأثير القوي الذي كان لذلك الجزء منها على كيانها كله.

تحت التنويم المغناطيسي، أشار العقل الباطن لـ"ماريا"، من خلال إشارات أصابعها، إلى أنها خاضت العديد من التجسدات كـامرأة. كشفت أنها لم تشعر بالإشباع الجنسي أبدًا، بعد حياتها في الانحطاط الجنسي كـ"فيليبا". بينما كانت لا تزال منومة مغناطيسيًا بعمق، تراجعت إلى حياة كراهبة وإلى حياة أخرى كطبيبة في أريزونا. في كلتيهما كرّست نفسها للحياة الروحية ولشفاء المرضى. ومع ذلك، حتى في حياتها كراهبة، كان للحب والتجربة الجنسية دور في مأساة. أعدتها إلى تلك الحياة. أصبحت متوترة وقالت:

م. - أنا في يوكاتان... لا ينبغي أن أحبه.

الدكتورة ف. - لِمَ؟

م. - لأنني كنت راهبة ولا يمكنني أن أؤمن بالحب. كان عليّ أن أفعل شيئًا آخر أكثر أهمية و... ووجوده كان يزعجني باستمرار.

الدكتورة ف. - مَن كان؟

م. [مضطربة جدًّا، تتنفس بصعوبة.] - جندي. [تدير رأسها إلى الجانب، كأنها ترى شخصًا.] إنه يكذب عندما يقول إنه يحبني!... [تستدير إليّ مرة أخرى.] أحببته واستمر في المجيء... وأعتقد أن شخصًا ما اكتشف... أعتقد أنه لا بد أنه قتلنا. [تغطي عينيها بيديها.]

الدكتورة ف. - هل قُتلتِ بسبب حبك له؟

م. - لا. [مضطربة جدًّا.]

الدكتورة ف. - هل مارستِ معه الجنس؟

م. - أوه! لا أشعر أنني بخير!... مارستُ معه الجنس... لأنه أقنعني!

الدكتورة ف. - هل قُتلتِ بسبب تلك العلاقات؟

م. [تتدفق الدموع على وجهها.] - نعم... ألقونا في تلك البحيرة. [تشير.]

عملتُ "ماريا" وجدًّا معًا لجلستين أخريين. لا يزال صوت الطفلة معنا. بدأت الكيلوغرامات تختفي مع الحمية. ليس الأمر سهلًا بالنسبة لها، لأن الطعام المكسيكي جزء من حياتها. ومع ذلك، فهي تتعلم الاهتمام بالسعرات الحرارية والتغذية الجيدة، لأول مرة في حياتها. لم تعد تأكل بسبب القلق أو الملل أو الاكتئاب - ولكن لأنها تستمتع بالطعام.

"ماريا" الآن شخص سعيد. إنها مليئة بالطاقة ولديها العديد من المشاريع الجديدة. الشيء الأكثر إثارة هو رحلة إلى أريزونا. «أشعر بأنني مدفوعة للذهاب إلى هناك. هل تعتقدين أنني سأشعر وكأنني في بيتي؟»، سألت. مشروع آخر هو تغيير مظهرها. إنها تبحث عن مصفف شعر جيد، لأنها تريد أن تقص شعرها قصيرًا جدًّا - لتسليط الضوء على تجعيداتها. وفي الآونة الأخيرة، كانت تضع مساحيق تجميل خفيفة.

تحلم الآن بظهور «الأمير الساحر». لديها آمال - أحلام. لقد حررت "ماريا" نفسها من ذكريات اللاوعي، القديمة التي تعود إلى قرون، والتي سلبتها حقها الطبيعي - الحق في التعبير الجنسي.

★ الفصل العاشر - «كلفتني حياتي!»

«منذ أن أتذكر وأنا أواجه صعوبة في اتخاذ القرارات». كان "روجر" مُحرَجًا. كان صوته ناعمًا ومترددًا. «لا يهم؛ سواء كانت قرارات تافهة أو مهمة، فالتفكير فيها دائمًا ما يمثل عذابًا».

كان "روجر" رجلًا جذابًا وطويلًا، بشعر داكن، يبلغ من العمر حوالي خمسة وثلاثين عامًا. كانت الملابس التي يرتديها مستوردة بوضوح وذات جودة ممتازة: سراويل فرنسية بنية، أنيقة المظهر، قميص منقوش أنيق وأحذية طويلة مصقولة جيدًا. حتى ماء الكولونيا الخاص به يوحي بلمسة فرنسية. تغيرت عيناه البنيتان تعبيراتهما باستمرار، وهو يصف نفسه بأنه رجل متردد باستمرار - وغالبًا ما يكون مشلولًا تمامًا. «أنا مندفع؛ بهذه الطريقة، أجبر نفسي على التصرف، وأحيانًا - لا، في كثير من الأحيان - بقلة حكمة». قدم أمثلة لا حصر لها عن جميع أنواع القرارات التي أصبحت عقبات لا يمكن تجاوزها. جسده، وكلماته، عبّروا عن الإحباط، اليأس، الانزعاج، الارتباك والغضب - وكلها موجهة ضد نفسه. تنهد بعمق وهو يشرح أن مشكلته كانت السبب الرئيسي لاستمراره في زواج فاشل، لأكثر من عقد من الزمان. في النهاية تحرّر منه. لكن شخصًا آخر اتخذ القرار نيابة عنه. الآن، كان أكبر قلق له هو ما إذا كان يجب عليه قطع مسيرة مهنية استمرت ثلاثة عشر عامًا، كأستاذ جامعي، لبدء مسيرة أخرى، كمخرج أفلام.

بلهجة واقعية، واصل وصف نفسه. لم يتناسب تردده مع كل خصائصه الأخرى. عندما كان يفعل شيئًا، كان يفعله جيدًا. كانت فصوله من بين الأكثر شعبية؛ كان رأي الطلاب فيه إيجابيًا للغاية. الأفلام القليلة التي أنتجها حظيت بإشادة كبيرة من زملائه المخرجين. كان ممتازًا في أي مشروع أو موضوع يكرس نفسه له.

جاء إليّ لأن التنويم المغناطيسي كان ملاذه الأخير. لقد خاض العديد من أنواع العلاج، من علاج "رايش" إلى التحليل التبادلي - وحتى مجموعات الماراثون. «يمكن للتنويم المغناطيسي أن يكشف أي شيء على مستوى اللاوعي». وافقتُ: «وفي هذه الحالة، يمكن أن يساعدك على التعامل مع مشكلة، واتخاذ قرار إيجابي والتصرف وفقًا له». ابتسم "روجر" وقال: «قد أتخلص من آلام رأسي ومشاكل ظهري. هذا لن يكون سيئًا على الإطلاق!».

أثبت "روجر" أنه خاضع ممتاز للتنويم المغناطيسي. استرخى جسده بالكامل عندما أغلق عينيه. أصبح تنفسه بطيئًا ومنتظمًا. أطلق إشارات أصابع واضحة وسريعة، دون صعوبة. أظهر لنا عقله الباطن أن هناك ستة أحداث، في ست حيوات سابقة، مسؤولة عن مشكلته.

طلبتُ من عقله الباطن، على هذا المستوى، أن يعدّه لرؤية تلك الأحداث في اجتماعنا التالي. قبل وقت قصير من نهاية الجلسة الأولى، شعر بالرضا الشديد وهتف بحماس: «إذا حللت هذه المشكلة، فلن يوقفني شيء آخر!».

بعد حوالي عشرة أيام، جاء "روجر" لموعده. وصل قبل عشر دقائق جيدة. بعد الانتظار، دخل الغرفة، واستقر بسرعة في الكرسي المائل. ابتسم وقال: «أنا جاهز. آمل أن ينجح الأمر».

أغلق جفنيه وبدأ التركيز على تنفسه. دارت عيناه. ارتجفت جفناه. كان بالفعل في غيبوبة. عمّقتُ غيبوبته وتقدمتُ إلى التراجع. اقترحتُ على عقله الباطن أن يأخذه إلى أحد الأحداث الستة الماضية المسؤولة عن مشكلته. جعلته يتراجع في الزمن وسألته عما كان يحدث.

ر. - [متردّدًا.] - كنتُ في... كرنفال.

الدكتورة ف. - هل ما زلت هناك؟

ر. - لا.

الدكتورة ف. - ما الذي يمكنك إدراكه؟

ر. - لست متأكدًا مما إذا كان كرنفالًا. إنه شيء كبير.

الدكتورة ف. - حدثني عن ذلك. صفه.

ر. - ربما بطولة.

الدكتورة ف. - أودّ أن تعود إلى هناك. سأعدّ من واحد إلى ثلاثة، وستعود. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي تشعر به؟

ر. - ارتباك.

الدكتورة ف. - ستتلقى انطباعات حقيقية جدًّا، بعد العدّ حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. والآن، ما الذي يحدث؟

ر. - حسنًا، كانت... خيام ملونة كثيرة... بعض الخيام الملونة، و... عشب مع ناس... يتجولون.

الدكتورة ف. - كيف يرتدي الناس ملابسهم؟

ر. - بعضهم يرتدون ملابس أنيقة، والبعض الآخر لا.

الدكتورة ف. - ما هو نمط ملابسهم؟

ر. - حسنًا، بعضهم يبدون كرهبان، ملفوفون في... نوع من العباءة البنية ذات القلنسوة، والبعض الآخر يرتدون نوعًا من السراويل، فاتحة اللون، ولديهم تيجان وأوسمة ملونة جدًّا؛ وآخرون يرتدون ملابس عادية جدًّا، مصنوعة من أقمشة خشنة، وصوف مصنوع يدويًّا وما إلى ذلك.

الدكتورة ف. - ما هو الحدث؟

ر. - أعتقد... نعم، إنها بطولة.

الدكتورة ف. - هل يمكنك رؤية الأشخاص الذين يتنافسون؟

ر. - همم... لا، لا يمكنني الآن.

الدكتورة ف. - هل انتهى؟ هل هذا هو السبب في أنك لا تستطيع الرؤية؟

ر. - حسنًا، آه... لدي شعور بأنني سأدخل... وعليّ أن أختار واحدًا... بين... بين عصا بها... كرة، سلسلة وفأس.

الدكتورة ف. - أيّها ستختار؟ أي من هذه الأشياء تستخدم عادة؟

ر. - عادة ما أستخدم العصا ذات الكرة والسلسلة ذات الكرة المدببة... لكنني أعتقد أنني اخترت الفأس.

الدكتورة ف. - ما الذي جعلك تقرر استخدام الفأس؟

ر. - اعتقدت أنه سيكون الأفضل.

الدكتورة ف. - هل تم الاختيار بالفعل؟

ر. - نعم.

الدكتورة ف. - أين أنت في هذه اللحظة؟

ر. - أنا في الخيمة، في انتظار دوري، آه... دوري. [يهتز صوته.]

الدكتورة ف. - ما الذي تفعله؟

ر. - أنا أنتظر فحسب.

الدكتورة ف. - هل أنت واقف أم جالس؟

ر. - أنا جالس وأنا على... أنا جالس على حصان وبدرعي.

الدكتورة ف. - حدثني عن نفسك. كم عمرك؟

ر. - تسعة عشر عامًا.

الدكتورة ف. - ما اسمك؟

ر. - ويليام.

الدكتورة ف. - ما هو اسم عائلتك، يا ويليام؟

ر. - أعتقد أنه ويليام أور.

الدكتورة ف. - هل أور هي المدينة التي تعيش فيها، يا ويليام؟

ر. - أعتقد أنه الحي... أو شيء من هذا القبيل.

الدكتورة ف. - هل تحب البطولات؟

ر. - نعم، أحبها.

الدكتورة ف. - ما الذي يتم الاحتفال به؟

ر. - إنها... إنها لأجل... إنها نوع من المسابقات لتصبح فارسًا.

الدكتورة ف. - أفهم. ما هو المعنى الذي سيكون لك، أن تصبح فارسًا؟

ر. - [بفخر.] - سأمنح لشرف خدمة ملكي.

الدكتورة ف. - مَن هو ملكك؟

ر. - هنري؛ إنه الملك هنري ملك إنجلترا.

الدكتورة ف. - أي عام هو، يا ويليام؟

ر. - ألف وأربعمائة... أعتقد أنه 1486. [بالنظر إلى تاريخ إنجلترا، سيكون هنري السابع.]

الدكتورة ف. - كيف تشعر وأنت تنتظر هناك، يا ويليام؟

ر. [تتشكل قطرات العرق على وجهه.] - أنا... أنا متوتر قليلًا.

الدكتورة ف. - هل يمكنك وصف توترك لي؟ ما الذي يحدث لك؟

ر. - معدتي... أشعر بمعدتي، إنها... إنها... تبدو كـ... كـ... إنها تقفز و... حارة جدًّا... وأشعر وكأنني... كأنني سأتقيأ.

الدكتورة ف. - هل شعرت بهذه الأحاسيس من قبل؟

ر. - إنها حارة من الداخل.

الدكتورة ف. - هل الجو حار داخل جسدك؟

ر. - في معدتي.

الدكتورة ف. - كيف تشعر بالدرع على جسدك؟

ر. - يعطي شعورًا جيدًا بالأمان.

الدكتورة ف. - ما الذي ترتديه على رأسك؟

ر. [يلمس رأسه.] - لدي خوذة.

الدكتورة ف. - هل هناك أي جزء من جسدك مكشوف، يمكن أن يصيبه خصمك؟

ر. - حسنًا، يمكنه أن يخترق في أي مكان.

الدكتورة ف. - هل يمكنه اختراق الدرع؟

ر. - بحربة.

الدكتورة ف. - هل تعرف ما هو السلاح الذي سيستخدمه خصمك؟

ر. - أعتقد أنه سيكون لديه... [تنهيدة عميقة.] لدينا نفس السلاح كلانا. حربة وسلاح آخر.

الدكتورة ف. - ما هي قواعد البطولة؟ إذا اخترت السلاح الآخر، الفأس، فهل يجب على خصمك أيضًا استخدام الفأس؟

ر. - لست متأكدًا... أعتقد ذلك.

الدكتورة ف. - سأعدّ من واحد إلى ثلاثة؛ عندما أنتهي، ستعرف كل شيء عن قواعد البطولة. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يتبادر إلى ذهنك؟

ر. [بثقة.] - إذا كان لدي فأس، فسيأخذ هو العصا والعكس صحيح.

الدكتورة ف. - مَن يقوم بالاختيار الأول؟ كيف يتم اتخاذ القرار؟

ر. - نسحب عيدانًا صغيرة.

الدكتورة ف. - تابع.

ر. - الذي يسحب الأطول يختار.

الدكتورة ف. - في هذه الحالة، مَن حصل على الأطول؟

ر. - كنتُ أنا.

الدكتورة ف. - هل أنت راضٍ عن ذلك؟ هل من المهم أن تكون لديك القدرة على اتخاذ القرار؟

ر. - قد... قد يكون.

الدكتورة ف. - الآن، بينما تنتظر، حدثني عن نفسك، يا ويليام. هل تعيش مع عائلتك؟

ر. - يعيشون في مزرعة وأنا أعيش في المدينة.

الدكتورة ف. - أتعيش وحيداً أم مع شخص آخر؟

ر. - لقد مُنحتُ لأجل خدمة سيدي.

الدكتورة ف. - وما رأيك في ذلك؟

ر. - أنا فخور بكوني مُختَاراً.

الدكتورة ف. - هل كان هناك الكثير من الشبان المرشحين؟

ر. - ليسوا بنفس قوتي ولا ضخامتي. [قالها بفخر واضح وابتسامة.]

الدكتورة ف. - كم يبلغ طولك؟

ر. - [صمت.]

الدكتورة ف. - أتعرف كم يبلغ طولك؟

ر. - ثلاثة أعواد، أو ما شابه ذلك.

الدكتورة ف. - سأعد من واحد إلى ثلاثة، وحينها ستعرف. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

ر. - إنهم يقيسوننا بالأعواد... عود واحد. لا أدري ما هذا، ولكنه عود، وطولي ثلاثة أعواد.

الدكتورة ف. - هل أنت أطول بكثير من غالبية الناس؟

ر. - همم. نعم. أنا أطول منهم برأس تقريباً.

الدكتورة ف. - كيف يبدو جسدك؟

ر. - أنا... أنا طويل و... و... ومفتول العضلات، ولكني لست سميناً.

الدكتورة ف. - حسناً. الآن سأطلب منك أن تتقدم إلى الحدث الهام التالي، بعد العد إلى خمسة. دع تلك الذكريات تتلاشى. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي يخطر ببالك؟

ر. - أنا على المَنحَدَر.

الدكتورة ف. - أخبرني بما تشعر به.

ر. - أشعر بحرارة... عصبية، في جسدي كله.

الدكتورة ف. - بمَ تفكر؟

ر. - [يفرك يديه بعصبية.] أريد فقط أن أنهي هذا! أريد فقط أن أفوز!

الدكتورة ف. - الآن سأعد من واحد إلى ثلاثة، وعندما أصل إلى ثلاثة، ستجد نفسك في الحدث الهام التالي. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

ر. - [يهتز جسده بعنف.] لقد أُسقطتُ عن حصاني برمْح خصمي.

الدكتورة ف. - أين أنت الآن؟

ر. - أنا في... في... في العشب.

الدكتورة ف. - هل أنت واقف أم ممدد على الأرض؟

ر. - لا، أنا... نهضتُ.

الدكتورة ف. - وماذا يحدث الآن؟

ر. - هو لا يزال راكباً.

الدكتورة ف. - بماذا تشعر؟

ر. - آه... أشعر بالخجل أكثر من الخوف، ولكن... [صمت طويل، يصبح صوته ثقيلاً]... أنا مشوش الذهن بعض الشيء.

الدكتورة ف. - بسبب طريقة سقوطك؟

ر. - أظن أن معدتي مصابة.

الدكتورة ف. - وماذا يحدث الآن؟

ر. - إنه... يحاول أن يتمركز خلفي... يدور في حركات دائرية ورائي و... ويهاجمني بعوده.

الدكتورة ف. - هل هو لا يزال راكباً؟

ر. - نعم، يمكنه التحرك أسرع مني... وأنا أحاول أن أُبعده عني.

الدكتورة ف. - ما الذي يفعله الآن؟ صف لي الأمر فحسب.

ر. - لا يزال يدور محاولاً التمركز خلفي.

الدكتورة ف. - هل أنت واقف؟

ر. - جزئياً.

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث الآن؟

ر. - لا يزال يطوقني، ثم يهاجم من الخلف و... [يميل بسرعة إلى أحد الجانبين]... يضربني بعوده. أحاول أن أصيبه ببلطتي، ولكنه على حصانه ويصعب ضربه بالبلطة.

الدكتورة ف. - لو كنت قد اخترت سلاحاً آخر، فماذا كانت ستكون النتيجة؟

ر. - ربما كنت قد تمكنت من إسقاطه... ربما كنت قد تمكنت من إزاحته عن حصانه بـ... بلفها حول عنقه.

الدكتورة ف. - ما هو رأيك الآن في اختيارك للسلاح؟

ر. - كان العود ليناسبني بصورة أفضل.

الدكتورة ف. - هل تشعر أنك ارتكبت خطأً في الاختيار؟

ر. - [يهز رأسه.] لقد ارتكبت خطأً فادحاً في الاختيار.

الدكتورة ف. - ما الذي تفعله الآن؟

ر. - أظن أنه أسقطني بالحصان و... وضربني بـ... ضربني على رأسي بـ... بـ... بعوده. [يعتري وجهه تعبير الألم.]

الدكتورة ف. - أين أنت؟

ر. - [صوته يتلاشى.] أنا ممدد على العشب.

الدكتورة ف. - بماذا تشعر؟

ر. - [صمت.]

الدكتورة ف. - ما الذي يمكنك أن تدركه؟

ر. - لا أشعر بشيء... فقط نوع من الحرارة و... يبدو كأنه دم... دم أحمر، دم دافئ، يتدفق في جسدي... وأنا... في نوع من... رأيت ضوءاً أبيض و... يبدو أنني غادرت، أطفو.

بما أنه لم يبد عليه التعب من عملنا، طلبت من لا وعيه أن يأخذه إلى حدث آخر كنا بحاجة لتحليله. بعد مقاومة أولية معينة، علّق قائلاً: "لقد خطرت لي كلمة (ألمانيا)". وذكر شعوراً بـ "الانزعاج" على طول عموده الفقري. واجهنا مزيداً من المقاومة، وتقدمنا أخيراً. بعد صمت طويل، قال:

ر. - أرى، آه... زيّاً ألمانياً، آه... زيَّ ضباط... ولدي انطباع بأنني كنتُ كولونيلاً في قوات الحماية.

الدكتورة ف. - ما اسمك؟

ر. - [صمت.]

الدكتورة ف. - قل ما يخطر ببالك، عندما أعد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ر. - لدي شعور بأنه "كارل".

الدكتورة ف. - كارل، ما هو اسم عائلتك؟

الدكتورة ف. - ما الذي تفعله في هذه اللحظة يا كارل؟

ر. - [صمت طويل.] أظن أنني... أُشْنَق!

الدكتورة ف. - هل تُشنَق؟

ر. - لقد شُنقت بخيط.

الدكتورة ف. - حدثني عن ذلك.

ر. - أستطيع أن أشعر به... يضغط على عنقي. [يضع يديه على عنقه.]

الدكتورة ف. - هل كان ذلك عرضياً؟

ر. - لا.

الدكتورة ف. - استمر. بماذا تشعر؟

ر. - [يتنهد بعمق.] آه... أنا... أنا... كنتُ موضع شك في أنني غير موالٍ لـ (هتلر)... وضربوني... ثم عذبوني... جردوني من ملابسي وشنقوني... علقوني من رقبتي بخيط... والتقطوا لي صوراً.

الدكتورة ف. - لماذا التقطوا لك صوراً؟

ر. - لتكون عبرة للآخرين... آه... أُجبر رجالي على مشاهدة شنقي... [يصبح مضطرباً.]

الدكتورة ف. - ابقَ هادئاً ومسترخياً... هادئاً ومسترخياً جداً. أخبرني بما تشعر به.

ر. - [يهدأ قليلاً.] حسناً، كنتُ أشعر بكل كراهيتي للدرجة العالية من البيروقراطية ولـ... للساسة في الجيش الألماني... و، آه... كنتُ أشعر أنه لا يمكن للمرء أن يكون ألمانياً ما لم يكن جندياً... صالحاً، ضمن هذا الهيكل.

الدكتورة ف. - الآن، دع تلك الذكريات تتلاشى. ركز فقط على تنفسك. لا وعيك سيأخذك إلى الحدث المسؤول عن مشكلتك في حياتك الحالية. سأعد من واحد إلى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي يخطر ببالك؟

ر. - أنا في اجتماع، مع ضباط ذوي رتب عالية... في برلين.

الدكتورة ف. - ما هو الهدف من الاجتماع؟

ر. - كانوا يناقشون غباء... غباء (هتلر) و... وكيف أنه سيخسر... سيخسر الحرب لألمانيا.

الدكتورة ف. - ما الذي تقوله أنت؟

ر. - أشعر بالتوتر في أحبالي الصوتية فحسب. يبدو أنني لا أقول شيئاً.

الدكتورة ف. - ما الذي يمكنك إدراكه أيضاً؟

ر. - أشعر بفخر كبير بزِيِّي وبلدي... وبانتمائي لقوات الحماية، وموقعي.

الدكتورة ف. - بماذا تشعر؟

ر. - أشعر بالكثير من الانفعال في جسدي... ولكني لا أستطيع أن أرى شيئاً.

الدكتورة ف. - بعد العد إلى خمسة، سيصبح الأمر واضحاً جداً لك. ستصبح أكثر هدوءاً بعد كل رقم. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي يظهر لك؟

ر. - أنا في مجلس.

الدكتورة ف. - حدثني عن ذلك أكثر.

ر. - هناك... ثلاثة ضباط أُعجب بهم. أظن أنهم جنرالات أو كولونيلات. أحدهم جنرال. لديه شارة حمراء على زيه الرمادي.

الدكتورة ف. - ما الذي تفعله هناك؟

ر. - أنا أعطي موافقتي فحسب.

الدكتورة ف. - على ماذا؟

ر. - خطة لقتل (هتلر).

الدكتورة ف. - هل أنتم الأربعة فقط هناك؟

ر. - نحن خمسة في الاجتماع. أظن أن هناك سبعة متورطين... أو أكثر من خمسة.

الدكتورة ف. - هل هم سبعة؟

ر. - اثنان ليسا في الاجتماع.

الدكتورة ف. - أخبرني بالمزيد. ما الذي يخططون له؟ كيف يخططون لقتله؟

ر. - (هتلر). بقنبلة.

الدكتورة ف. - كيف؟

ر. - وضع قنبلة في... في... طائرة أو في ملجأ... بالقرب من (هتلر).

الدكتورة ف. - من صاحب الفكرة؟

ر. - كولونيل لديه... لديه... لديه... عين... ضمادة على عينه.

الدكتورة ف. - وهل تظن أنها فكرة جيدة؟

ر. - يجب القيام بها.

الدكتورة ف. - لماذا؟

ر. - لإنقاذ ألمانيا... والسيطرة على الحرب من أجل... الجنود الذين ماتوا.

الدكتورة ف. - هل هذا هو القرار الذي يعتبره لا وعيك قراراً سيئاً، فيما يتعلق بالنتائج التي ستترتب عليك؟ إذا كان الأمر كذلك، فسترفع إصبع "نعم"؛ وإلا، فسترفع إصبع "لا".

ر. - [يرفع إصبع "لا".]

الدكتورة ف. - هل اتخذت قراراً آخر، وهذا هو الذي تعتبره السيئ؟

ر. - أظن أن القرار السيئ كان الدخول في مؤامرة مع هذا العدد الكبير من الناس... أظن أن هذا هو الخطأ الحقيقي.

الدكتورة ف. - هل كان هذا هو الخطأ الحقيقي؟

ر. - هذا هو الخطأ الذي قادني إلى... الموت.

ر. - لا يمكن للمرء أن يثق في كل هذا العدد من الناس... تحت الضغط، تتغير ولاءاتهم من يوم لآخر.

الدكتورة ف. - أخبرني كيف تم اكتشاف أمركم. بعد العد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

ر. - شخص ما تكلم... شخص ما تعرض للتعذيب.

الدكتورة ف. - هل تعرض شخص ما للتعذيب وتكلم؟

ر. - همم. فشلت الخطة.

الدكتورة ف. - وماذا حدث بعد ذلك؟

ر. - لقد أُلقي القبض علينا جميعاً.

الدكتورة ف. - أين كنت عندما أُلقي القبض عليك؟

ر. - كنت في مكتبي.

الدكتورة ف. - ما هي السنة؟

ر. - ألف وتسعمئة وأربعون.

الدكتورة ف. - أخبرني بما حدث.

ر. - لقد دخلوا و... وضربوني بشدة، فوق مكتبي... على طاولتي، بأخمص بنادقهم... كسروا عمودي الفقري... شُللتُ.

الدكتورة ف. - هل هذا ما تذكرته في البداية؟

ر. - هكذا ضربوني. ثم علقوني... لاحقاً... عارياً، بـ... بـ... خنقوني بخيط حول عنقي... ولكن كان يجب أن أكون ميتاً بالفعل... في... في غرفة، مع أشخاص آخرين... أُجبر الجميع على المشاهدة.

الدكتورة ف. - حسناً، سأطلب من لا وعيك أن يدع تلك الذكريات تتلاشى. والآن أن يأخذك إلى حياة أخرى، يكون فيها حدث يرتبط بطريقة ما بمشكلتك في التردد. سأطلب من لا وعيك أن يأخذك إلى ذلك الحدث، بعد العد حتى عشرة. واحد... اثنان... ثلاثة. [يستمر في العد.] أين أنت الآن؟

ر. - آه... جبل.

الدكتورة ف. - هل أنت على جبل؟

ر. - عند سفح جبل. إنه مغطى بالثلج.

الدكتورة ف. - من أنت؟

ر. - [صمت طويل.]

الدكتورة ف. - بعد العد حتى ثلاثة ستعرف. واحد... اثنان... ثلاثة.

ر. - أظن أنني هندي أو... عضو في قبيلة تبّتيّة، أو شيء من هذا القبيل... صغير.

الدكتورة ف. - حدثني عن نفسك أكثر.

ر. - اسمي (تاناكي)... أنا رجل صغير، قصير ومكتنز، قوي.

الدكتورة ف. - كم عمرك؟

ر. - تسعة عشر عاماً.

الدكتورة ف. - ما هي مهنتك؟

ر. - أظن أنني مزارع. أعمل في الحقول.

الدكتورة ف. - ما الذي تفعله في هذه اللحظة تحديداً يا (تاناكي)؟

ر. - أنا واقف، أنظر إلى الجبل.

الدكتورة ف. - بمَ تفكر، وأنت تنظر إلى ذلك الجبل؟

ر. - حسناً، شخص ما يتحدث معي عن تسلق ذلك الجبل... أو مساعدتهم في تسلق الجبل... حمل الأشياء لهم.

الدكتورة ف. - من يتحدث معك عن ذلك؟

ر. - رجل أجنبي. أظن أنه سويسري.

الدكتورة ف. - هل سبق لك أن تسلقت الجبل؟

ر. - لا!

الدكتورة ف. - بماذا تشعر عندما يتحدث معك عن ذلك؟

ر. - [يعبس.] إنه خطر ومخالف لمبادئي!

الدكتورة ف. - هل يمكنك أن تخبرني المزيد عن ذلك؟

ر. - لا أصعد أبعد من... قريتنا.

الدكتورة ف. - لماذا؟

ر. - إنه خطر جداً. [بصوت فيه خوف.]

الدكتورة ف. - عندما قلت إنه مخالف لمبادئك، ماذا كنت تقصد؟

ر. - إنها قاعدة في قريتنا.

الدكتورة ف. - لماذا لدى قريتكم هذه القاعدة؟

ر. - [يخفض صوته.] لقد مات الكثيرون في الجبل.

الدكتورة ف. - هل للجبل اسم؟

ر. - نحن نطلق عليه اسماً... ولكنهم يسمونه شيئاً آخر.

الدكتورة ف. - كيف تسمونه أنتم؟

ر. - الرهيب.

الدكتورة ف. - لماذا تسمونه الرهيب؟

ر. - بسبب الرياح، الرياح الرهيبة التي تأتي من هناك... الرياح الباردة القادمة من الجبل... الشاسع والمهدد.

الدكتورة ف. - أخبرني بالمزيد.

ر. - إنه ضخم جداً... وخطر جداً بحيث لا يمكن تسلقه.

الدكتورة ف. - هل هذا الرجل يتحدث معك عن تسلق الجبل؟

ر. - حمل أغراضهم إلى مخيم القاعدة.

الدكتورة ف. - هل يتحدث معك فقط أم أن هناك أشخاص آخرين أيضاً؟

ر. - تسعة وعشرون شخصاً من القرية.

الدكتورة ف. - ما رأيك في ذلك؟

ر. - أريد أن أذهب.

الدكتورة ف. - لماذا؟

ر. - أظن أنه تحدٍّ وهو... مال كثير.

الدكتورة ف. - كم سيدفعون لك؟

ر. - مبلغ يومي. خمسون سنتاً في اليوم. إنه مال كثير؛ أكثر مما يمكننا كسبه.

الدكتورة ف. - ما رأي الآخرين في الذهاب؟

ر. - إنهم متحمسون. جميعنا متحمسون بسبب التحدي ولكسب... المال.

الدكتورة ف. - ما الذي تفعله أو تقوله؟

ر. - همم. أظن أنني سأذهب معهم.

الدكتورة ف. - حدثني عن ما تلاحظه.

ر. - حسناً، أرى القرية. الكثير من الناس يتجمعون و... ويتحدثون عن هذا.

الدكتورة ف. - هل الأجانب لا يزالون هناك معك؟

ر. - إنهم يقفون بعيداً، على يسارنا... ينتظرون رداً. هناك حماس كبير وحركة كبيرة. الناس يتساءلون عما إذا كنا سنذهب و... ويتحدثون عما قد يحدث إذا ذهبنا.

الدكتورة ف. - هل تقول شيئاً؟

ر. - أنا لست الزعيم.

الدكتورة ف. - ولكنك تريد الذهاب؟

ر. - أنا أريد الذهاب.

الدكتورة ف. - ما القرار الذي يتخذونه؟

ر. - [بحماس في صوته وجسده.] سنذهب!

الدكتورة ف. - الآن سأطلب منك أن تذهب إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى خمسة. دع تلك الذكريات تتلاشى. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي يخطر ببالك؟

ر. - الصعود حاملاً... حزماً كبيرة على ظهري... ثقلاً هائلاً على ظهري... وعبر الجليد.

الدكتورة ف. - ماذا ترتدي؟

ر. - أرتدي ملابس دافئة... [يعبس]... ولكن قدماي باردتان.

الدكتورة ف. - هل بقية جسدك دافئ؟

ر. - لدي قبعة وسترة وسراويل طويلة دافئة... وقدماي... باردتان جداً. متجمدتان!

الدكتورة ف. - هل قدماك فقط باردتان؟

ر. - ويداي. [يفركهما.]

الدكتورة ف. - كيف ساقاك وذراعاك؟ هل هما دافئتان؟

ر. - إنهما دافئتان. رأسي دافئ... وجهي محروق من... الشمس.

الدكتورة ف. - هل يؤلمك؟

ر. - إنه جاف ويؤلمني.

الدكتورة ف. - هل بدأتم الصعود منذ وقت طويل؟

ر. - منذ ثلاثة أيام.

الدكتورة ف. - صف لي بماذا تشعر. هل ما زلت سعيداً بالقيام بذلك؟

ر. - أظن أنني متحمس، ولكن... متعب.

الدكتورة ف. - حسناً. الآن سأطلب منك أن تتقدم إلى الحدث الهام التالي، حدث هام جداً، بعد العد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي يخطر ببالك؟ ابقَ هادئاً ومسترخياً؛ هادئاً جداً ومسترخياً جداً.

ر. - علينا عبور جسر... جسر جليدي... آه... في... آه، آآآآه! [يرتجف بعنف.] عندما فعلنا ذلك، انكسر و... وسقط ثلاثة منا.

الدكتورة ف. - أين؟

ر. - في شق عميق وأنا... أنا مت.

الدكتورة ف. - هل تمكنت من رؤية هذا الحدث؟

ر. - أرى المشهد. نحن الثلاثة كنا... نسقط، لأننا كنا مربوطين ببعضنا البعض بحبال. لقد سُحبت إلى الخلف. أحدهم كان يعترض... ولكنه سُحب إلى الخلف. [يتنفس بسرعة كبيرة.]

الدكتورة ف. - ابقَ هادئاً ومسترخياً... هادئاً جداً... مسترخياً جداً.

ر. - [يرتخي جسده بشكل كبير؛ يتنفس أبطأ.]

الدكتورة ف. - هل اتُخذ أي قرار بشأن عبور ذلك الجسر الجليدي، أم أنه كان شيئاً يجب القيام به فحسب؟

ر. - أظن أنني كنت أريد العودة، ولكني لم أرغب في... لقد أُجبرنا تقريباً على الذهاب.

الدكتورة ف. - الآن سأطلب من لا وعيك، بعد العد حتى ثلاثة، أن يجعلك تدرك هذا الحدث؛ أن يجعلك تدرك ما هو الحادث المرتبط بمشكلتك في اتخاذ القرارات، في هذه الحياة. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

ر. - أظن أنني لم أتصرف وفقاً لما كنت أعتقد أنه صواب.

الدكتورة ف. - ما الذي كنت تعتقد أنه التصرف الصحيح؟

ر. - العودة... ولكني لم أذهب... لم أثق بنفسي.

الدكتورة ف. - كنت تريد العودة إلى قريتك؛ أليس كذلك؟

ر. - أردت العودة، عندما تجمدت قدماي... ولكني لم أثق بنفسي.

الدكتورة ف. - سيشير لا وعيك ما إذا كان هذا هو الحادث المرتبط بمشكلتك هنا، في عام ألف وتسعمئة وسبعة وسبعين.

ر. - [يرتفع إصبع "نعم" على الفور.]

الدكتورة ف. - هل هي حقيقة أنك لم تعد وأن قدميك باردتان، حقيقة أنك تريد العودة ولا تفعل؟

ر. - [يرتفع إصبع "نعم" مرة أخرى.]

الدكتورة ف. - حدثني عن القرار أكثر.

ر. - أظن أنني اتخذت قرار الاستمرار، بدلاً من إظهار الثقة بنفسي... بدلاً من التعبير عن رأيي.

الدكتورة ف. - حسناً. هل هناك قرارات أخرى...؟

ر. - القرار الآخر هو أنني لم أرغب في عبور الجليد وأنا واقف هناك. ناقشنا ذلك... وأنا أول من ذهب.

الدكتورة ف. - لم تكن تريد الذهاب؟

ر. - لا.

الدكتورة ف. - لماذا ذهبت؟

ر. - حسناً، لأنني دُفعت من قبل الآخرين... من قبل اثنين من الآخرين.

الدكتورة ف. - هل هذا أيضاً أحد القرارات المسؤولة عن مشكلتك في هذه الحياة؟

ر. - [إصبع "نعم".]

الدكتورة ف. - هل هناك أي مشكلة أخرى في تلك الحياة أثرت على حياتك الحالية؟ أي جانب آخر من تلك الحياة؟ قل ما يخطر ببالك.

ر. - أظن... حقيقة أنني سمحت لنفسي بأن أتأثر بالآخرين.

الدكتورة ف. - حسناً، هل هناك تأثيرات أخرى بخلاف ذلك، أي خصائص جسدية أو عقلية أو عاطفية؟ ما الذي يخطر ببالك؟ [إصبع "نعم" يتحرك.]

ر. - حسناً، الأحداث الوحيدة كانت: حقيقة أنني سُحبت إلى الخلف، إلى الشق و... وكسر عمودي الفقري، مرة أخرى... الجزء الخلفي من رأسي سُحق.

الدكتورة ف. - هل أثر هذا عليك في حياتك الحالية؟

ر. - نعم. آلام في الرأس تبدأ من مؤخرة العنق... ومشاكل في الظهر.

الدكتورة ف. - هل أثر عليك شيء آخر؟

ر. - آه... قشعريرة تصعد وتنزل في ظهري. غالباً ما أشعر بنقص في الإحساس في ظهري، عندما أكون في ذلك الموقف.

الدكتورة ف. - أي موقف؟

ر. - قرار جماعي.

الدكتورة ف. - أي شيء آخر؟

ر. - [يتنهد بعمق.] حب الأماكن المفتوحة... خوف من الجبال، ربما، أو... بالأحرى، من غضب الجبل... بطريقة ما، أخاف التحديات الكبيرة.

الدكتورة ف. - هل هناك أي شيء آخر، في هذه الحياة، من المهم أن تعرفه؟

ر. - [يرتفع إصبع "لا".]

الدكتورة ف. - الآن سأطلب منك أن تدع تلك الذكريات تتلاشى. تقدم إلى الحدث التالي المتعلق بمشكلتك في اتخاذ القرار. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. أين تجد نفسك الآن؟

ر. - أظن أنني في الغرب، ربما في (نيو أورليانز)... في الواقع، إنه الغرب.

الدكتورة ف. - ما الذي تفعله؟

ر. - [يعدل جلسته.] أنا أقود عربة... أنا مرتدٍ ملابس أنيقة... أنزل في أحد الشوارع.

الدكتورة ف. - ما اسمك؟

ر. - إدغار.

الدكتورة ف. - حسناً يا إدغار، ما هو اسم عائلتك؟

ر. - [صمت طويل.]

الدكتورة ف. - عندما أصل إلى ثلاثة ستعرف. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي خطر ببالك؟

ر. - تايرون، أو ما شابه ذلك.

الدكتورة ف. - كيف تبدو؟

ر. - أظن أنني طويل وأنيق و... أنا أبيض البشرة.

الدكتورة ف. - ما لون شعرك؟

ر. - شعر أسود.

الدكتورة ف. - هل لديك شارب أو لحية؟

ر. - لا.

الدكتورة ف. - كم عمرك يا إدغار؟

ر. - سبعة وعشرون عاماً.

الدكتورة ف. - هل أنت متزوج؟

ر. - لا.

الدكتورة ف. - ما الذي ترتديه؟

ر. - قبعة بنية... لا، قبعة سوداء وبذلة... سترة أنيقة مع قميص جميل... قميص جميل مطوي... أنيق جداً... مبهرج. [يبدو راضياً جداً عن نفسه.]

الدكتورة ف. - إلى أين أنت ذاهب؟

ر. - أنا ذاهب لرؤية شخص ما.

الدكتورة ف. - حدثني عن ذلك أكثر.

ر. - في البداية ظننت أنني ذاهب إلى... نوع من الألعاب... أحب اللعب... ثم كان لدي انطباع بأنني، آه... ذاهب لرؤية فتاة جميلة.

الدكتورة ف. - تقدم في الزمن، حتى تصل إلى وجهتك. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

ر. - قارب بخاري.

الدكتورة ف. - أين أنت الآن؟

ر. - حسناً، هناك قارب بخاري، قدت عربتي إلى هذا القارب البخاري.

الدكتورة ف. - هل ذهبت إلى هناك بالعربة وحدك؟

ر. - لا، أظن أن شخصاً ما معي.

الدكتورة ف. - من معك؟ ألقِ نظرة.

ر. - فتاة جميلة.

الدكتورة ف. - ما اسمها؟

ر. - آيلين.

الدكتورة ف. - هل تعرفها جيداً؟

ر. - لا... أظن أنني فقط أغازلها... ونحن متجهان إلى القارب البخاري.

الدكتورة ف. - الآن تقدم في الزمن إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي يخطر ببالك؟

ر. - إنهم يلعبون القمار على القارب.

الدكتورة ف. - وماذا تفعل أنت؟

ر. - أنا أشاهد اللعبة بانتباه شديد. الجميع يشاهدون اللعبة. [يتنهد بعمق.] يحاولون إقناعي باللعب وأنا لا أريد... هي تقنعني.

الدكتورة ف. - انتبه لما تقوله لك. بعد العد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي تقوله لك؟

ر. - "جميع الرجال يلعبون ويمكنك كسب الكثير من المال."

الدكتورة ف. - بماذا تشعر، عندما تقول لك ذلك؟

ر. - أشعر بأنني لا أريد ذلك. لكني أريد أن أكون مثل جميع الرجال الآخرين. أظن أنني أريد إبهارها... لكني لا أريد اللعب. [يبدو مستاءً.]

الدكتورة ف. - لماذا؟

ر. - لا أحب القمار.

الدكتورة ف. - هل جربته من قبل؟

ر. - لا... الآن أمسكت بالزهر، أدحرج الزهر. إذن، أنا ألعب!

الدكتورة ف. - بعد العد حتى خمسة، اذهب إلى الحدث الهام التالي. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي يتبادر إلى ذهنك؟

ر. - هناك شجار حول... القمار... أنا أتشاجر... لقد خسرت وأنا أتشاجر، قائلاً إنهم غشوا.

الدكتورة ف. - من الذي غش؟

ر. - اللاعبون.

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث؟ أخبرني كل شيء، خطوة بخطوة.

ر. - [صمت طويل.] كنت أتشاجر و... و... [يقوم بحركة تراجع.] ... طُعنت في ظهري! رجل آخر جاء من ورائي، أمسك بي و... وطعنني في ظهري. [يتنفس بسرعة كبيرة، الآن.]

الدكتورة ف. - في أي منطقة من ظهرك؟

ر. - في أسفل ظهري. [صوته الآن ضعيف، متعب.]

الدكتورة ف. - ماذا حدث عندما طعنك؟

ر. - [مندهش.] أظن أنني... مت.

الدكتورة ف. - لنسأل لا وعيك ما إذا كنت قد مت. إذا كان الجواب نعم فسترفع إصبع "نعم"؛ وإذا كان لا فسترفع إصبع "لا".

ر. - [يرتفع إصبع "نعم"، وهو يرتجف.]

بينما كان لا يزال في الغيبوبة، قال (روجر) إن القرار السيئ الذي اتخذه في تلك الحياة هو اللعب بشكل سيئ. كما قال بنفسه: "... عدم قدرتي - عدم فعل ما أردت. لقد كلفني حياتي!" لقد "أُجبر" على الاستسلام، بسبب حاجته لإرضاء الآخرين، للحفاظ على صورته. أشار لا وعيه إلى أن هذه كانت مشكلة أخرى لديه. سألته عما إذا كان هناك أي شيء آخر في تلك الحياة يؤثر عليه في الوقت الحاضر. صمت ثم انفجر: "إن... إن افتقاري للثقة بالنساء!" طلبت منه التركيز على تنفسه، لتهدئته، وكذلك لتوفير انتقال له، لأنه بدأ يظهر عليه علامات التعب. بعد بضع دقائق اقترحت على لا وعيه أن يأخذه إلى حدث آخر، ضمن الأحداث الستة المسؤولة عن تردده. عددت حتى خمسة وسألته عما يحيط به.

ر. - [يبدو قلقاً.] هناك ضباب.

الدكتورة ف. - أين أنت؟

ر. - في قارب.

الدكتورة ف. - أي نوع من القوارب؟

ر. - قارب صيد.

الدكتورة ف. - حدثني عن نفسك.

ر. - أظن أنني يوناني.

ر. - شعر طويل... بلا شارب... لياقة بدنية جيدة... قوي.

الدكتورة ف. - كم عمرك؟

ر. - سبعة عشر عاماً.

الدكتورة ف. - هل القارب يبحر؟

ر. - القارب يتقدم نحو الضباب. [يبدأ في التملل.]

الدكتورة ف. - أخبرني بما تفعله في هذه اللحظة.

ر. - أظن أنني لا أريد الدخول في الضباب.

الدكتورة ف. - لماذا؟

ر. - [يتنهد بعمق.] لأنه خطر جداً.

الدكتورة ف. - لأنه...

ر. - [يقاطع.] البقاء بالخارج في الضوء.

الدكتورة ف. - إذن، لماذا تتقدم؟

ر. - شخص ما يضغط عليّ للذهاب إلى الضباب.

الدكتورة ف. - من؟

ر. - لا أعرف.

الدكتورة ف. - سأعد من واحد إلى ثلاثة. عندما أصل إلى ثلاثة، ستعرف. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

ر. - قائدي.

الدكتورة ف. - هل القارب الذي أنت فيه كبير؟

ر. - أظن أننا ثلاثة في الداخل.

الدكتورة ف. - ما اسمك؟ ما الذي يخطر ببالك؟

ر. - ليس لدي... نوع من... شيء يبدأ بحرف "م".

الدكتورة ف. - سأعد حتى ثلاثة، وعندما أنتهي، ستعرف اسمك. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

ر. - (موستاش). [في ذلك الوقت، كان اليونانيون يحبون الألقاب! - فكرت في نفسي.]

الدكتورة ف. - لا تريد الدخول في الضباب. ولكن قائدك يقول إنه يجب عليك الذهاب. أليس كذلك؟

ر. - [يهز رأسه بالإيجاب.]

الدكتورة ف. - هل تقول شيئاً للقائد بخصوص الضباب، يا (موستاش)؟

ر. - لا أظن ذلك.

الدكتورة ف. - هل يؤثر عليك كثيراً الدخول في الضباب؟

ر. - أظن أنه تصرف خاطئ وخطر. [نبضه في عنقه أصبح أسرع.]

الدكتورة ف. - لماذا لا تقول شيئاً؟

ر. - أظن أنه من الأفضل أن أكون شجاعاً... من الأفضل اتباع الأوامر.

الدكتورة ف. - حسناً. تقدم إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي يحدث؟

ر. - اصطدمنا ببعض الصخور و... وقُذفت برأسي... فوق الصخور. [يعبس، وكأنه يشعر بالألم.]

الدكتورة ف. - حدثني عن ذلك أكثر.

ر. - قُذفت برأسي وظهري... على صخور... ولقد سحقوني.

الدكتورة ف. - ما الذي سحقك؟

ر. - الصخور... والقارب.

الدكتورة ف. - القارب أيضاً؟ ما الذي يحدث؟

ر. - ولقد مت. [صوته يتلاشى.]

تحت التنويم المغناطيسي، أوضح أنه مرة أخرى، تغلبت حاجته للإرضاء على ما اعتبره صواباً. ووجد نفسه مرة أخرى غير قادر على التعبير عن احتياجاته ورغباته. كما أدرك أن خوفه القديم من الضباب نشأ في تلك الحياة؛ وأضاف أنه كان دائماً يتأكد من الأحوال الجوية قبل القيام برحلة بالسيارة إلى مناطق يظهر فيها الضباب بانتظام. لم يبدو أن أي شيء آخر من تلك الحياة يؤثر عليه حالياً.

من خلال إشارات أصابعه اكتشفت أن (روجر) قد اتخذ قراراً خاطئاً آخر (ربما كان قراراً قاتلاً أيضاً؟). طلبت من لا وعيه الذهاب إلى ذلك الحدث. تملل وجهه وتشبث بعنقه. كان يشعر بقلق شديد لدرجة أنني اضطررت إلى إعطائه اقتراحات مهدئة وأخذه إلى حدث سابق ومحايد. بعد لحظات قليلة سألته أين يجد نفسه.

ر. - [صمت طويل.] أنا في بلاط... في (فرنسا).

الدكتورة ف. - أخبرني ما الذي يحدث.

ر. - هناك الكثير من السخرية... الناس... الناس يتشاجرون.

الدكتورة ف. - يتشاجرون ويضحكون بخصوص ماذا؟

ر. - يريدون التخلص من الملك.

الدكتورة ف. - لماذا أنت في البلاط؟ ما الذي يحدث؟

ر. - حسناً، أنا في بلاط، وهو نوع من... أظن أنني كنتُ... [يتنهد بعمق]... ربما أنا... أرتدي رداءً ولدي منصب رفيع في البلاط... في (فرنسا).

الدكتورة ف. - ما اسمك؟

ر. - بيير.

الدكتورة ف. - ما هو اسم عائلتك يا (بيير)؟

الدكتورة ف. - سيأخذك لا وعيك إلى حدث مسؤول عن مشكلتك، في هذه الحياة. تقدم إلى ذلك الحدث، بعد العد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. ما الذي يخطر ببالك؟

ر. - أظن أنني حاولت إرضاء الشعب.

الدكتورة ف. - ماذا تقصد بذلك؟

ر. - هناك جزء مني أراد إرضاء... الآخرين... ولكن في داخلي كان هناك صوت يخبرني أن... أن لا أفعل ذلك.

الدكتورة ف. - حدثني عن الظروف المحيطة بذلك.

ر. - أظن أنني كنت أشفق على الشعب.

الدكتورة ف. - أي شعب؟

ر. - الشعب... الطبقة الدنيا والمحرومة.

الدكتورة ف. - ماذا حدث؟

ر. - الجميع كانوا يتحدثون عن التخلص من الملك... عن التخلص من البلاط. مثالية هائلة، حول نظام أفضل.

الدكتورة ف. - بماذا شعرت؟

ر. - شعرت بالصراع.

الدكتورة ف. - لماذا؟

ر. - كنت موالياً لملكي وفي الوقت نفسه كنت أشعر بالولاء للشعب.

الدكتورة ف. - ما الذي قلته؟

ر. - [يتردد.] يبدو لي أنني لم أقل شيئاً.

الدكتورة ف. - تقدم إلى الحدث الهام التالي، بعد العد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي يتبادر إلى ذهنك؟

ر. - لقد كشف... أسراراً لـ "راغونز"... آه... شخص ما... هذا الاسم خطر لي.

الدكتورة ف. - هل كشف شخص ما أسراراً لـ "راغونز"؟

ر. - أظن ذلك.

الدكتورة ف. - ماذا يعني ذلك؟ هل يمكنك الشرح؟

ر. - حسناً، لست متأكداً. أظن أنهم يعارضون الملك.

الدكتورة ف. - قل شيئاً آخر.

ر. - أظن أنني لم... لم يكن يجب أن أدعمه...

الدكتورة ف. - من هو؟

ر. - فيليب. إنه يعمل لدي.

الدكتورة ف. - قررت ألا تدعمه. ما الذي يفعله؟

ر. - لا... آه... لا أريد أن أدعمه... ولكني لا أريد... آه... آه... أن أبلِّغ عنه.

الدكتورة ف. - إذن ماذا تفعل؟

ر. - [يخفض صوته.] لا شيء.

الدكتورة ف. - في هذه المرحلة، ماذا تقرر؟

ر. - ألا أفعل شيئاً.

الدكتورة ف. - ما الذي يفعله هو؟

ر. - أظن أنه يقدم معلومات عن البلاط.

الدكتورة ف. - لمن؟

ر. - لمجموعة من القتلة المأجورين.

الدكتورة ف. - أخبرني بالمزيد.

ر. - لم تكن أفكاره السياسية تتفق مع أفكاري... وأنا لم أُبدِ رأيي. لم أكن شجاعاً. كان يجب عليَّ أن أواجهه.

الدكتورة ف. - ما الذي حدث؟

ر. - لقد ابتزوني لكي أُقدم معلومات. [يتمتم.]

الدكتورة ف. - هل اضطررت أنت بنفسك لتقديم المعلومات؟

ر. - وإلا سأُفضح.

الدكتورة ف. - وماذا حدث بعد ذلك؟ تقدم في الزمن وشاهد ما سيحدث نتيجة لـ...

ر. - إنه يتحدث... ووشى بي... قال إنني فعلت ذلك!

الدكتورة ف. - ما الذي حدث بعد ذلك؟

ر. - حينئذ أنا... [مضطرب]... قُطِع رأسي.

الدكتورة ف. - كن هادئاً ومسترخياً... على يد من؟

ر. - على يد رجال الملك و... (فيليب). لقد وقف هناك.

رؤية عامة وتحليل الذاكرة المسترجعة

عندما تحرر (روجر) من التنويم المغناطيسي، مد ذراعيه فوق رأسه. ثم استرخى عائداً إلى كرسيه. كان يبدو مرهقاً. كان صوته متعباً. قال: "لم أكن أعرف ما الذي كان ينتظرني!" لقد تجاوزنا وقتنا بثلاثين دقيقة. لم نتمكن إلا من إلقاء نظرة سريعة على الكيفية التي كان بها قراره "قاتلاً" في كل حالة. طلبتُ منه أن يقوم بـ "واجب منزلي"، في الفترة الفاصلة بين هذه الجلسة والجلسة التالية: طلبت منه أن يعيد التفكير في كل تجربة وأن يحلل الدور الذي لعبته كل تجربة في حياته الحالية؛ كنت أريد كل تلك الأفكار مكتوبة. سنقوم بفحصها في جلستنا التالية.

بعد أسبوعين، قفز (روجر) من كرسيه في غرفة الانتظار، وتقدم مسرعاً وواثقاً إلى عيادتي. بابتسامة عريضة، لوّح لي بقائمته المؤلفة من صفحتين. لقد أنجز واجبه المنزلي! بصوت مفعم بالطاقة، قال: "القائمة يجب أن تنتظر – أريد أن أتحدث إليك عن جميع القرارات الكبيرة التي اتخذتها في هذين الأسبوعين". بسعيه الحازم، ألقاها دفعة واحدة. تنوعت بين الاستقالة من منصبه كأستاذ في الكلية، وشراء شاحنة (دودج) وزورق سريع (لانشا) غريب - من أجل مشروعه الجديد: فيلم عن التزلج على الماء. ابتسمت وكررت كلماته الخاصة: "إذا حللتُ هذه المشكلة، فلن يوقفني شيء!" واستطرد قائلاً إنه شعر بـ "انتعاش الرأس" وكان مسترخياً، للمرة الأولى في حياته. كم هو شعور رائع أن يحلل المرء موقفاً، ويعرف ما يجب عليه فعله - ويفعله!

كانت الطاقة التي تملأ تلك الغرفة تكاد تطلق شرراً! الحماس والحيوية أضاءا تعبيراته - وانسكبا في إيماءاته، وفي قوة صوته.

أمسك بالقائمة التي كانت على منضدة خشب الساج الصغيرة بجوار كرسيه، وبدأ يقرأ. لقد حلل آثار حياته الست. بدأ بالأخيرة، حياة ضابط قوات الحماية. لاحظ أنه مات في نفس العام الذي وُلد فيه كـ (روجر). "لم يكن لدي وقت طويل للتعافي!" الآن فهم لماذا كان العهد الثالث يثير فضوله دائماً. مرر يده على ذقنه، متمتماً: "مررت بتجربة غريبة بالقرب من (ميونخ). عندما ذهبت إلى هناك للمرة الأولى، في عام ألف وتسعمئة وثمانية وستين، شعرت بشعور غريب من (ديجافو) - شعرت أنني مررت هناك في الماضي". شعر أيضاً بالقلق يسيطر عليه - ولم يستطع فهم سبب هذا الشعور.

بما أننا كنا قد رأينا بالفعل العديد من جوانب حياته كـ (تاناكي)، فقد تجاوزها بسرعة. تحدث بحنين عن حبه للطبيعة والجبال. أخبرني أنه يعشق التزلج. ربط كرهه للمقامرة - حتى تردده في اللعب مع الأصدقاء المقربين لعبة برسم فلس للرقاقة - بوجوده كـ (إدغار). ابتسم. واعترف بشيء من الشعور بالذنب: "أحب أن أرتدي ملابس جيدة وقد أنفقت الكثير من المال للحصول على خزانة ملابس جميلة". كان ولعه بالسياسة والمناورات السرية لهياكل القوة المتنافسة بمثابة هواية له تقريباً. وعزا ذلك إلى حياته في بلاط (فرنسا) و(ألمانيا). أصبح صوته متعباً عندما تحدث إليَّ عن مشاكله في الظهر وآلام رأسه المتكررة. لا عجب!

قال: "السمة المشتركة بين كل هذه الحيوات كانت عدم قدرتي على فرض نفسي والحاجة إلى إرضاء الآخرين، على حسابي - متجاوزاً في كثير من الأحيان آرائي الخاصة".

أخيراً، نظر إلى البند الأخير في القائمة. ضحك وقال: "حسناً، سيكون من المثير للاهتمام أن أرى ما إذا كنت سأتغير في هذه الجوانب - سأصبح في النهاية عادياً لدرجة أنني لن أطيق نفسي!"

الفصل الحادي عشر - «إنني... أطفو»

لقد ساعدت أكثر من ألف شخص على الموت. حدثت كل هذه الوفيات في عيادتي. في بعض الأحيان، خلال جلسة مدتها خمسون دقيقة، قد يموت المريض ما يصل إلى ثلاث أو حتى أربع مرات - دائماً كشخص مختلف: كل فرد تجسد فيه المريض في حياته الماضية.

في معظم الحالات، تكون تجربة الموت هي الحدث المسؤول عن أعراض الشخص ومشكلاته. تؤثر علينا الوفيات السابقة بطرق عديدة - بعضها واضح والآخر خفي. السقوط من جرف يؤدي إلى رهاب المرتفعات. الغرق، إلى الخوف من الماء. السقوط من طائرة أثناء حرب يسبب الخوف من الطيران. الوفاة بسبب "السل" تؤدي إلى مشاكل مزمنة في الرئة. القتل بحربة أثناء النوم يسبب الأرق.

لقد لاحظت العديد من أوجه التشابه وأيضاً العديد من الخصوصيات في هذه الوفيات. في الفصول السابقة رأيت كيف يصف الناس تجاربهم في الموت. في هذا الفصل أشاركك ملاحظاتي حول هذا الحدث. أما وصف الفاصل بين الحياة، المستخرج من الروايات الرائعة لمرضاي، فسيتعين عليه الانتظار لإصدار مستقبلي. إنه يملأ كتاباً بأكمله!

يُعدُّ الموت ولحظة الاحتضار، بالنسبة للكثيرين، من المواضيع المؤثرة جداً. بفضل عمل الباحثين، ومن أبرزهم (إليزابيث كوبلر روس)، التي كتبت "عن الموت والاحتضار" (نيويورك: ماكميلان للنشر، ألف وتسعمئة وتسعة وستين)، بدأ الناس يتعلمون ويتقبلون هذا الجانب من الحياة وينظرون إلى الموت بطريقة أكثر إيجابية.

أظهر بعض مرضاي خوفاً كبيراً من احتمال تجربة الموت تحت التنويم المغناطيسي. حتى أن شخصاً سأل بقلق حقيقي: "هل تعتقد أنني قد أموت، حقاً، مرة أخرى؟" يجب علينا تبديد مخاوف الشخص بشأن الموت - وكذلك المخاوف بشأن أي حدث مؤلم - قبل أن نتمكن من المضي قدماً. إن الإيمان والثقة التي يوليها مرضاي ومُخَضَعِي للتنويم المغناطيسي لي هما الجانب الأكثر أهمية وقيمة في عملنا المشترك. بالنسبة لي، من الثوابت أنني لا أدفعهم أبداً إلى شيء لا يمكنهم تحمله عاطفياً. أستخدم تقنيات مختلفة لتقليل الانزعاج الناتج عن تكرار الآلام الجسدية أو العاطفية. بالإضافة إلى هذه التقنيات، يجب عليَّ في بعض الأحيان أن أجعل الناس يتواصلون مع موتهم الأول، شيئاً فشيئاً. لم يكن ضرورياً القيام بذلك أكثر من مرة. في بعض الأحيان أجعلهم يراقبون موتهم، على شاشة عقولهم، كما لو كانوا يشاهدون تجربة شخص آخر. ثم، تدريجياً، يسمحون لأنفسهم بمزيد من المشاركة، عندما نعود إلى الحدث. أخيراً، يختبرون كل شيء، بشكل كامل وشامل.

كل ما سأعرضه لك يؤكد اكتشافات الدكتور (ريموند إيه. مودي الابن). كتابه "الحياة بعد الحياة" (كوفينجتون، جورجيا، موكينبيرد بوكس، ألف وتسعمئة وخمسة وسبعين) يستند إلى مقابلات مع أكثر من مائة شخص "ماتوا" أثناء عمليات جراحية، أمراض، أو حوادث. أوصاف تجاربهم قبل الإنعاش مطابقة تقريباً لتجارب مرضاي تحت التنويم المغناطيسي - باستثناء حقيقة أن العديد من مرضاي يتذكرون أحداثاً في الفاصل بين الحياة، في حين أن مرضى (مودي) لم يفعلوا ذلك. ولأسباب واضحة. لم يكمل مرضاه الانتقال الكامل. اختار مرضاه عدم الموت أو أُجبروا على العودة. من المثير للاهتمام أن نعرف أن كتاب "الموتى التبتي" القديم يسرد أيضاً العديد من الأحداث نفسها التي وصفها مرضاي والمُخَضَعُون للتنويم المغناطيسي.

أحد الجوانب الملحوظة في روايات تجارب الموت هو أن الوعي يستمر، دون انقطاع. بالإضافة إلى ذلك، وصف جميع المرضى والمُخَضَعِين للتنويم المغناطيسي تحرراً من الألم الجسدي و/أو العاطفي، في لحظة الموت - أحياناً حتى قبل ذلك. إذا كان شخص ما يموت جوعاً، على سبيل المثال، فإنه يتوقف عن الشعور بالجوع. إذا كانت المشكلة هي احتقان رئوي، فغالباً ما تكون أول صيحة: "أستطيع أن أتنفس!"

تراجع رجل، في الثلاثينات من عمره، إلى حياة قتل فيها زوجته الزانية. قُتل، بسبب جريمته، في غرفة الغاز.

ل. - [غطى وجهه بقطرات العرق.] لا أستطيع أن أجعلك تفهم أنني مضطرب.

الدكتورة ف. - أخبرني بما تشعر به. أنا لن أخبرهم شيئاً.

ل. - إنهم يوثقونني. [يرتجف جسده، وكذلك صوته.]

الدكتورة ف. - اذهب إلى لحظة موتك بعد العد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة.

ل. - كل شيء انتهى بـ... سلام.

نفس المريض، في حياة أخرى، وجد نفسه في خندق، خلال الحرب العالمية الثانية.

ل. - [يقفز جسده. يمسك بعنقه.] ... متُّ مرة أخرى... أُصبتُ في عنقي.

الدكتورة ف. - كيف شعرت بالموت؟

ل. - لقد قفزت قفزة واحدة فقط.

الدكتورة ف. - هل تشعر بأي شيء؟

ل. - لا أشعر بألم.

الدكتورة ف. - هل اتخذت شكل روح؟

ل. - هممم.

الدكتورة ف. - بماذا تشعر؟

ل. - أوه، شعور أفضل!

في حياة ماضية، رأت شابة قافلتها تتعرض لهجوم من قبل هنود، قاموا في النهاية بسلخ فروة رأسها واغتصابها، تاركين إياها للموت. بعد صمت طويل، قالت:

ج. - أرى نفسي ممددة هناك.

الدكتورة ف. - بماذا تشعرين؟

ج. - لقد انتهى الأمر. [صوتها وتعبيرها يدلان على الارتياح.]

الدكتورة ف. - هل ما زلت تشعرين بالألم؟

ج. - لا.

الدكتورة ف. - بماذا تشعرين؟

ج. - [تضحك.] شعور رائع... وهذا كل شيء.

تصف امرأة لحظة موتها. لقد سُحقت لتوها بواسطة زوج من الخيول وعربة.

الدكتورة ف. - الآن سأطلب منك الذهاب إلى اللحظة الدقيقة لموتك، بعد العد حتى ثلاثة. واحد... اثنان... ثلاثة. أخبريني بما تشعرين به.

ب. - أستسلم.

الدكتورة ف. - وما هو الإحساس؟

الدكتورة ف. - أخبريني بالمزيد.

ب. - أشعر بأنني أخف... لم أعد أشعر بالثقل.

الدكتورة ف. - ما هي الأحاسيس التي لديك، غير ذلك؟

ب. - أشعر بالحرية.

الدكتورة ف. - أين جسدك؟

ب. - على الأرض.

الدكتورة ف. - أين أنت؟

ب. - أنظر إليه.

الدكتورة ف. - أين؟

ب. - مباشرة فوقه.

الدكتورة ف. - كيف ترين جسدك؟

ب. - يبدو مجعداً.

الدكتورة ف. - ما هي المشاعر التي تدركينها؟

ب. - شعور بالارتياح.

امرأة في العشرينيات من عمرها، تعاني من مشكلة زيادة الوزن، ماتت جوعاً في حياة سابقة، عن عمر يناهز سبعة وخمسين عاماً. خلال تلك الحياة كانت مريضة وفقيرة جداً.

الدكتورة ف. - منذ متى وأنت تعانين من مشكلة الغذاء هذه، بسبب نقص المال؟

س. - أوه... منذ بضع سنوات. لا أعرف منذ متى... [الدموع تتساقط على وجهها.] أنا لا أشعر أنني بخير.

الدكتورة ف. - أود منك أن تتقدمي يوماً واحداً. سأعد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. أخبريني ما الذي يحدث لك.

س. - [تهمس.] أنا أموت.

الدكتورة ف. - اذهبي إلى لحظة موتك. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة.

س. - [صمت.]

الدكتورة ف. - (مارغريت)، ما الذي يحدث لك الآن؟

س. - [صوت أقوى.] أنا ميتة... ولم أعد جائعة.

الدكتورة ف. - بماذا تشعرين، الآن وأنت ميتة؟

س. - أشعر أنني بخير.

إحدى أكثر تجارب الموت تأثيراً التي شهدتها كانت ناجمة عن سلسلة من الأحداث المزعجة. كانت امرأة، في أوائل الثلاثينات من عمرها، تستكشف تحت التنويم المغناطيسي، مصدر الذعر الذي كان يهاجمها في العديد من المناسبات عندما تشم رائحة معينة، خاصة إذا كانت في غرفة أو مكان صغير مغلق.

بدأت جلستنا بوصف درجة من الذعر كانت شديدة لدرجة أنها كادت أن تفقد الوعي وجعلتها تشعر بالغثيان والتوعك لعدة أيام. لقد دخلت ببراءة إلى مصعد تم تنظيفه للتو. كانت رائحة المطهر لا تزال قوية جداً.

قادنا البحث عن سبب رد فعلها إلى (ألمانيا) النازية، في أوائل الأربعينات. بعد وصف حياة مليئة بالأحداث المروعة، وجدت نفسها محشورة في عربة قطار للماشية، حيث كادت، في الظلام الذي يحيط بها، أن تُسحق من قبل العديد من اليهود المذعورين الآخرين. كانت رائحة البراز خانقة. لم تكن هناك نوافذ يدخل منها الهواء أو الضوء. بعد ما بدا لها وكأنه أبدية، ولكنه في الواقع كان ثلاثة أيام فقط، توقف القطار. خرجت إلى ضوء النهار الساطع وقادها الحراس إلى مكان قيل لها وللآخرين فيه أن يتجردوا من ملابسهم، استعداداً للاستحمام. كانت هناك شائعات! كان هناك خوف! بينما كانت تتجرد من ملابسها كانت خائفة للغاية. وضعت حذاءها في كومة كبيرة من الأحذية بجميع أنواعها، وخاتم زواجها في كومة أخرى، وفستانها في كومة ثالثة. وهي ترتجف، تبعت الآخرين إلى غرفة كبيرة.

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث؟

أ. - إنهم يغلقون الباب.

الدكتورة ف. - هل أنتم جميعاً في نفس الغرفة؟

أ. - [بهدوء.] نعم.

الدكتورة ف. - من أغلق الباب؟

أ. - أظن أنهم الحراس.

الدكتورة ف. - تقولين إنكم متراصون جداً للاستحمام. ماذا تقصدين بذلك؟

أ. - متقاربون جداً.

الدكتورة ف. - هل تلمسين أحداً؟ هل أنت متراصة جداً أم يمكنك فتح ذراعيك؟

أ. - يمكنني التحرك من جانب إلى آخر. ولكن هذا المكان مليء بالناس!

الدكتورة ف. - صفي لي ما ترينه في تلك الغرفة.

أ. - لا توجد نوافذ... الأرضية أسمنتية. أشعر بها تحت قدمي... إنها باردة...

الدكتورة ف. - هل هناك أي ضوء؟

أ. - لا، إنه مظلم جداً. كان هناك ضوء، ولكنه ليس مضاءً.

الدكتورة ف. - هل أنتم في ظلام دامس إذن؟

أ. - نعم.

الدكتورة ف. - والآن، بمَ تفكرين، أو بماذا تشعرين؟ استمري في الاسترخاء الشديد، وأكثر استرخاءً مع كل شهيق...

أ. - [تتنفس بصعوبة. نبضها في عنقها يتسارع.]

الدكتورة ف. - ماذا يفعل الناس؟

أ. - لا أعرف. لم أعد أرى بوضوح شديد.

الدكتورة ف. - سأطلب منك فقط أن تسترخي؛ تنفسي تحت ضوء الشمس، لمدة دقيقة تقريباً؛ ركزي على التنفس تحت الضوء الذهبي. سأعد مرة أخرى حتى عشرة. بينما أفعل ذلك، سيضاعف لا وعيك الاسترخاء. ركزي فقط على التنفس تحت الضوء الذهبي، الجميل والمريح؛ عندما أصل إلى عشرة، ستجدين نفسك مسترخية بعمق. وفي الوقت نفسه، استرخي فحسب، بعمق أكثر فأكثر. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة... ستة... سبعة، استرخي أكثر فأكثر بعد كل رقم... ثمانية... تسعة... عشرة. والآن يا (ليا)، أخبريني المزيد عن تلك الغرفة التي أنت فيها. ماذا يفعل الناس؟

أ. - أشعر برائحة مرة أخرى.

الدكتورة ف. - أي نوع من الرائحة؟

أ. - مطهر. هناك فتحات تهوية ومنها تأتي الرائحة.

الدكتورة ف. - ماذا قلت؟

أ. - فتحات تهوية. [يرتجف جسدها.] بدأ الناس يبتعدون عنها... يتجمعون و... ويبتعدون.

الدكتورة ف. - ما مدى بُعدك عن فتحات التهوية؟

أ. - بعيدة، ولكنهم يتجمعون نحوي.

الدكتورة ف. - ماذا يفعل الناس، بخلاف التحرك؟ هل يقولون شيئاً؟

أ. - الناس يصرخون ويصيحون.

الدكتورة ف. - ماذا يقولون، عندما يصرخون ويصيحون؟

أ. - لا أعرف.

الدكتورة ف. - انتبهي واستمعي. سأعد حتى ثلاثة؛ استمعي إلى ما يقولونه. واحد... اثنان... ثلاثة.

أ. - [صمت.]

الدكتورة ف. - ماذا يقولون؟

أ. - [صمت.]

الدكتورة ف. - ما الذي يخطر ببالك؟

أ. - "أوه، لا!"، يقول الناس. و... و "يا إلهي!"، يقول آخرون.

الدكتورة ف. - ماذا تفعلين؟ ما الذي تقومين به؟

أ. - أنا لا... لا أعرف. لا أستطيع أن أشعر بذلك.

الدكتورة ف. - ما الذي تدركينه؟ ما الذي يحدث الآن؟

أ. - انزلقت وسقطت.

الدكتورة ف. - كيف حدث ذلك؟

أ. - أشعر بغرابة.

الدكتورة ف. - حدثيني عن ذلك. أخبريني بما شعرت به، قبل انزلاقك وسقوطك بقليل. بماذا تشعرين؟ بمَ تفكرين؟

أ. - أنا مرعوبة.

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث؟

أ. - مزيج من الأجساد... والبراز.

الدكتورة ف. - أين تجدين نفسك؟

أ. - لا أعرف.

الدكتورة ف. - حاولي أن تدركي ما الذي يحدث لك. أين تشعرين أنك موجودة، في ذلك المزيج من الأجساد؟

أ. - أشعر أنني أنظر إلى هذا من الأعلى. الآن أشعر بالارتباك فحسب.

الدكتورة ف. - هل يمكنك الرؤية؟

أ. - نعم.

في بعض الأحيان، يبكي المرضى بعد موتهم، عندما ينظرون إلى الأسفل ويرون أقاربهم يعانون. الحزن يكون دائماً على الآخرين وليس أبداً على الشخص الذي كانوا عليه - مهما كانت وفاتهم مؤلمة. في بعض الأحيان يقلقون مؤقتاً، عندما ينظرون إلى الأسفل ويرون جسدهم؛ ومع ذلك، بعد بضع ثوانٍ، يعبرون عن الارتياح. يبدو الأمر كما لو أن التحرر من العذاب والفرح والنشوة التي يختبرونها تتغلب على المعاناة الماضية. بالنسبة للكثيرين، الموت هو أشبه بانزلاق لطيف إلى حالة مختلفة - وأفضل.

يستخدم جميع الأشخاص تقريباً الذين يختبرون الموت، تحت التنويم المغناطيسي، كلمة "أطفو"، لوصف الإحساس الجسدي الذي يتبع الموت مباشرة. يشعرون بأنهم يرتفعون في الهواء ويشاهدون المشهد، في الأسفل. يقولون إنهم يسمعون ضوضاء كبيرة - أجراس، أزيز، موسيقى سماوية. يشعر البعض بإحساس الدخول في نفق، مع ضوء في الطرف الآخر.

يقول جميع المرضى تقريباً إنهم يجدون أنفسهم بمفردهم، في الحالة الروحية مباشرة بعد الموت. بعد الشعور بالطفو، في معظم الحالات، بعد ثوانٍ قليلة، يتم الشعور بوجود مرشدين روحيين أو "ملاك حارس". يدركهم الكثيرون كضوء ساطع - ضوء ذو جوهر لطيف ومهتم - موجود لمساعدتهم. في بعض الأحيان يتم مساعدة الانتقال من قبل كيانات أكثر تحديداً. غالباً ما يتم الترحيب بالشخص من قبل أقارب أو أصدقاء متوفين، وفي حالة شهدتها، من قبل كلب مخلص كان يملكه الشخص منذ سنوات. غالباً ما يسبب هذا رد فعل عاطفي، يعبر عنه بدموع الفرح.

(روجر)، الذي التقيته في الفصل العاشر، مات خلال البطولة.

ر. - حسناً، انتشرت حرارة... حرارة في نظامي الدوري... في جسدي كله... ورأيت ضوءاً أبيض وغادرت طافياً.

الدكتورة ف. - ما الذي يعنيه ذلك بالنسبة لك؟

ر. - [ضحكة قصيرة.] حسناً، هذا يعني أنني متُّ.

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث الآن؟

ر. - ارتياح... شعور بالدفء في جميع أنحاء جسدي والتحرر من جسدي.

الدكتورة ف. - ما الذي تراه؟

ر. - [يبتسم.] حسناً، أرى المنطقة بأكملها. أستطيع أن أرى كل شيء.

وصف (روجر) وفاة أخرى، بالطعن، أثناء شجار على طاولة القمار.

ر. - أنا ميت بالفعل. ولكن... ركزت على شعاع من الضوء... وشعرت على الفور بسعادة بالغة، هذا غريب... اتساع وتحرر... طرت إلى الأعلى... نحو الضوء.

الدكتورة ف. - حدثني عن ذلك أكثر. هل كنت واعياً بجسدك في ذلك الوقت؟

ر. - طفوت خارج جسدي، على الفور تقريباً.

الدكتورة ف. - هل شعرت بأي شيء عندما طُعنت؟

ر. - شعرت بألم حاد في ظهري... مزقني.

الدكتورة ف. - وماذا بعد؟

ر. - الضوء.

الدكتورة ف. - حدثني عن الضوء أكثر. كيف كان؟

ر. - كان انفجاراً من الضوء... سقط عليَّ... ولم يسمح لي بالرؤية... لم يسمح لي برؤية أي شيء آخر، باستثناء الضوء نفسه. في البداية كان صغيراً، ثم توسع بسرعة كبيرة. شعرت بأنني أرتفع طافياً وتوسعت في الضوء.

الدكتورة ف. - هل كان لديك أي إحساس آخر بخلاف الضوء؟

ر. - دفء.

الدكتورة ف. - دفء بأي معنى؟

ر. - إنه دافئ... دافئ جسدياً.

الدكتورة ف. - هل لديك أي إحساس آخر بخصوصه؟

ر. - إنه صديق... إنه جيد.

الدكتورة ف. - هل هناك أحد أو شيء ما معك هناك؟

ر. - أصدقاء العائلة... ينتظرونني.

كانت شابة تخضع للعلاج بسبب آلام حادة في الرأس. خلال تراجع إلى حياة ماضية، عاشت الأحداث الرئيسية لحياة كأرستقراطية، خلال الثورة الفرنسية. في سن السادسة عشرة، تم القبض عليها من قبل الجنود عندما كانت تهرب ليلاً مع مربيتها. وصفت المشهد على المقصلة:

ج. - أنا راكعة.

الدكتورة ف. - هل هناك أحد معك؟

ج. - الجنود.

الدكتورة ف. - أخبريني ما الذي يحدث الآن.

ج. - [تتنفس بصعوبة.]

الدكتورة ف. - ما هي أفكارك الأخيرة؟

ج. - أفكر كم كنت سعيدة... كم أتمنى أن أعيش... أن أتزوج وأنجب أطفالاً. [فجأة، تقوم بحركة عنيفة برأسها.]

الدكتورة ف. - أين رأسك؟ وجسدك؟

ج. - إنهما منفصلان. [تبدو مندهشة.]

الدكتورة ف. - ما الذي حدث عندما اصطدم النصل برقبتك؟

ج. - مؤلم بشكل فظيع.

الدكتورة ف. - وماذا الآن؟

ج. - [صمت طويل.] لم أعد حزينة... أشعر بالسعادة.

الدكتورة ف. - هل ما زلت في جسدك؟

ج. - لا.

الدكتورة ف. - هل أنت وحيدة، في شكل الروح؟

ج. - لا، ظهر مرشديّ. [يصبح تعبيرها أكثر ليناً.]

الدكتورة ف. - ماذا يقولون لك؟ ماذا يوصلون لك؟

ج. - لقد جاءوا ليأخذوني إلى المنزل.

الدكتورة ف. - كم عددهم؟

ج. - خمسة.

الدكتورة ف. - هل هم مألوفون لديك؟

ج. - نعم، بالطبع.

الدكتورة ف. - لماذا؟

ج. - لأنهم مرشديّ. إنهم موجودون دائماً هناك، عندما أعود إلى المنزل.

الدكتورة ف. - هل هناك أي شخص آخر هناك؟ أرواح أخرى، بخلاف المرشدين ، تتعرفين عليها؟

ج. - نعم، والديّ.

الدكتورة ف. - هل يتواصلون معك؟

ج. - نعم. يجعلونني أعرف أنهم لم يعودوا يشعرون بالألم.

(مارغريت)، وهي امرأة في حوالي الخامسة والخمسين من عمرها، كانت تعاني منذ فترة طويلة من رهاب المرتفعات. حتى وهي طفلة، كانت لديها كوابيس متكررة، تسقط فيها، ولكنها كانت تستيقظ دائماً قبل أن تصل إلى الأرض. اقترح عليها زوجها مؤخراً رحلة إلى (أوروبا). كان رد فعلها هو الذعر واليأس. كم كانت تتمنى الذهاب. لكن الطيران كان مستحيلاً! كنا نأمل في حل المشكلة في الوقت المناسب، قبل بداية إجازة زوجها، بعد بضعة أشهر من ذلك.

كانت هذه المشكلة محيرة بشكل خاص، لأنه بينما كنا نعمل على عرض آخر، اكتشفنا بالصدفة أنها في حياة سابقة عانت أيضاً من رهاب المرتفعات. (ليس من النادر العثور على عرض ينتقل عبر عدة حيوات سابقة).

بعد مقاومة قوية إلى حد ما للتراجع، رأت نفسها في منطاد (سفينة هوائية)، في بداية القرن. كان هولندياً شاباً، (هانز)، يعمل كملاح، في مركبة جوية عسكرية تجريبية. أجبرت اضطرابات جوية كبيرة المنطاد على الخروج عن مساره وأخذته نحو المحيط. ضربه برق. اندلعت النيران وانقسم إلى نصفين. مذعوراً، رأى (هانز) القبطان وأعضاء الطاقم الآخرين يُقذفون، عندما بدأت الآلة تفقد ارتفاعها. وهو متشبث بحلقة معدنية، قال:

م. - أنا متشبث بالهيكل...

الدكتورة ف. - بماذا تشعر؟

م. - مرعوب. [وجهه ملتوي.]

الدكتورة ف. - أخبرني ما الذي يحدث في هذه اللحظة.

م. - يدي أفلتت... وأنا أستسلم.

الدكتورة ف. - بماذا تشعر في ذلك الوقت؟

م. - أسقط...

الدكتورة ف. - كيف هو هذا؟

م. - يبدو أنني أسقط، بسرعة كبيرة جداً... الماء يقترب أكثر فأكثر وأنا أصرخ.

الدكتورة ف. - هل تفكر في أي شيء عندما تصرخ؟

م. - أعلم أنني سأموت... وأنا خائف. أنا لا أحب... لا أحب هذا والماء يقترب بسرعة كبيرة... أصطدم بالماء وأكسر رقبتي.

الدكتورة ف. - هل تشعر بذلك؟ كيف تسقط؟ ما هو وضعك؟

م. - في حالة من التقلب تقريباً.

الدكتورة ف. - ما هو الجزء من الجسم الذي يصطدم أولاً؟

م. - رأسي.

الدكتورة ف. - ما الذي تدركه؟

م. - أظن أنني كنت... أظن أن كل شيء انتهى بسرعة كبيرة.

الدكتورة ف. - وماذا تدرك الآن؟

م. - [يتنهد بعمق.]

الدكتورة ف. - ما الذي تدركه يا (هانز)؟

م. - أوه! جسدي يغوص في الماء...

الدكتورة ف. - أين أنت؟ ما الذي تدركه وأين أنت؟

م. - أنا فقط أشاهد.

الدكتورة ف. - أين؟

م. - تحت الماء، في أعماق المياه.

الدكتورة ف. - ما الذي تراه؟

م. - أراه يغوص، عميقاً، عميقاً... مثل... مثل دمية قماشية.

الدكتورة ف. - والآن، ما الذي يمكنك أن تدركه؟

م. - لا أريد البقاء هنا لفترة أطول.

الدكتورة ف. - ماذا تفعل؟

م. - أنا أبتعد... أنطلق عبر السطح.

الدكتورة ف. - وماذا بعد؟

م. - وأستمر في التقدم.

الدكتورة ف. - ما هو الإحساس؟

م. - شعور رائع. أرى... [يصبح صوته أوضح.] ... أستطيع أن أرى الحطام، يطفو على الماء.

الدكتورة ف. - ما هي مشاعرك حيال ذلك؟

م. - حسناً، أنا... منزعج. إنه إهدار.

الدكتورة ف. - أخبرني بالمزيد.

م. - أوه، لا أعرف...

الدكتورة ف. - هل أنت وحيد؟

م. - نعم، أنا... أنا... هناك آخرون، ولكن... همم... لا نتحدث.

الدكتورة ف. - من هم الآخرون؟

م. - إنهم... إنهم الطاقم.

الدكتورة ف. - هل هم في نفس مكانك؟

م. - إنهم... إنهم ليسوا هناك جسدياً، ولكنهم... أعلم أنهم هناك.

الدكتورة ف. - هل يمكنك رؤيتهم؟

م. - لا، ولكن يمكننا التواصل.

الدكتورة ف. - هل هناك أي شخص أو شيء آخر هناك؟

م. - لا، نحن فقط... نحن ذاهبون إلى مكان آخر الآن.

الدكتورة ف. - إلى أين؟

م. - لا أعرف... ولكننا... نحن، سنذهب جميعاً.

امرأة أخرى، مريضة، ماتت كرئيسة لدير تأملي، في (إيطاليا)، في القرن السادس عشر. في لحظة موتها، قالت:

هـ. - إنه... سلام.

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث لك؟

هـ. - أطفو.

الدكتورة ف. - هل ترين أي شيء؟

هـ. - إنه مثل الوجود في... الكون. [صوتها مليء بالخشوع.]

الدكتورة ف. - هل يمكنك رؤية جسدك؟

هـ. - إنه مثل الطفو... لا يوجد ألم، مجرد طفو.

الدكتورة ف. - هل أنت وحيدة؟

هـ. - يبدو أنني ذاهبة للقاء شخص ما. أنا وحيدة، ولكني لا... لا أشعر بالوحدة.

بعد بضع دقائق من تعرضها للضرب حتى الموت، قالت (بيكي)، الشابة التي وُصفت قصتها في الفصل الثاني:

ب. - إنها عائلتي.

الدكتورة ف. - أخبريني ما الذي ترينه.

ب. - [تبكي.] إنهم ينتظرونني.

الدكتورة ف. - لماذا تبكين؟

ب. - أنا سعيدة.

الدكتورة ف. - أخبريني ما الذي ترينه، من ترين.

ب. - أخواتي ووالديّ. [تهمس.] لابد أنهم قُتلوا.

الدكتورة ف. - كيف يبدون؟

ب. - [لا تجيب.]

الدكتورة ف. - هل يبدون كما كانوا عندما كانوا أحياء؟

ب. - نعم.

الدكتورة ف. - هل يبدون تماماً كما كانوا؟

ب. - أكثر بخارية.

الدكتورة ف. - ما هو تعبيرهم؟

ب. - [تبتسم.] إنهم يرحبون بي.

الدكتورة ف. - هل هناك أي شخص أو شيء آخر هناك؟ انظري حولك وشاهدي.

ب. - هناك ضوء ساطع جداً.

الدكتورة ف. - أين هو؟

ب. - بعيد، في الأفق.

الدكتورة ف. - تحدثي عنه. هل لديك أي إحساس بخصوصه؟

ب. - إنه دافئ. إنه يستقبلني. [بتعبير عن فرحة عظيمة على وجهها.]

الدكتورة ف. - حسناً. لنرى ما إذا كنت ستذهبين إليه.

ب. - ما زلت مع عائلتي.

الدكتورة ف. - ماذا تفعل عائلتك؟

ب. - تعانقني.

الدكتورة ف. - هل هناك أي شخص آخر هناك؟

ب. - لا.

الدكتورة ف. - والآن؟ بماذا تشعرين؟

ب. - بالسعادة.

امرأة كانت تعاني من الاكتئاب ماتت جوعاً في تجسدها الأخير.

الدكتورة ف. - هل أنت وحيدة؟

س. - [تهمس.] لا، يبدو أن هناك بعض الأشخاص قادمين.

الدكتورة ف. - من هم؟

س. - أصدقاء... وأمي.

الدكتورة ف. - بماذا تشعرين، عندما ترينهم؟

س. - سعيدة.

الدكتورة ف. - حدثيني عنهم.

س. - إنهم يعانقونني.

الدكتورة ف. - كيف يبدون؟

س. - حسناً، أمي تبدو عجوزة جداً. لم أرها منذ وقت طويل. لكنها لا ترتدي نظارات.

الدكتورة ف. - هل كانت ترتدي نظارات؟

س. - نعم، وهي... هي تقول إنها لا تبدو بالشكل الذي أراه، ولكن يجب أن أعتاد عليها.

الدكتورة ف. - هل هناك أي شخص لا تعرفينه؟

س. - هناك بالفعل بعض الأشخاص الذين لا أعرفهم. ولكن كل شيء على ما يرام.

الدكتورة ف. - كيف يرتدون ملابسهم؟

س. - لديهم عباءات. أمي هي الوحيدة التي ترتدي فستاناً ومئزراً.

الدكتورة ف. - وجسدك؟ كيف هو جسدك؟

س. - إنه ليس جافاً، كما كان.

الدكتورة ف. - هل هو مثل جسد بشري صلب؟

س. - لا، أرى أضواء في جسدي. لا أرى أي شيء آخر غير الشكل حقاً، ولكني أشعر أنني بخير.

لقد وصف مرضاي والمُخَضَعُون للتنويم المغناطيسي في كثير من الأحيان وبتفاصيل كبيرة، ما يحدث للجسد، بعد أن تتحرر الروح وتطفو فوقه. لبعض الوقت قد يكون هناك وعي معين بالأحاسيس الجسدية، في الجسد الذي بلا حياة - بالتناوب مع الأحاسيس التي يتم اختبارها خارج الجسد تماماً. تمكن المرضى من تحديد مصدر رهاب الأماكن المغلقة في حقيقة أنهم "دُفنوا أحياء"، ولكن، في الواقع - وفقاً لأوصافهم - ربما كانوا قد ماتوا بالفعل عندما دُفنوا. كل شيء يشير إلى أن الحساسية والوعي عادتا إلى أجسادهم. يحدث هذا حتى بعد أن يكونوا قد شاهدوا إزالة ودفن الجسد. علق المرضى على جنازاتهم الخاصة، معبرين في بعض الأحيان عن عدم رضاهم عن تفصيل أو آخر، مثل غياب قريب. تحت التنويم المغناطيسي، حددت امرأة اشمئزازها - غثيانها، حتى - لرائحة الورود. كان المشهد يحدث في (ألمانيا) النازية؛ كان جسدها يُلقى في خندق، مع آخرين. أدركت أن رائحة الورود تذكرها برائحة الأجساد المتحللة. اكتشفت مريضة أخرى أن الشعور بالحرارة الذي كانت تشعر به عندما تكون متوترة كان بسبب حقيقة أنها أُحرقت (كُفِّنت).

إن هذا التناوب في الوعي، الذي يُختبر في كثير من الأحيان، واضح تماماً في هذا المقتطف من نص مريض. قصة سقوطه من سقف كاتدرائية رُويت في الفصل السابع.

م. - حسناً، يبدو أنهم يضعون شيئاً ما في... العربة.

الدكتورة ف. - ما هو؟

م. - يبدو لي أنهم كانوا يرتدون ملابس مثل الجنود.

الدكتورة ف. - ما الذي كانوا يضعونه في العربة؟

م. - لا أعرف، كان شيئاً صلباً، لا أعرف ما... لماذا كانوا يفعلون ذلك.

الدكتورة ف. - أي نوع من الأشياء كان؟

م. - لم أستطع أن أفهم، لأنني كنت... على الأرض، أظن أنني رأيت ذلك من هناك.

الدكتورة ف. - هل رأيتهم يضعون شيئاً صلباً في العربة؟

م. - نعم.

الدكتورة ف. - ما هو شكله؟

م. - طويل، مثل رجل، بـ... لا أعرف لماذا كانوا يفعلون ذلك.

الدكتورة ف. - ألا تعرف لماذا كانوا يفعلون ذلك؟

م. - لا، ولكن مهما كان السبب... حسناً، إنه مجرد... يغلقونه من الأعلى ويدفعونه. كان بعجلات.

الدكتورة ف. - ماذا قلت؟

م. - يغلقونه من الأعلى... كان لديه نوع من... من غطاء واثنان منهم يدفعانه.

الدكتورة ف. - يدفعان ماذا؟

م. - عربة صغيرة.

الدكتورة ف. - ماذا يحملون داخل العربة؟ ماذا وضعوا في الداخل؟ ما الذي يخطر ببالك؟

م. - [تنهيدة عميقة ومطولة.] أوه، أرى داخل العربة الصغيرة، إنه كله... يبدو كأنبوب طويل، بضوء صغير في القاع.

الدكتورة ف. - هل تشعر بأنك موجود هناك في الداخل؟

م. - نعم، ولكني... لست قلقاً بشأن ذلك.

الدكتورة ف. - تشعر بأنك في الداخل، ولكنك لا تقلق؟

م. - همم. إنه... الآن أرى ضوءاً أزرق... الآن أرى شيئاً يتم تفريغه... أرى رجالاً... يحملون شيئاً ما إلى... في هذه اللحظة أرى اللون الأزرق.

الدكتورة ف. - والآن، ما الذي يحدث؟

م. - رأيت رجلاً واحداً فقط، وكأنني عدت إلى الأسفل، داخل هذه العربة... كانوا يمسكون الجسد، باتجاه... باتجاه الحفرة، باتجاهي.

الدكتورة ف. - أنت موجود داخل الحفرة وتراهم يحضرون ذلك الجسد؟

م. - أنا داخل الحفرة.

الدكتورة ف. - هل أنت في حفرة؟

م. - تحت العربة.

الدكتورة ف. - أين الحفرة؟ في التربة؟

م. - نعم.

الدكتورة ف. - وماذا الآن؟

م. - أرى حجرين... أشياء بجواري وتربة رخوة... أحجار موضوعة على التربة الرخوة.

الدكتورة ف. - فوق التربة الرخوة؟

م. - همم.

الدكتورة ف. - كشاهد قبر. هل هذا صحيح؟

م. - لا، كـ... كـ... واحد على كل جانب.

الدكتورة ف. - الآن، ما الذي تدركه؟ هل ترى أي لون؟

م. - ألوان مختلطة. أرى الأزرق الداكن. أرى... ذلك الأزرق القوي للسماء، فوقي... الرجال بالزي الرسمي الذين ينحنون ويرمون... تراباً إلى الداخل... أزياء رمادية.

الدكتورة ف. - هل يبدو لك أنك تراقبهم من الخارج وهم يملأون القبر؟

م. - لا، أنا في الداخل.

الدكتورة ف. - ولكنك بطريقة ما تستطيع رؤيتهم.

م. - يصبح غير واضح.

حالات من السخرية الروحية وتجارب متفردة

تأثر مراهق بوفاة في معسكر اعتقال نازي. بعد أن تعرض للغاز، أُلقي جسده في خندق مفتوح. دفعت الجرافات أكواماً من التراب فوق جميع الأجساد. شعر بالتراب يغطي وجهه. كان قد أصيب بحركة لا إرادية شديدة في وجهه قبل ثلاث سنوات، وكانت هذه هي سبب سعيه للمساعدة. جف التراب على وجهه، عندما كان يساعد أصدقاءه في تركيب سياج. كان غير قادر على إزالته لعدة ساعات. تحت التنويم المغناطيسي، تراجع إلى ذلك الحدث، وبعد ذلك، ذهب إلى أبعد من ذلك، إلى الحدث الأصلي - في معسكر الاعتقال. كانت حركته اللاإرادية ناجمة عن رائحة الغاز وحقيقة أنه لوى وجهه في اللحظة التي سقط فيها، في غرف الاستحمام. على مستوى عميق من اللاوعي، كان التراب الجاف يذكره بالوقت الذي تعرض فيه للغاز حتى الموت.

أفاد العديد من المرضى أن أرواحهم كانت تسخر من المهاجمين أو القتلة. يوضح المقتطف القصير التالي مثالاً على هذا النوع من السلوك. اكتشفت مريضة مصدر حساسية كانت تؤثر على رئتيها والجيوب الأنفية، في وفاة حدثت في الغابة.

هـ. - أنا في الغابة والجو حار جداً.

الدكتورة ف. - ما الذي تفعله في الغابة؟

هـ. - يطاردني بعض آكلي لحوم البشر... يريدون أن يأكلونني.

الدكتورة ف. - حدثني عن نفسك.

هـ. - أنا محارب طويل القامة، قوي جداً، أسود جداً.

الدكتورة ف. - هل قلت إنك محارب؟

هـ. - محارب.

الدكتورة ف. - وأنت أسود جداً.

هـ. - أسود جداً وأنا قوي جداً. [بفخر.]

الدكتورة ف. - ما هو اسمك؟

هـ. - (وانا).

الدكتورة ف. - (وانا)، قلت إنك مطارد. حدثني عن ذلك.

هـ. - هناك محاربون آخرون يطاردونني عبر... عبر الغابة والجو حار جداً ورطب... الماء ينزلق على جسدي. [تنفس متسارع.]

الدكتورة ف. - هل تعرف من هم الأشخاص الذين يطاردونك؟ هل رأيتهم؟

هـ. - إنهم محاربون آخرون... سود... من قبيلة أخرى. أعني (أوتسا).

الدكتورة ف. - (أوتسا)؟

هـ. - أنا... [يلهث]... أنا فقط أركض ولا أستطيع التنفس.

الدكتورة ف. - لماذا؟

هـ. - الهواء يبدو لي ثقيلاً جداً، وكأنه غاز أو... الكثير من الرطوبة... وأتعثر وأسقط في رمال متحركة و... وأنا أُبتلع. [في حالة من الذعر.]

الدكتورة ف. - أين الآخرون، الذين كانوا يطاردونك؟

هـ. - أسمعهم يصرخون ويصيحون وأنا أكافح، في هذه الرمال المتحركة... ولا أستطيع الخروج وأستمر في القتال، دائماً.

الدكتورة ف. - ما الذي يمكنك أن تدركه الآن؟

هـ. - إنه حلقي. [صوت مخنوق.] إنه يصعد عبر أنفي، لا أستطيع... سأموت. [تظهر قطرات العرق على وجهه.]

الدكتورة ف. - ما هي أفكارك؟

هـ. - يا لها من طريقة... طريقة للموت. دون... شرف. [يتنفس بصعوبة.]

الدكتورة ف. - أين الرمال المتحركة؟

هـ. - تدخل عبر أنفي. إنها رائحة فظيعة... ومتحللة... أستمر في القتال والوزن، عليَّ، كبير جداًا! [يكافح.] لا أستطيع التحرك. [يلوي وجهه.]

الدكتورة ف. - هل يمكنك التنفس في هذه اللحظة؟

هـ. - لا، أنا... أستسلم أخيراً... وأغرق.

الدكتورة ف. - بماذا تشعر عندما تغرق؟

هـ. - سلام. [يرتخي جسده كله.] أسمع قلبي ينبض، في أذني، وأشعر فقط بأن فتحتي أنفي وفمي... وهذه الرمال الخشنة جداً... يبدو أنها تحرق و... وهي تختفي وأصبح مفعماً بالسلام وأستسلم أخيراً وهذا كل شيء. [وجهه هادئ.]

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث بعد ذلك؟

هـ. - بعد ذلك أموت.

الدكتورة ف. - ما الذي تدركه الآن؟

هـ. - استرخاء. يبدو أنني أراقب نفسي للحظات، أغرق، ثم أرى المحاربين يصلون وأنا... يبدو أن روحي تضحك، وكأنني، أخيراً، تغلبت عليهم. [بابتسامة عريضة.]

الدكتورة ف. - هل تدرك روحك؟

هـ. - لا، روحي لا تبقى هناك لفترة طويلة. تبقى هناك لحظة فقط، تراقب المحاربين وتشعر بالتسلية لأنهم لم يتمكنوا من الإمساك بها؛ ثم تأخذني... وأنطلق طافياً.

أدرج المقتطف التالي من تسجيل لأنها تمثل واحدة من أكثر التجارب غرابة، التي وصفها مريض على الإطلاق (على الأقل حتى الآن**!**). إنها تزودنا برؤية للموت، من الجانب الآخر، من وجهة نظر روح تصف موت شخص آخر.

(مارغريت)، التي قابلتها سابقاً في هذا الفصل نفسه، اكتشفت أن العديد من الحيوات ساهمت في فوبيا الطيران والارتفاعات لديها.

تحت التنويم المغناطيسي، تراجعت إلى حياة كشاب شرقي، (وونغ-تو). وصفت وجوداً بدائياً للغاية. عاش (وونغ) في كوخ من القش مع جدته، العجوز جداً، المليئة بالتجاعيد والتي كان يحبها كثيراً. ذات يوم، نفد كل طعامهم. لم يتمكن سكان القرية الآخرون من مشاركتهم مؤنهم الشحيحة. ثم عبر (وونغ) جسراً للمشاة، معلقاً بين جبلين، ونزل منحدر، حتى وصل إلى قرية أخرى. سرعان ما انتزع فريسة - دجاجة - وصعد الجبل مرة أخرى، راكضاً، والمحليون الغاضبون يطاردونه. بدأ عبور الجسر غير الثابت، ممسكاً بالدجاجة بيد واحدة ومُنزلقاً بالأخرى على طول الحبل. كانت قطع الخيزران الصغيرة، التي تشكل أرضية الجسر، زلقة بشكل خطير، بسبب الضباب الكثيف. لروع (وونغ)، تخلى الرجال عن المطاردة وبدأوا يهزون الجسر، بكل قوتهم. نظر إلى الأسفل ورأى هاوية يبلغ ارتفاعها آلاف الأمتار. لم يشعر بالخوف أبداً، في المناسبات العديدة التي عبر فيها الجسر. سألته كيف كان يشعر في تلك اللحظة.

م. - أنا مرعوب... أنا... أسقط الدجاجة لأتمكن من التشبث بكلتا يدي... لكن... قدمي تنزلق... وأظل معلقاً بالحبل من جانب واحد، على الجانب الأيسر من الجسر، وأنا...

الدكتورة ف. - ما هي أحاسيسك في هذه اللحظة يا (وونغ)؟

م. - أبدأ بالصراخ طلباً للمساعدة وهم يواصلون هز حبال الجسر... وأنظر إلى الأسفل. إنها كلها صخور، وهناك في القاع، صخور وماء.

الدكتورة ف. - بمَ تفكر الآن يا (وونغ)؟

م. - [يرتجف بعنف.] أنا أسقط...

الدكتورة ف. - بماذا تشعر، عندما تسقط؟

م. - أنا أسقط... [تنهيدة عميقة]... يبدو وكأنني سأظل أسقط إلى الأبد.

الدكتورة ف. - ما هي الأفكار التي تخترق ذهنك، عندما تسقط؟

م. - أنا... لا أعرف.

الدكتورة ف. - ما الذي يحدث الآن يا (وونغ)؟

م. - أرى جسدي يسقط، لكنني... لم أعد خائفاً. إنه مثل أنني أطفو.

الدكتورة ف. - انظر إلى جسدك وأخبرني ما الذي يحدث له.

م. - يسقط على الصخور.

الدكتورة ف. - بماذا تشعر عندما تشاهد ذلك؟ ما الذي تدركه؟

م. - أنا... وجهي على الصخور، لكني لا... لا أشعر بشيء. كنت خائفاً جداً... كنت خائفاً جداً، لكني لا... أنا... أنا فقط متفاجئ.

الدكتورة ف. - أين تشعر أنك موجود؟

م. - لا أعرف أين أنا. [مندهش.] أنا فقط... أنا فقط أطفو. كان الجسد يسقط، لكني توقفت عن السقوط. أشعر... [صمت طويل.]

الدكتورة ف. - الآن أود منك أن تتقدم في الزمن، إلى الحدث الهام التالي. ابقَ في الحالة الروحية. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي تدركه؟

م. - أنا أنظر إلى جدتي وهي موجودة هناك، تنتظرني... وليس هناك طعام... وهي... تجلس، تنزوي وتضع يديها حول ركبتيها. إنها عجوز جداً وجائعة جداً والآن لن... لن تعيش طويلاً، لأنه ليس لديها طعام. أنا لست معها لأساعدها... وهذا يحزنني... ولكنه لا يبدو لي أنها... لا يبدو أنها تهتم... لأنها على أي حال، ستكون... [تنهيدة عميقة]... مستعدة لمغادرة ذلك العالم.

الدكتورة ف. - هل أنت مع أحد في الحالة الروحية؟

م. - لا.

الدكتورة ف. - أي أصدقاء؟

م. - لا.

الدكتورة ف. - أود منك أن تتقدم إلى الحدث الهام التالي، مع البقاء في حالتك الروحية. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. أين أنت الآن وبماذا تشعر؟

م. - لا شيء.

الدكتورة ف. - هل يخطر ببالك أي شيء؟

م. - لا.

الدكتورة ف. - أخبرني بأفكارك. بماذا تشعر؟

م. - لا أعرف... أسف.

الدكتورة ف. - اشرح لي معنى ذلك.

م. - لا أعرف.

الدكتورة ف. - أود منك أن تتقدم إلى لحظة لم الشمل مع جدتك. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. ما الذي يحدث؟

م. - حسناً، إنها... أنا أنتظرها وهي... تموت جوعاً، ولكنها... يمكنني التواصل معها.

الدكتورة ف. - ما الذي تواصلته معها حتى الآن؟

م. - أقول لها إنني لست خائفاً، وألا تقلق، لأننا سنكون معاً قريباً وهي تقول إنها ستكون فرحة كبيرة لها، أن تكون معي... هذا كل شيء.

الدكتورة ف. - اذهب إلى لحظة موتها، بعد العد حتى خمسة. واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة. أخبرني ما الذي تراه الآن.

م. - هي... أراها بجانب جسدها، تنظر إليه... أناديها وهي تدير ظهرها لي وتتقدم في اتجاهي، بسرعة كبيرة، وكأنها في... أوه... شيء ما... إنها تتحرك بسرعة كبيرة فقط، مباشرة، عبر، عبر الفضاء.

الدكتورة ف. - كيف تبدو؟

م. - تبدو أفضل بكثير... تبدو كما كانت من قبل... تبدو كما كانت... قبل أن أسرق الدجاجة... قبل أن تموت جوعاً. لا تزال عجوزة، ولكنها... تبدو سعيدة، إنها تبتسم وتمد يديها لي... و... لا أستطيع لمسها، لكني أستطيع رؤيتها.

الدكتورة ف. - هل تتواصل معها؟

م. - نعم.

الدكتورة ف. - حدثني عن ذلك. كيف تتواصل وما الذي تتواصله معها؟

م. - أوه! نتواصل بأفكارنا.

الدكتورة ف. - ماذا تقول لها، أو بالأحرى، ماذا تتواصل معها؟

م. - أقول لها فقط إنني سعيد بوجودها معي. ثم أخبرها بما حدث للدجاجة، لأنها لم تعرف أبداً ما حدث لي... سبب عدم عودتي.

الدكتورة ف. - ماذا تتواصل هي معك؟

م. - تقول إننا سنبقى معاً إلى الأبد الآن. إنها تبتسم.

الدكتورة ف. - هل أنتما وحيدان؟

م. - نعم.

الدكتورة ف. - والآن، ما الذي يحدث؟

م. - نحن نتحرك، كلانا معاً.

الدكتورة ف. - كيف تتحركون؟

م. - نحن نتحرك، فحسب.

الدكتورة ف. - ببطء أم بسرعة؟

م. - الآن بعد أن أصبحت هنا، ببطء.

تأثير تجربة الموت وعودة التجسد

أخبرني العديد من مرضاي أن تجربة الموت كان لها تأثير عميق جداً عليهم ونبهتهم. لقد كانت تجربة رائدة، اكتشاف في هذه الحياة. بالنسبة لأولئك الذين آمنوا بالحياة بعد الموت، كانت مريحة وشكلت دليلاً شبه قاطع. في معظم الحالات، ألهمت الخشوع. بالنسبة لأولئك الذين لم يؤمنوا، فقد أطلقت سلسلة من ردود الفعل، هزت المعتقدات القديمة وتسببت في تعديلات جذرية في المعتقدات الفلسفية الأساسية. شعر الناس بحافز لقراءة كل ما يمكنهم العثور عليه، في محاولة لإثبات تجربتهم الشخصية. بالنسبة للبعض، خلقت صراعات مع قناعاتهم الدينية. حل هؤلاء الأشخاص هذه الصراعات من خلال النمو - أي التفكير بعقولهم الخاصة. لقد شعروا بالراحة والاسترخاء عندما فهموا أنهم لن يُدانوا كخطاة، لمجرد أنهم بدأوا في طرح الأسئلة.

بالنسبة للأغلبية، أزالت الخوف من الموت، وهو خوف يبدو في الواقع أنه خوف من آلام الموت، والخوف من ترك الأحباء، وفي نهاية المطاف، الخوف من المجهول. بعد أن اختبروا وفياتهم الخاصة، تبددت مخاوفهم. في الواقع، أعلن الكثيرون أنهم يفضلون الحياة التالية على حياتهم الحالية!

السمة التي كانت أكثر وضوحاً هي الشعور العميق والشخصي بالبقاء بعد الموت. كما قال أحد المرضى: «من الرائع أن نعرف أنه عندما نموت، فإن ذلك ليس سوى بداية جديدة.»

الفصل الثاني عشر - «نحن نعيش حيوات عديدة»

يثير العمل المقدم في هذا الكتاب العديد من الأسئلة. نأمل أن يجيب على العديد أيضاً.

السؤال الأول الذي يجب النظر فيه هو: هل يكذب المرضى والمُخَضَعُون للتنويم المغناطيسي عمداً؟ هل يمثلون؟ إذا كان هذا صحيحاً، فيجب ترشيح العديد منهم لـ "جوائز الأكاديمية"! لقد استمعت ورأيت أشخاصاً تحت التنويم المغناطيسي، في تراجعات إلى حيوات ماضية، لآلاف الساعات. أنا مقتنعة بأنه لا توجد محاولة، لا متعمدة ولا واعية، للخداع. الدموع، الارتعاش، الابتسامات، التراجعات، ضيق التنفس، الأنين، التعرق، والمظاهر الجسدية الأخرى حقيقية جداً.

السؤال التالي الذي يطرح نفسه هو: هل يمكن أن تكون الحياة السابقة مجرد وهم، يصدقه المريض حقاً؟ من الممكن أن يكون العقل البشري، لكونه "الكمبيوتر" الرائع الذي هو عليه، قادراً على التقاط أعراض من هذه الحياة لإخراج "حياة سابقة" واقعية للغاية، تفسر المشاكل. حتى الآن، لم يتم حسم المسألة بشكل نهائي في ذهني. في الوقت الحالي، أقوم بالتحقيق في حيوات تحتوي على تواريخ ميلاد أو تواريخ وفاة و**"أدلة"** ملموسة أخرى. سيتم الكشف عن هذا التحقيق في منشور مستقبلي. وقد أجرى (إيان ستيفنسون) بحثاً ممتازاً حول هذه المسألة ("عشرون حالة توحي بعودة التجسد"، نيويورك، الجمعية الأمريكية للبحث النفسي، ألف وتسعمئة وستة وستين). يقدم عشرين حالة موثقة جيداً، من مناطق مختلفة من العالم.

في هذه المرحلة، أعتقد أن النتيجة النهائية، من حيث اختفاء الأعراض، هي دليل شبه قاطع. أرى علاج الحياة الماضية مطابقاً تقريباً للتحليل التنويمي، الذي يعيد الشخص إلى أحداث مهمة في حياته الحالية. غالباً ما يؤكد الأقارب والمريض نفسه، صحة الأحداث التي تم استرجاعها، بمجرد إظهارها. غالباً ما يتفاجأ المرضى - ويسعدون - عندما يتم تعزيز تجربة ولادتهم، على سبيل المثال، من خلال روايات أمهاتهم. أرى الحياة السابقة على أنها نقطة أخرى في نفس التسلسل بشكل أساسي.

عند إعادة التفكير في التراجعات التي شاركت فيها، من الملاحظ أن الحيوات التي تم استرجاعها عادة ما تكون غير مغرية وغير وهمية. غالباً ما يختبر المرضى والمُخَضَعُون للتنويم المغناطيسي حيوات نثرية، رتيبة، وكئيبة جداً، دون أدنى سحر. ومع ذلك، لا يمكننا استبعاد احتمالية أن تكون هذه التراجعات مجرد وهم، فقط لأن الحيوات لا تتناسب مع الصورة النمطية لما يجب أن يكون عليه الوهم.

يطرح سؤال آخر: إذا كنا نعيش حيوات عديدة، فما هي غاية عودة التجسد؟ امرأة جاءت إليَّ لتراجع الحياة الماضية هي مصدر الإجابة. أخبرتني بتجربة تنويرية:

في لحظة ولادة ابني، وهي ولادة طبيعية، سمعت صوتاً. شرح لي هذا الصوت لماذا نحن هنا - ما هو سبب وجودنا، ما هي غاية حياتنا، الحقيقة. والحقيقة هي أننا جميعاً نسير نحو الإله وأننا نعيش حيوات عديدة. نحن نعيش بموجب قانون الكَارْمَا، الذي يقول في الواقع إنه يجب علينا تسوية جميع ديون حيواتنا الماضية. بمجرد أن نموت، ننظر إلى الوراء لنرى كيف عشنا تلك الحياة. ننظر، لاكتشاف أين فشلنا. ربما نكون مثل إبرة تسجل باستمرار. روحنا تحافظ على الإبرة تدور باستمرار، وتسجل أعمالنا، أفكارنا، تصرفاتنا، ما إذا كنا نؤذي أحداً أم لا - ولهذا الغرض هي موجودة. الحب هو الطريقة التي نعامل بها الآخرين، بكلماتنا وأفعالنا. بعد أن نكون قد عبرنا، نحلل الطريقة التي عشنا بها حيواتنا الأخيرة، ونرى أين فشلنا وأين انتصرنا. ثم نختار الحياة التالية. نحن نختار حياتنا التالية، لكي نكون قادرين على إنجاز ما لم نتمكن من تحقيقه في حيواتنا السابقة. وأخبرني هذا الصوت بهذا في جزء من الثانية!

هذا التفسير ليس أصلياً. إنه في الواقع الرؤية العادية لعودة التجسد - تكامل الروح لكل واحد منا. إن أوصاف مرضاي، حول المعرفة والتدريب الذي يكتسبونه في الفاصل بين الحياة، تؤكد التفسير الذي أُعطي للمرأة المذكورة أعلاه، في لحظة ولادة ابنها. من المثير للاهتمام أنها لم تقرأ أو تسمع شيئاً عن الكَارْمَا من قبل. كان هذا جديداً عليها تماماً. أثرت هذه التجربة عليها بعمق ومنذ ذلك الحين أجرت دراسات في هذا المجال.

تم التعامل مع موضوع الكَارْمَا وأصل الأعراض والمشاكل في الحياة الماضية بتفصيل في كتب (جينا جيرمينارا)، حول قراءات حياة (إدغار كايس) ("العالم الداخلي"، نيويورك، دبليو إم مورو وشركاه، ألف وتسعمئة وسبعة وخمسين؛ "حيوات عديدة، أحبة عديدون"، نيويورك، دبليو إم مورو وشركاه، ألف وتسعمئة وثلاثة وستين؛ "مساكن عديدة"، نيويورك، دبليو إم مورو وشركاه، ألف وتسعمئة وخمسين، المكتبة الأمريكية الجديدة). نتائجها متوافقة جداً مع اكتشافاتي.

السؤال التالي سيكون: لماذا نعود مع نفس الأشخاص؟ اقترح الفلاسفة والميتافيزيقيون الشرقيون - وبالنظر إلى عملي، أنا أتفق أيضاً - أنه، في بعض الأحيان، لدينا مشاكل من حيوات ماضية يجب حلها مع هؤلاء الأشخاص. هذا هو أيضاً الموضوع الرئيسي لكتاب (ديك ستيفن) الممتاز "ولدت من جديد لتكونا معاً" (نيويورك، بوكيت بوكس، ألف وتسعمئة وستة وسبعين). في عملي، اكتشف أحد مرضاي أنه، في حياته الماضية، قتل زوجته، بعد أن اعترفت له بأنها كانت تقيم علاقات خارج إطار الزواج. إنه يعيش معها الآن، على الرغم من الصعوبات الزوجية الهائلة. لديه دين عليها. يبدو أن الأشخاص الذين حلوا مشاكلهم غالباً ما يبقون معاً، بسبب رباط الحب أو الصداقة. أرادت امرأة استكشاف حياة سابقة مع ابنتها، التي كانت تربطها بها علاقة ممتازة وحميمة. في حياة سابقة كانتا أختين متقاربتين جداً. عند مراجعة التراجعات التي شهدتها، تبدو القاعدة العامة كما يلي: عندما تكون هناك علاقة جيدة في الوقت الحاضر، كانت هناك عادة علاقة إيجابية في الحيوات السابقة. هذا صحيح بشكل خاص بالنسبة للحيوات الحديثة نسبياً، حيث تم بالفعل حل مشاكل الحيوات السابقة معاً. هناك الجانب الآخر من العملة. إذا كان هناك خلاف الآن، فغالباً ما يتم اكتشاف علاقة سيئة في الماضي.

السؤال الأخير هو: من نحن؟ خلال السنوات الأخيرة، ونتيجة لعملي مع تراجعات الحياة الماضية، قمت بتعديل - وما زلت أعدل - معتقداتي الدينية والفلسفية. لم أعد أشعر بالارتياح في اللاأدرية. أرى الأشياء بطريقة مختلفة جداً وأعتقد أن هذه الحياة ليست كل شيء، أو لا يمكن أن تكون كل شيء. أنا أتفق الآن مع مبدأ العديد من الأديان الرئيسية في العالم. نحن المجموع الكلي لكل ما كنا عليه حتى الآن.

كنا نعيش من قبل

إن حياتنا الحالية سبقتها حيوات أخرى - هذه هي الخلاصة المحيرة التي توصلت إليها، من خلال دراساتها وتجربتها السريرية، عالمة نفس أمريكية مرموقة، الدكتورة (إديث فيوري). باستخدام طريقة التراجع التنويمي، توصلت عالمة النفس تلك إلى استنتاج مفاده أن العديد من الرهابات والمشاكل التي نواجهها اليوم وجدت منشأها في تجارب مؤلمة عاشت سابقاً. كانت هذه هي حالة مديرة العلاقات العامة لشركة ملاحية التي شعرت بدافع فظيع لإلقاء نفسها في البحر، حتى اليوم الذي اكتشفت فيه أنها، في حياة سابقة، ماتت غرقاً في حادث تحطم سفينة لأنها لم تطع والدها، الذي كان يطلب منها مغادرة القارب. كانت هذه هي حالة المرأة التي كانت تتجنب القطارات لأنها، في حياتها السابقة، رأت أختها تسحق بعجلات آلة بخارية...

إن الحالات الرائعة التي يرويها هذا المجلد لا تشكل فقط مقاربة جديدة تماماً للعلاج النفسي، ولكنها أيضاً رؤية للحياة والعالم قادرة على تغيير المفاهيم الحالية جذرياً.

الدكتورة (إديث فيوري) حاصلة على درجة الدكتوراه في علم النفس من جامعة (ميريلاند) و**(ميامي)** وهي عضو في العديد من الجمعيات العلمية، مثل الجمعية الأمريكية لعلم النفس، الجمعية الدولية للتنويم المغناطيسي، الجمعية الأمريكية للتنويم المغناطيسي السريري، وغيرها.